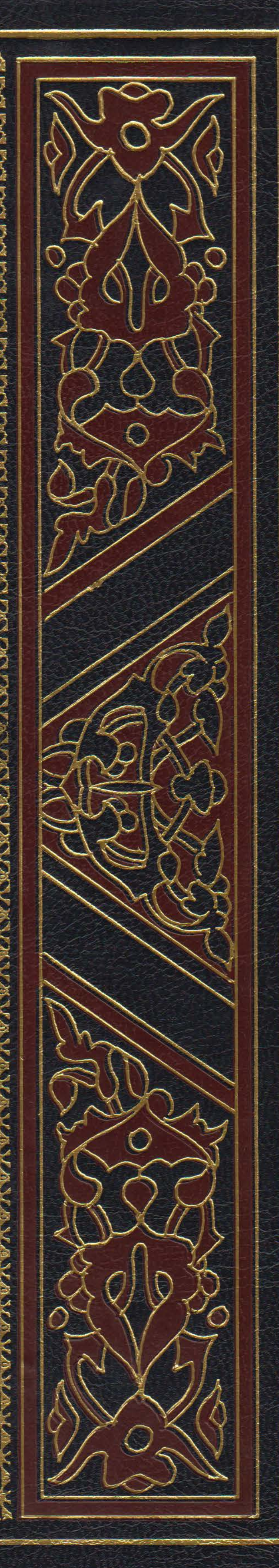
الحوار بين الحضارات في الكتاب والسنة

تأليف

محمد الريشهري





الناشر
دار الحديث

توزيع
دار إحياء التراث العربي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الحوار بين الحضارات

في الكتاب والسنّة

محمّدي الرَّيْشهري

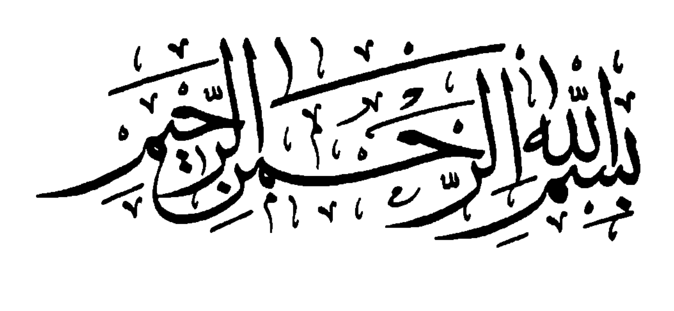
بمساعدة : رضا برنجكار

تحقيق

مركز بحوثِ دارالحديث

المحبّة في الكتاب والسنّة
المؤلف : محمّدي الرّي شهري
المساعد : رضا برنجكار
التحقيق : دار الحـديث
نضد الحروف : محمّدباقر النجفي
الناشر : دار الحـديث
ليتوغراف : المهدي
الطبعة : الأُولى
النسخ : ٣٠٠٠

تلفن: ٣١٥٧٥ ، ٧١٠٤٨٧ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+ ، ٩٢٩٢١١ ـ ٢١ ـ ٩٨+ نمابر: ٧١٩١٩٠ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+ ص.پ: ٣٧١٨٥/٣٤١٨


بسم الله الرحمن الرحيم

المساعدون في تنظيم هذا الأثر

تخريج الأحاديث	رسول افقي
تقويم النص	تحسين پورسماوي
الإعراب	مرتضى خوش‌نصيب
مقابلة النصّ	محمود سپاسى ، حيدر وائلي مصطفى اوجى
استخراج الفهارس	حيدر وائلي

فهرس الموضوعات

المقدّمة



الحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ عبده المصطفىٰ محمّد و آله الطاهرين.

عام حوار الحضارات

عام ٢٠٠١ هو عام حوار الحضارات، جاءت هذه التسمية بناءً على اقتراح تقدّم به رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ومصادقةِ منظّمة الأمم المتّحدة.

يتّضح في ضوء التسمية أعلاه أنّ حوار الحضارات وهدفه وأُسلوبه يُعدُّ كواحدٍ من المباحث الجادّة في ثقافة القرن الحادي والعشرين، خاصّة وأنّ اقتراح هذه التسمية تقدّم به نظام له جذور منبثقة من ثورة ثقافيّة عميقة اسمها الإسلام. وانطلاقاً من هذه النظرة فإنّ تبيان رؤىٰ الدين الإسلاميّ فيما يخصّ حوار الحضارات أمرٌ يَهُمّ كلّ من يفكّر ويُعنى بهذا الاتّجاه الثقافيّ في هذا القرن.

الكتاب الذي بين أيديكم يمثّل سابع مجلّد مستقلّ من «موسوعة ميزان الحكمة» وهو يُقدّم للباحثين تلبية لهذه الحاجة المستجدّة، وأرجو أن يكون مفيداً في تسليط الأضواء على هذا المقترح البنّاء الذي عرضه رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة المحترم السيّد محمّد الخاتميّ، ومؤثّراً في تخفيف حدّة التوتّر وإرساء أُسُس الانسجام والوئام في العالم، وخاصّة في البلدان الإسلاميّة، على أمل أن يستلهم العالم من توجيهات الإسلام الواهبة للحياة تمهيداً لسبيل الارتقاء نحو حضارة أفضل.

أتقدّم بفائق الشكر والتقدير لجميع الإخوة الأكارم العاملين في «مركز دراسات دار الحديث» لما قدّموه من عون لي في تأليف وتحقيق و إخراج هذا الكتاب النفيس إلى النور، وأخصّ بالذكر الأخ الفاضل والمحقّق العزيز حجّة الإسلام والمسلمين سماحة الشيخ رضا برنجكار، الذي نهض بالعبء الأكبر من هذه المهمّة. جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء في الدارين.

محمّدي الريشهري
٩ ربيع الأوّل ١٤٢١
٢٣ خرداد ١٣٧٩
12 / JUN / 2000

المدخل

نظرة تحليليّة لموضوع حوار الحضارات

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1].

لغرض التعرّف على رأي القرآن والسنّة فيما يخصّ حوار الحضارات، لابدّ أوّلاً وقبل كلّ شيء من تعريف هذا الموضوع وتبيين فلسفته وغايته.

تعريف الحضارة

حضارة كلّ شعب هي عبارة عن مجموع معتقداته وأخلاقه وسلوكه الذي كلّما اقترب به نحو المعايير العلميّة والمنطقيّة أصبح أقرب إلى المدنيّة، وكلّما ابتعد عن العلم والمنطق أصبح أكثر بُعداً عن المدنيّة[2].

---

(١) الزمر: ١٧ و ١٨.

(٢) تمدّن الرجل: تخلّق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من الخشونة والهمجيّة والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة (أقرب الموارد).

صراع الحضارات

ينبثق اختلاف الحضارات عادة عن اعتقاد الأقوام والشعوب والأحزاب والجماعات، بل وكلّ فرد بصحّة آرائه وأحقّية معتقداته وأخلاقه وسلوكه دون الآخرين. وقد قال الإمام الصادقعليه السلام في هذا المعنىٰ:

«ثَلاثُ خِلالٍ يَقولُ كُلُّ إنسانٍ إنَّهُ عَلىٰ صَوابٍ مِنها: دينُهُ الَّذي يَعتَقِدُهُ، وهَواهُ الَّذي يَستَعلي عَلَيهِ، وتَدبيرُهُ في أُمورِهِ»[١].

يشير هذا الحديث إلى أهمّ عوامل اختلاف الحضارات. فمحدوديّة القوىٰ المدركة من جهة، والتعصّب والتقليد الأعمىٰ والنزعة النفعيّة، أو قُل: كلّ النوازع النفسيّة من جهة أُخرىٰ، تؤدّي بكلّ جماعة إلى الاعتقاد بصواب معتقداتها الدينيّة والسياسيّة وأساليبها الإداريّة، وبطلان ما سواها. وبعبارة أدقّ:

إنّ اعتبار الذات حقّاً لدى الفرد أو الجماعة هي الأساس في اختلاف الحضارات. وإذا لم يُعالج هذا الداء فإنّه يُفضي إلى الصراع بين الحضارات وربّما يؤدّي في الظروف الراهنة إلى تدميرها جميعاً بسبب ما تملكه القوى الكبرى من أسلحة الدمار الشامل.

---

(١) تحف العقول: ٣٢١.

فلسفة حوار[1] الحضارات

لا شكّ في أنّ أحد السبل الرئيسيّة لإزالة التوتّر على الصعيد الدوليّ يكمن في النظرة الواقعيّة وتقليص الاختلافات عن طريق تقريب

---

(١) الحوار مأخوذ من «الحور». وللحور ثلاثة أصول: أحدها اللون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً (معجم مقاييس اللغة: ٢ / ١١٥ ـ ١١٦). ويبدو أنّ الحوار مأخوذ من الحور بمعنى الرجوع، والحوار يقال على ما يجري بين شخصين بحيث يسمع كلٌّ منهما بعد كلامه ردّاً من الآخر. ولهذا يقال: «كلّمته فما رجع إليّ حواراً» (بفتح الحاء وكسرها) (المصدر نفسه). أو بعد أن يقول أحد الطرفين شيئاً، يقولون: إنّ الآخر لم يحر جواباً، أي: لم يرجع ولم يردّ (تاج العروس: ٦ / ٣١٧). ويبدو أنّ الحوار بالمعنىٰ المذكور يشمل معاني الاحتجاج، والجدال، والمراء، والمكابرة، والمناظرة.

نأتي في مايلي علىٰ توضيح هذه المصطلحات:

الاحتجاج: معناه إقامة الحجّة لإثبات المطلوب. والمعنى اللغويّ للحجّة هو القصد. وتأتي بمعنى الدليل والبرهان، أو الدليل الذي يُغلب به الخصم. ووجه مناسبة هذا المعنىٰ إلى المعنى اللغوي لـ«حجّة» هو أنّه يُقصد المطلوب (معجم مقاييس اللغة: ٢ / ٢٩ ـ ٣٠، المصباح المنير: ١٢١، ترتيب كتاب العين: ١٦٤، الصحاح: ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤). وفي «الاحتجاج» قد لا يكون لدى الطرف المقابل موقفٌ معيّن، وهو يطلب الدليل فحسب. وقد يكون لديه موقف معيّن ـ كما سنرىٰ ـ وهذا هو ما يُسمّىٰ بالجدل. وعلىٰ هذا الأساس فإنّ العلاقة بين الاحتجاج والجدل هي علاقة عموم وخصوص مطلق، والاحتجاج يشمل الجدل.

«الجدل» في اللغة هو بمعنى الإتقان وشدّة الخصومة. والجدال والمجادلة هما مصدرا باب المفاعلة، بمعنى النقاش المتبادل الذي يحاول فيه كل من الجانبين إثبات مدّعاه وإبطال رأي الطرف المقابل (معجم مقاييس اللغة: ١ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤، المصباح المنير: ٩٣، ترتيب كتاب العين: ١٣٠، الصحاح: ٤ / ١٦٥٣).

وهذا يعني في الجدل أن يكون لدىٰ كلّ واحد من الطرفين موقفه وكلّ يسعى إلى إثبات موقفه وإلزام الخصم.

أمّا المعنى اللغوي لـ«مراء» فهو الصلابة والشدّة، ويقال للكلام الذي فيه بعض الشدّة. ويأتي المراء والامتراء بمعنى الشكّ أيضاً، وهو يقال للجدال المقرون بالشكّ والريبة. ⟸

الحضارات إلى الموازين العقليّة والأخلاقيّة، وفلسفة حوار الحضارات لا تعني شيئاً غير ذلك. وبعبارة أُخرىٰ: إنّ الهدف من حوار الحضارات هو التوصّل إلى فكر أفضل من أجل إيجاد حياة أفضل.

تاريخ حوار الحضارات

للجدل أو الديالكتيك[1] ماضٍ عريق في تاريخ الفلسفة وفي تاريخ الأديان والمذاهب، نشير إليه في ما يلي على النحو التالي:

الف ـ الحوار في الفلسفة

١ ـ استخدمت كلمة الجدل لأوّل مرّة في الفلسفة من قبل زينون تلميذ برمنيدس. وكان برمنيدس ينكر وجود الكثرة والتغيير في عالم الوجود أساساً. وبما أنّ هذا الاعتقاد يتنافىٰ مع البديهيّات الحسّيّة، فقد أصبح موضع سخريّة واستهزاء من قبل الناس. وانطلاقاً من رغبة زينون في الدفاع عن أُستاذه، فقد اتّخذ الجدل كأسلوب لنقض آراء الناس القائلة

⇐ كما ويقال للمناظرة مماراة؛ لأنّ كلّ واحد من المتناظرَيْن يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع (معجم مقاييس اللغة: ٥/٣١٤، لسان العرب: ١٥/٢٧٨، النهاية: ٤/٣٢٢). وقال الجوهري: مراه حقّه، أي: جحده (الصحاح: ٦/٢٤٩١).

فيتّضح من المعنى اللغوي للجدال والمراء أنّ علاقتهما علاقة عموم و خصوص مطلق. والمراء نوع خاصّ من الجدال يتّسم فيه الشخص بحالة من الشكّ والإنكار؛ ولهذا فالمراء يتضمّن جوانب سلبيّة كثيرة. ويستخدم المراء أحياناً بمعنىٰ مطلق الجدال.

أمّا المكابرة فتعني النقاش بإنكار وعناد ورغبة في الغلبة. والمكابر هو من ينكر حقّ الطرف المقابل ويجحده ويرغب في التغلّب عليه مع علمه بأحقّيّته (تاج العروس: ٧ / ٤٣٤).

(١) (في اللغة اليونانيّة) Dialektos ، (في اللغة الإنجليزيّة) Dialectic.

بوجود الكثرة والتغيير، وهكذا فقد كان الجدل يمثّل عند زينون وسيلة لنقض آراء الطرف المقابل وإثبات آرائه عن طريق برهان الخُلف.

٢ ـ استخدم السوفسطائيّون الجدل في التغلّب في المحاكم القضائيّة واستحصال الأموال من الموكّلين.

٣ ـ استخدم سقراط الجدل كأُسلوب لنقض التعاريف الجزئيّة والسير باتّجاه وضع تعريف كلّي لمختلف المسائل. واستخدمه أفلاطون أيضاً وإن كانت له عنده معانٍ أُخرىٰ.

٤ ـ نظر أرسطو إلى الجدل باعتباره استدلالاً يقوم علىٰ أساس المشهودات والمسلّمات؛ أي الآراء المتسالم عليها، وإثبات قضيّة ما عن طريق المفروضات، ولم يكن له كثير من الاعتبار عنده.

٥ ـ استُخدِم الجدل في القرون الوسطىٰ بمعنى المنطق والأساليب المنطقيّة لإثبات القضايا الفلسفيّة.

٦ ـ ذهب فيخته وتبعه هيغل ثُمّ ماركس إلى القول بأنَّ الجدل أو الديالكتيك هو عبارة عن ظاهرة تتألّف من ثلاث مراحل هي: الفكرة، والنقيضة، والجميعة. وهم يعتقدون أنّ كلّ ما موجود في العالم هو بمثابة فكرة، وهذه الفكرة تولّد فكرة مناقضة أو نقيضة لها، ومن تفاعل الفكرتين تنشأ فكرة جديدة تؤلّف بينهما وهي ما تُسمّىٰ بالجميعة. وهكذا عمّموا ما يحصل عادة في المجادلات على العالم كلّه[1].

---

(١) راجع: William L. Reese, Dictionary of philosophy and Religion, p.p 129 - 130.

ب ـ الحوار في الأديان والمذاهب

كان الجدل والنقاش شائعاً بين أتباع الأديان المختلفة منذ القديم. وقبل ظهور الإسلام كان الجدل محتدماً بين الأديان والمذاهب التالية:

١ ـ الجدل بين النصارىٰ والمشركين.

٢ ـ الجدل بين اليهود والمشركين.

٣ ـ الجدل بين الحنفاء الموحّدين والمشركين.

٤ ـ الجدل بين اليهود والنصارىٰ.

٥ ـ الجدل بين مذاهب اليهود كالربّانيّين والقُرّاء.

٦ ـ الجدل بين الفرق المسيحيّة كالجدل حول قضيّة التثليث وعلاقة عيسى عليه السلام بالله.

ج ـ الحوار في الإسلام

أكّد الإسلام أكثر من أيّ دين آخر علىٰ الحوار، لأجل توعية الناس بحقائق الوجود وتعريفهم بمنهجه التكامليّ والوصول إلى حضارة أفضل. وكانت أكبر معجزة جاء بها خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله لتعريف الناس بحقيقة الحضارة الإسلاميّة هي «الكلام». وهو ما يدلُّ على الاستخدام الخارق للحوار من أجل تعريف الناس بالحقائق في عصر الرسالة الخاتمة.

وقد حاول أعداء الإسلام الذين أدركوا مدىٰ المقدرة الكلاميّة والبلاغيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، منع النّاس بشكل أو آخر من التحدُّث إليه ومحاورته، حتّىٰ أنّهم كانوا أحياناً يُثيرون الصخب والضجيج، ويطلقون

الصفير لكي يحولوا دون سماع الناس لكلامه عند قراءته للقرآن[١]، وكانوا في بعض الحالات يوصون من يريدون الطواف حول الكعبة بوضع القطن في آذانهم لكي لا يجتذبهم سماع كلام الرسول ﷺ[٢].

وعلىٰ أيّ حال، فإنّ حوارات الرسول وأهل بيته عليهم السلام تُشكّل جزءاً مهمّاً من تاريخ الإسلام المُشرق، وسنعرض في الفصل الخامس من هذه

---

(١) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فُصّلت :٢٦).

(٢) كان الطفيل بن عمرو الدوسيّ رجلاً شريفاً شاعراً مليئاً كثير الضيافة، فقدم مكّة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، فقالوا: يا طُفيل، إنّك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وفرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنّما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، إنّا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه، فلا تكلّمه ولا تسمع منه.

قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتّى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أُكلّمه، فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أُذنيّ كرسفاً، يعني قطناً، فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله حتّى كان يقال لي: ذو القطنتين. قال: فغدوت يوماً إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي عند الكعبة، فقمت قريباً منه فأبى الله إلّا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: واثُكل أُمّي، والله إنّي لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته.

فمكثتُ حتّى انصرف إلى بيته، ثُمّ اتّبعته حتّى إذا دخل بيته دخلتُ معه، فقلتُ: يا محمّد، إنّ قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا لي، فوالله ما تركوني يخوّفوني أمرك حتّى سددت أُذنيّ بكرسف لِئلّا أسمع قولك، ثمّ إنّ الله أبى إلّا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك. فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليه القرآن.

فقال: لا والله، ما سمعت قولاً قطّ أحسن من هذا، ولا أمراً أعدل منه. فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ، فقلتُ: يا نبيّ الله، إنّي امرؤٌ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: اللّهمّ اجعل له آية (الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٣٧، السيرة النبويّة لابن هشام: ٢٢/٢، البداية والنهاية: ٣/ ٩٩).

الرسالة نماذج منها.

ومن هنا فإنّ النكتة التي تسترعي الاهتمام في ما يخصّ اقتراح «حوار الحضارات» الذي عُرض من قِبَل رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة المحترم، هو أنّ هذا الاقتراح ليس أمراً جديداً في تاريخ الإسلام، وإنّما هي دعوة أطلقها الإسلام قبل أربعة عشر قرناً وقد وصلت إلى أسماع العالم اليوم.

ونحن نتفأل بالخير لإقرار هذا الاقتراح من قِبَل منظمة الأُمم المتّحدة، ونرىٰ فيه دلالة علىٰ أنّ العقل والمنطق سيحلّ في المستقبل بدلاً من أساليب القهر والإغراء والخداع؛ كما أنّ القرآن تنبّأ في أنّ الأرض سيرثها الصالحون[١].

النزعة العقليّة في الإسلام

إنّ هذا الاقتراح يعكس في الحقيقة أحد الأدلّة علىٰ وجود النزعة العقليّة في الإسلام، وارتكاز هذه الشريعة الإلٰهيّة على الموازين العقليّة والمنطقيّة. ولا شكّ في أنّ النهج الذي طرحه الإسلام للحياة والحضارة، لو لم يكن مرتكزاً علىٰ اُسُس علميّة لما كان يدعو بني الإنسان إلى التعقّل والتدبّر والحوار بشأن اُصوله العقائديّة، بل كان يركن إلى الاستبداد الفكريّ والدينيّ والتقليد الأعمىٰ ويدافع عنه، بيدَ أنّ القرآن الكريم يدين في موارد

(١) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

كثيرة ظاهرة التقليد في الأُصول الفكريّة الذي يُعدُّ في الحقيقة واحداً من الدعائم الأساسيّة في اختلاف الحضارات، ويعلن صراحة: ﴿وَلَاتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1].

وهذا الكلام يعني الامتثال لحكم العقل والفطرة لدى الإنسان الذي لايمكنه اتّباع نظرية ما وإرساء أُسُس حياته الفرديّة والاجتماعيّة وفقاً لها ما لم يكن علىٰ علم ووعي بها.

وجاء في آية أُخرىٰ:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَايَعْقِلُونَ﴾[2].

وليس المراد من الصمّ والبكم في هذه الآية الكريمة الفاقدين لحاسَّة السمع، أو الذين لا يستطيعون الكلام، وإنّما المراد أُولئك الذين ورد وصفهم بعبارة «لا يعقلون»، أي: الذين لايفكّرون في اختيار نهج الحياة، وهؤلاء أنفسهم وصفتهم آية أُخرىٰ بالخصائص التالية:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّايَسْمَعُونَ بِهَا﴾[3].

وهكذا يريد الإسلام أن يفكّ أغلال التقليد الأعمىٰ الذي يكبّل أيدي وأرجل فكر الناس، ويحرِّرهم من العبوديّة الفكريّة، ويمهّد السبل أمام

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الأنفال: ٢٢.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

المجتمع البشري لبناء حضارة أفضل من خلال التأمّل والبحث وتحاور الأفكار الحرّة.

يصرّح القرآن الكريم إنّ فلسفة بعثة الرسول الكريمﷺ هي تبيين رسالات الله للناس، ليتفكّروا فيها ويؤمنوا بها عن تدبّر وتفكّر:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وبعبارة أُخرىٰ، إنّ فلسفة الدين ـ من وجهة نظر القرآن ـ هي تقديم منهج لتكامل الإنسان بالأفكار الحرّة. وهذا معناه أنَّ هذا الكتاب السماويّ علىٰ ثقة بأنَّ المدنيَّة الإسلاميّة متطابقة تماماً مع الموازين الفطريّة والعقليّة. ولو أنَّ الباحثين درسوا بفكر حرٍّ ونظرة منصفة المناهج والنظريات التي قدّمتها مختلف الحضارات لحياة الإنسان، لاختاروا الإسلام كحضارة أفضل للبشر، وعلى هذا المبنى فقد أنبأ القرآن بأنَّ المدنيَّة الإسلاميّة هي التي ستسود العالم في مستقبل التاريخ.

التأكيد علىٰ تضارب الآراء

قال الإمام عليّ عليه السلام في الحثّ علىٰ تلاقح الأفكار ودوره في إزالة الاختلافات والوصول إلى الفكر الصحيح، مايذكر أدناه:

«اِضرِبوا بَعضَ الرَّأيِ بِبَعضٍ يَتَوَلَّدُ مِنهُ الصَّوابُ»[٢].

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٦٨٣٣؛ غرر الحكم: ٢٥٦٩.

وقال عليه السلام في توجيه آخر نابع عن تبصّر:

«مَنِ استَقبَلَ وُجوهَ الآراءِ عَرَفَ مَواقِعَ الخَطَأِ»[١].

أضرار الامتناع عن الحوار

وبالإضافة إلى تأكيد الأئمَّة على تضارب الآراء من أجل التوصُّل إلى الفكر الصحيح، نجدهم حذَّروا أيضاً بشدّة من مغبّة الاستبداد بالرأي والامتناع عن الحوار بهدف تصحيح الأفكار وتقويمها.

ونشير فيما يلي إلى نماذج من أقوالهم في هذا المضمار:

وصف الإمام عليّ عليه السلام من يتوقَّف علىٰ رأيه ويتجنّب الإصغاء إلىٰ آراء الآخرين بعدم الأهليّة على التنظير، وذلك بقوله:

«لا رَأيَ لِمَنِ انفَرَدَ بِرَأيِهِ»[٢].

واعتبر في حكمة أُخرى له، الاستبداد بالرأي من المزالق الفكريّة، قائلاً:

«المُستَبِدُّ بِرَأيِهِ مَوقوفٌ عَلىٰ مَداحِضِ[٣] الزَّلَلِ»[٤].

وقال ضمن توجيهات أُخرى ساقها في وصف الجمود العقلي والاستبداد الفكريّ:

«المُستَبِدُّ مُتَهَوِّرٌ فِي الخَطَأِ وَالغَلَطِ»[٥].

---

(١) الكافي: ٤/٢٢/٨، الفقيه: ٥٨٣٤/٣٨٨/٤، خصائص الأئمّة عليهم السلام: ١١٠، نهج البلاغة: الحكمة ١٧٣.

(٢) كنز الفوائد: ١ / ٣٦٧، بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠٥ / ٣٩.

(٣) مداحض: جمع مدحضة، وهي المزلَقة (المعجم الوسيط: باب الدال، مدحضة).

(٤) تنبيه الخواطر: ٢ / ٢٣٢، أعلام الدين: ٣٠٤، بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠٥ / ٤١.

(٥) غرر الحكم: ١٢٠٨.

«الاِستِبدادُ بِرَأيِكَ يُزِلُّكَ ويُهَوِّرُكَ فِي المَهاوي»[١].

«مَن جَهِلَ وُجوهَ الآراءِ أعيَتهُ الحِيَلُ»[٢].

«مَنِ استَبَدَّ بِرَأيِهِ هَلَكَ»[٣].

المسألة المهمَّة والجديرة بالالتفات ـ فيما يخصّ حوار الحضارات ـ هي أنَّه ليس مطلق الحوار وتضارب الآراء مفيداً ومؤثِّراً في تقليص الاختلافات والوصول إلى الحضارة الفضلىٰ. بل إنّ الوصول إلى هذا الهدف، له شروط وأمامه عراقيل يتعلّق بعضها بالمحاور وبعضها بمضمون الحوار، وبعضها الآخر بأُسلوب ذلك الحوار.

والحقيقة هي أنّ السرَّ الكامن وراء إخفاق الحوارات في تاريخ البشريَّة يُعزىٰ إلىٰ عدم الالتفات إلىٰ شروطها وعراقيلها. ومن هنا يتّضح بأنَّ توفير الظروف اللازمة للحوار وإزالة العراقيل التي تعترض سبيله تعدُّ من أكثر الإجراءات ضرورة لنجاح حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين.

ومن جملة الشروط الواجب توفّرها في هذا الحقل هي:

الاختصاص في فنّ الحوار

النكتة الأُولىٰ في حوار الحضارات هي أنَّه لاينبغي لأيِّ شخص كان بأن يسمح لنفسه بالجلوس على كرسيّ الحوار مع الحضارات الأُخرىٰ

(١) غرر الحكم: ١٥١٠.

(٢) غرر الحكم: ٧٨٦٥.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٦١.

بصفته ممثّلاً عن حضارةٍ ما. إذ لابدّ وأن يتمتَّع المحاور بالشروط اللازمة من الوجهة العلميّة والقدرة البيانيّة، وإتقان فنّ الحوار. ومن هنا فإنَّ الإسلام لايجيز لغير المتضلّعين بمعرفة الإسلام بمفهومه الصحيح والحقيقيّ، نَصب أنفسهم في موقع الدفاع عن الحضارة الإسلاميّة. فمن بعد الرسول ﷺ دأب الإمام الصادق ـ سادس الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام ـ علىٰ تربية وإعداد تلاميذ خاصّين للذود عن الإسلام الأصيل في مختلف حقول المعرفة. وستطّلعون علىٰ تفاصيل هذا الموضوع في نصوص الفصل الأوّل من هذا الكتاب.

أساليب الحوار

ثمّ إنّ الاختصاص لايكفي لإنجاح حوار الحضارات؛ بل إنَّ لأُسلوب الحوار أيضاً أثره الحاسم والفاعل، وكلّما كان أُسلوب الحوار أقوَم وأسلم قصرت المسافة لبلوغ الغايةالمنشودة. أمّا الأساليبالمغلوطة فهي تفضي بالحوار إلى طرق مسدودة.

توجيه القرآن الكريم في هذا المجال هو أنَّ المسلم ملزم عند مجادلة الآخرين باتّباع أفضل الأساليب؛ فها هو القرآن يأمر الرسول ﷺ بأن: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

وفي مقابل ذلك، يحرّم الإسلام اتّباع الأساليب اللّاأخلاقيّة واللّامنطقيّة

(١) النحل: ١٢٥.

لأجل إثبات صحّة الآراء والمعتقدات.

يعرض الفصل الثاني من هذه الرسالة تبيان آراء الإسلام بشأن أفضل سبل الحوار تحت عنوان «آداب الحوار»، ويُعنى الفصل الثالث منها باستعراض الأساليب المغلوطة تحت عنوان «آفات الحوار».

آداب الحوار

في الفصل الثاني وردت آداب الحوار في سبعة بنود يمكن اختزالها إلى أربعة، وهي:

١ ـ النظر إلى القول لا إلى القائل

في الحقيقة، هذا الأدب يمهِّد السبيل لسائر آداب الحوار. فإذا كان اعتبار و قيمة الكلام يُعطىٰ لمن قال و ليس لما قال، فلا جدوىٰ عندئذٍ من البحث في آداب وآفات الحوار، ولا فائدة من السعي لكشف الحقيقة.

وخلافاً لتصوّر أكثر الناس، فإنّ الإسلام يجعل المعيار في قيمة الكلام هو الكلام نفسه لا قائله. في حين أنَّ التصوُّر الذي يحمله عوام الناس في قياس أهمّيَّة واعتبار الكلام هو الاقتدار الاقتصاديّ أو السياسيّ، وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام إلى هذا الحُكم السقيم بقوله:

«صَوابُ الرَّأيِ بِالدُّوَلِ يُقبلُ بِإقبالِها ويُدبرُ بِإدبارِها»[1].

«الدَّولَةُ تَرُدُّ خَطَأَ صاحِبِها صَواباً وصَوابَ ضِدِّهِ خَطاءً»[2].

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٣٩.

(٢) غرر الحكم: ١٨٠٦.

استناداً إلى هذا الحكم السقيم العام، لا يحظىٰ كلام الأفراد والجماعات الفاقدة لأسباب القوّة السياسيّة أو الاقتصاديّة بأيّة أهمّيّة واعتبار لدى الآخرين؛ ولا يمكن تقديم كلامهم المنطقيّ إلى العالم بصفته كلاماً قيّماً ومعتبراً. وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله:

«الفَقرُ يُخرِسُ الفَطِنَ عَن حُجَّتِهِ»[1].

غير أنّ الإسلام بنىٰ حضارة تعطي القيمة عند تقييم الكلام للقول لا للقائل، وحضّ أتباعه علىٰ الإذعان للقول الحقِّ المنسجم مع الموازين العقليَّة والمنطقيَّة حتّىٰ وإن كان صادراً ممّن يعارضهم في المعتقد. وعلى العكس رفض الكلام اللّاصحيح واللّامنطقي حتّىٰ وإن صدر ممَّن يوافقهم في المعتقد[2].

٢ ـ اتّباع المعايير العقليّة والعلميّة

من وجهة نظر الإسلام لكي يتسنّىٰ للمتحاورين التوصّل إلىٰ الفكر الصائب يجب علىٰ المتحاورين أن لايبتعدوا في حوارهم عن المعايير العقليّة والمنطقيّة، ويتحاوروا بأُسلوب علميٍّ ويستندوا إلى ما تؤمن ضمائرهم بأنّه حقٌّ، ولا يخرجوا عن إطار البراهين العقليّة، ولا يظنُّوا بأنّ مجهولاتهم العلميّة معلومة، إضافة إلى عدم الخوض في ما ليس لهم به علم ومعرفة كافية. وإذا روعي هذا الجانب من الأدب فهو كفيل بإنهاء

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣.

(٢) أُنظر الفصل الثاني: النظر إلى القول لا إلى القائل.

جميع الاختلافات الناتجة عن خطأ الفكر. وهذا المعنىٰ تُشير إليه حكمة الإمام عليّ عليه السلام:

«لو سَكَتَ الجاهِلُ مَا اختَلَفَ النّاسُ»[١].

٣ ـ رعاية القيم الأخلاقيّة

أخلاق الحوار هي الأُخرىٰ ذات أهمّيّة من وجهة نظر الإسلام. فكثيراً ما تعجز البراهين العقليّة عن كشف الحقائق عند عدم رعاية هذا الجانب الأخلاقيّ حقّ رعايته. فاحترام آراء الآخرين والتعامل الحسن والصادق المشفوع بالإنصاف، أو لِنَقُل بعبارة أُخرىٰ: التمسُّك بالتوجيهات الأخلاقيّة الواردة في القرآن والسنّة ـ عند الحوار ـ مفيد وبنّاء جدّاً في الوصول إلى الغاية المنشودة من وراء حوار الحضارات.

٤ ـ المقدرة المعنويّة

وبالإضافة إلىٰ العلم والأخلاق، فإنَّ للمقدرة المعنويّة تأثيراً أيضاً في تسليط الأضواء علىٰ الحقائق في الحوارات. وتفيد الروايات الشريفة أنّ الاستعانة بالباري تعالى كفيلة باكتساب هذه المقدرة[٢].

آفات الحوار

إنَّ معرفة آفات الحوار والسعي للتخلّص منها هو السرّ الأساسيّ في نجاح حوار الحضارات، وبدونها تخفق جميع الجهود الرامية إلىٰ التوصّل

---

(١) كشف الغمّة: ٣ / ١٣٩، بحارالأنوار: ٧٨ / ٨١ / ٧٥.

(٢) اُنظر الفصل الثاني: الاستعانة من الله سبحانه.

إلىٰ الحضارة المثلى.

تتلخّص آفات الحوار في وجود المزالق الفكريّة إضافة إلىٰ وجود العراقيل الحائلة دون كشف الحقيقة. وما لم يُزَح النقاب عن تلك المزالق لايمكن توقّي خطأ الفكر، وتبقىٰ فكرة حوار الحضارات طور الشعار ليس إلّا.

أمّا النقطة الجديرة بالبحث ـ قبل الدخول في موضوع آفات الحوار ـ فتتمثّل في السؤال التالي: ألا يكفي علم المنطق الذي يُتَّخذ كأداة للوقاية من خطأ الفكر لمكافحة آفات الحوار؟ والجواب هو: كلّا؛ لأنّ تطبيق قوانين المنطق الصوريّ يحول دون الوقوع في خطأ صورة الاستدلال فحسب، بينما أكثر الأخطاء تنجم عن وجود خطأ في مواد ومقدّمات الاستدلال. فلغرض الكشف عن أمر مجهول نحتاج إلىٰ مقدّمات، وإذا صحّت المقدّمات يمكن التوصّل إلىٰ النتيجة بكلّ سهولة. وهذا مايستوجب معرفة المقدّمات التي يجب استبعادها والعناصر التي تسبّب ظهور الآفات وتحول دون الوصول إلىٰ الحقيقة. وقد بيّن القرآن الكريم أهمّ تلك الآفات في جملة موجزة، وهي:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[1].

وبعبارة أُخرىٰ، هناك في نظر القرآن شيئان يوقعان الإنسان في الخطأ

---

(١) النجم: ٢٣.

في معتقداته وآرائه: أحدهما اتّباعُ الظنِّ، والآخر اتّباع هوى النفس. أمّا الأُمور التي ورد ذكرها في الفصل الثالث تحت عنوان «آفات الحوار» من قبيل: التقليد، والمراء، والخصومة، والغضب، فهي تأتي تبعاً للأهواء النفسيَّة.

ويمكن القول بأُسلوب آخر: إنَّ ماورد في النصوص الإسلاميّة التي جاء ذكرها في الفصل الثالث في ما يتعلّق بعوامل زلّة الفكر، تعتبر في الحقيقة تبييناً وتفسيراً لمعنىٰ هذه الآية.

أحكام الحوار

وفي ضوء ما سبق ذكره في آداب الحوار وآفاته يمكننا استخلاص ودراسة أحكام وقوانين الحوار في رأي الإسلام، ويمكننا القول بإيجاز:

بشكل عامّ متىٰ ما أدّىٰ حوار الحضارات إلىٰ كشف الحقائق، وقاد إلى وضع منهج صحيح لتكامل الإنسان، وانتهىٰ إلىٰ السير على السبيل الأقوم للحياة والحضارة الفضلى، وساعد علىٰ تخفيف حدّة التوتُّر والصراع والحروب وسفك الدماء بين الحضارات، فهو أمر مُحَبّذ، بل ويصبح أحياناً لازماً وضرورياً.

وفي مقابل ذلك، متىٰ ما كانت تلك الحوارات عقيمة، أو كانت مضرّة لسبب أو آخر، فهي مرفوضة في رأي الإسلام، كما أنّ الإسلام يذمُّ ويمنع اتّباع الأساليب المغلوطة في الحوار. ولا يحقُّ للمسلم استخدام الأساليب الملتوية واللّامنطقيّة لإثبات أفضليّة الحضارة الإسلاميّة وأحقّيّتها.

وعلىٰ هذا الأساس فإن كان قد ورد في الفصل الرابع تحت عنوان «الحوارات المذمومة» بشأن النهي عن الجدال في القرآن أو في آيات الله أو في الدِين، فذلك لا يُراد به النهي عن مطلق الجدال، وإنّما المراد ـ كما ورد في نصّ القرآن[1] ـ هو الجدل المقرون بإحدىٰ آفات الحوار. وهذا يعني أنّ مثل هذه الحوارات لاتساعد علىٰ كشف الحقيقة، ولا تنطوي علىٰ أيّة فائدة، بل وإنّها مضرّة أيضاً.

وعلى هذا المنوال يمكن تقسيم حوار الحضارات من وجهة نظر الإسلام على الأحكام الخمسة، وهي:

١ ـ الحوارات الحاسمة والمصيريّة، واجبة.

٢ ـ الحوارات المفيدة، راجحة ومستحبّة.

٣ و ٤ ـ الحوارات المضرّة، وهي تنقسم إلى مكروهة ومحرّمة على قدر ضررها.

٥ ـ الحوارات غير المضرّة، مباحة.

أهمّ ملاحظة:

إنّ أهمّ نكتة تتعلّق بتسمية عام ٢٠٠١ للميلاد باسم عام حوار الحضارات وإقراره في الأمم المتّحدة هي: إلى أيّ حدّ سيؤدّي هذا الإجراء الإنسانيّ الجميل إلى تقليل التوتّر والصراعات على الصعيد العالميّ؟

---

(١) أُنظر الفصل الثاني: اتّباع العلم.

وهل سيلبّي العالم هذه الدعوة؟

وهل ستتوفّر الشروط الكفيلة ـ التي سلفت الإشارة إليها ـ بإثمار حوار الحضارات؟

وهل ستسمح القوىٰ السياسيّة والاقتصاديّة ـ التي ترىٰ في تقارب الشعوب عائقاً أمام مآربها السياسيّة والاقتصاديّة ـ بتوفّر المناخ الذي يجعل من حوار الحضارات حواراً مثمراً؟

وأخيراً، هل سيؤدّي الاقتراح المذكور وإقراره في الأُمم إلى معالجة داء الصراعات الدوليّة ويقرّب البشريّة نحو حضارة أفضل، أم إنّه سيحفظ في متحف التاريخ؟

وأنا أرغب ـ كما يرغب جميع المهتمّين بسعادة البشريّة ـ أن تتوفّر الشروط الكفيلة بإنجاح حوار الحضارات، وأن تزول معوّقاته، ويسير أبناء البشريّة في كلّ يومٍ خطوة صوب السلام والاستقرار والحضارة المُثلىٰ. بيدَ أنّني أعتقد بأنّ المجتمع البشريّ لن يتسنّىٰ له تحقيق السلام والاستقرار والحضارة المُثلى ما لم يتحرّر من أغلال الأنانيّة بصفتها السبب الكامن وراء جميع الاختلافات والمفاسد، ويتّجه نحو الارتباط بخالقه الذي هو مصدر جميع مظاهر الكمال والجمال.

جذر جميع المفاسد:

يرىٰ القرآن بأنّ جذر جميع المفاسد ـ ومن جملتها الصراعات المدمّرة ـ التي تُلِمّ بالبشريّة هو الأعمال غير اللائقة والناجمة عن النزعة

الأنانيّة لدى الإنسان:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[١].

من وجهة نظر هذا الكتاب السماويّ، لو أنّ الناس كفّوا عن الأعمال غير اللائقة وارتبطوا بخالقهم، سترحل جميع الصراعات المدمّرة عن المجتمع البشريّ، ليس هذا فحسب، بل ستغمر البركات الإلٰهيّة المختلفة أبناء البشريّة في جميع المجالات المادّيّة والمعنويّة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢].

ومن هنا كان الأنبياء يعتقدون أنّ سرَّ حلّ شتّىٰ مشاكل المجتمع البشريّ يكمن في العودة إلى الله عزّ وجلّ وإلى القيم الإنسانيّة، وما لم يحلّ الناس مشكلتهم مع بارئهم، لن تنفضّ المشاكل الأساسيّة في حياتهم.

قال نوح ﷺ ـ وهو أوّل أنبياء أُولي العزم ـ لقومه:

﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٣].

وقال هود ﷺ:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ

---

(١) الروم: ٤١.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) نوح: ١٠ - ١٢.

قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[1].

وقال رسول اللهﷺ:

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[2].

وقال الإمام عليّ في كلمة شاملة:

«إنَّ اللهَ يَبتَلي عِبادَهُ عِندَ الأَعمالِ السَّيِّئَةِ بِنَقصِ الثَّمَراتِ وحَبسِ البَرَكاتِ، وإغلاقِ خَزائِنِ الخَيراتِ، لِيَتوبَ تائِبٌ، ويُقلِعَ مُقلِعٌ، ويَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، ويَزدَجِرَ مُزدَجِرٌ، وقَد جَعَلَ اللهُ سُبحانَهُ الاستِغفارَ سَبَباً لِدُرورِ الرِّزقِ ورَحمَةِ الخَلقِ، فَقالَ:

﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾...»[3].

أمل البشريّة في السلام والاستقرار:

وآخر الكلام هو: هل إنّ أبناء البشريّة يستطيعون أن يأملوا بأن يأتي ذلك اليوم الذي تزول فيه جميع الصراعات من المجتمع البشريّ، ويسود السلام والاستقرار في العالم، وتتوصّل البشريّة إلى حضارة أفضل على أثر زوال جميع المفاسد في العالم كلّه، وارتباط بني الإنسان بربّهم؟

وهل هناك من يستطيع اقتلاع جميع المفاسد من العالم كلّه، ويوائم

---

(١) هود: ٥٢.

(٢) هود: ٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٣.

أبناء البشريّة مع ربّهم ومع بعضهم الآخر ؟!

وجواب الإسلام على هذا التساؤل هو: نعم. فإنّ ذخيرة الله لإزالة الظلم والجناية وجميع الرذائل من المجتمع البشريّ، وتحقيق السلام والاستقرار والعدل، وكلّ المظاهر الجميلة في الحياة، هو المهديّ من آل محمّد صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين. ولا شكّ في أنّه سيغيّر مستقبل التاريخ، وسيكون السلام والاستقرار وتقارب القلوب من جملة بركات قيامه التي لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ.

وصف الإمام الصادق؈ أيّام حكومته كالآتي:

«يُظهِرُ اللهُ تَعالىٰ الحَقَّ وَالعَدلَ فِي البِلادِ، ويَجمَعُ اللهُ الكَلِمَةَ، ويُؤَلِّفُ اللهُ بَينَ قُلوبٍ مُختَلِفَةٍ»[1].

نأمل أن يكون القرن الجديد، قرن قيامه، وقرن إقامة العدل في العالم، وقرن وحدة كلمة أبناء البشريّة، وقرن وصول البشريّة إلى حضارة أمثل.

آمين ربّ العالمين

---

(١) الكافي: ١ / ٣٣٤ / ٢.

الفصل الأوّل

فَنُّ الحِوارِ

١ـأبو خالد الكابليّ: رَأَيتُ أبا جَعفرٍ، صاحِبَ الطّاقِ، وهُوَ قاعِدٌ فِي الرَّوضَةِ، قَد قَطَعَ أهلُ المَدينَةِ أزرارَهُ وهُوَ دائِبٌ يُجيبُهُم ويَسأَلونَهُ، فَدَنوتُ مِنهُ، فَقُلتُ: إنَّ أباعَبدِاللهِ عليه السلام نَهانا عَنِ الكَلامِ، فَقالَ: أمَرَكَ تَقولُ لي؟ فَقُلتُ: لا، ولٰكِنَّهُ أمَرَني أن لا اُكَلِّمَ أحَداً. قالَ: فَاذهَب فَأَطِعهُ فيما أمَرَكَ.

فَدَخَلتُ عَلىٰ أبي عَبدِاللهِ عليه السلام فَأَخبَرتُهُ بِقِصَّةِ صاحِبِ الطّاقِ وما قُلتُ لَهُ وقَولِهِ لي: «اِذهَب وأطِعهُ فيما أمَرَكَ».

فَتَبَسَّمَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام وقالَ: يا أبا خالِدٍ، إنَّ صاحِبَ الطّاقِ يُكَلِّمُ النّاسَ فَيَطيرُ ويَنقَضُّ، وأنتَ إن قَصّوكَ لَن تَطيرَ![١]

٢ـالطيّار: قُلتُ لِأَبي عَبدِاللهِ عليه السلام: بَلَغَني أنَّكَ كَرِهتَ مِنّا مُناظَرَةَ النّاسِ،

---

(١) رجال الكشّي: ٢ / ٤٢٤ / ٣٢٧.

وكَرِهتَ الخُصومَةَ ؟ فقالَ: أمّا كَلامُ مِثلِكَ لِلنّاسِ فَلا نَكرَهُهُ، مَن إذا طارَ أحسَنَ أن يَقَعَ وإن وَقَعَ يُحسِنُ أن يَطيرَ، فَمَن كانَ هٰكَذا فَلا نَكرَهُ كَلامَهُ[1].

٣ـ **عبدالأعلى:** قُلتُ لِأَبي عَبدِاللهِ عليه السلام: إنَّ النّاسَ يَعتِبونَ عَلَيَّ بِالكَلامِ وأنَا اُكَلِّمُ النّاسَ، فَقالَ: أمّا مِثلُكَ مَن يَقَعُ ثُمَّ يَطيرُ فَنَعَم، وأمّا مَن يَقَعُ ثُمَّ لا يَطيرُ فَلا[2].

٤ـ **هشام بن سالم:** كُنّا عِندَ أبي عَبدِاللهِ عليه السلام جَماعَةً مِن أصحابِهِ، فَوَرَدَ رَجُلٌ مِن أهلِ الشّامِ فَاستَأذَنَ فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمّا دَخَلَ سَلَّمَ، فَأَمَرَهُ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام بِالجُلوسِ، ثُمَّ قالَ لَهُ: حاجَتُكَ أيُّهَا الرَّجُلُ ؟ قالَ: بَلَغَني أنَّكَ عالِمٌ بِكُلِّ ما تُسأَلُ عَنهُ، فَصِرتُ إلَيكَ لِاُناظِرَكَ.

فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: في ماذا؟ قالَ: فِي القُرآنِ وقَطعِهِ وإسكانِهِ وخَفضِهِ ونَصبِهِ ورَفعِهِ، فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: يا حُمرانُ، دونَكَ الرَّجُلَ! فَقالَ الرَّجُلُ: إنَّما اُريدُكَ أنتَ لا حُمرانَ، **فَقالَ أبو عَبدِاللهِ** عليه السلام: إن غَلَبتَ حُمرانَ فَقَد غَلَبتَني.

فَأَقبَلَ الشّامِيُّ يَسأَلُ حُمرانَ حَتّىٰ غَرِضَ[3] وحُمرانُ يُجيبُهُ، فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: كَيفَ رَأَيتَ يا شامِيُّ ؟ قالَ: رَأَيتُهُ حاذِقاً، ما سَأَلتُهُ عَن

(١) رجال الكشّي: ٢ / ٦٣٨ / ٦٥٠، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٦ / ٣٩.

(٢) رجال الكشّي: ٢ / ٦١٠ / ٥٧٨، بحارالأنوار: ٧٣ / ٤٠٤.

(٣) الغَرَض: الضجَر والملال (لسان العرب: ٧ / ١٩٤). في «بحارالأنوار»: حتّى ضجر وملّ وعرض.

شَيءٍ إلّا أجابَني فيهِ! فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: يا حُمرانُ، سَلِ الشّامِيَّ فَما تَرَكَهُ يَكشِرُ.

فَقالَ الشّامِيُّ: أُريدُ يا أبا عَبدِاللهِ أُناظِرُكَ فِي العَرَبِيَّةِ، فَالتَفَتَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام فَقالَ: يا أبانَ بنَ تَغلِبَ ناظِرهُ، فَناظَرَهُ فَما تَرَكَ الشّامِيَّ يَكشِرُ.

فَقالَ: أُريد أن أُناظِرَكَ فِي الفِقهِ، فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: يا زُرارَةُ ناظِرهُ، فَناظَرَهُ فَما تَرَكَ الشّامِيَّ يَكشِرُ.

قالَ: أُريدُ أُناظِرُكَ فِي الكَلامِ، قالَ: يا مُؤمِنَ الطّاقِ ناظِرهُ، فَناظَرَهُ فَسجلَ الكَلامُ بَينَهُما، ثُمَّ تَكَلَّمَ مُؤمِنُ الطّاقِ بِكَلامِهِ فَغَلَبَهُ بِهِ.

فَقالَ: أُريدُ أن أُناظِرَكَ فِي الاِستِطاعَةِ، فَقالَ لِلطَّيّارِ: كَلِّمهُ فيها، قالَ: فَكَلَّمَهُ، فَما تَرَكَهُ يَكشِرُ.

ثُمَّ قالَ: أُريدُ أُكَلِّمُكَ فِي التَّوحيدِ، فَقالَ لِهِشامِ بنِ سالِمٍ: كَلِّمهُ، فَسجلَ الكَلامُ بَينَهُما، ثُمَّ خَصَمَهُ هِشامٌ.

فَقالَ: أُريدُ أن أتَكَلَّمَ فِي الإمامَةِ، فَقالَ لِهِشامِ بنِ الحَكَمِ: كَلِّمهُ يا أبَا الحَكَمِ، فَكَلَّمَهُ فَما تَرَكَهُ يَريمُ ولا يُحلي ولا يُمري، قالَ: فَبَقِيَ يَضحَكُ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام حَتّىٰ بَدَت نَواجِذُهُ.

فَقالَ الشّامِيُّ: كَأَنَّكَ أرَدتَ أن تُخبِرَني أنَّ في شيعَتِكَ مِثلَ هٰؤُلاءِ الرِّجالِ؟ قالَ: هُوَ ذاكَ، ثُمَّ قالَ: يا أخا أهلِ الشّامِ! أمّا حُمرانُ: فَحَزَقَكَ فَحِرتَ لَهُ، فَغَلَبَكَ بِلِسانِهِ، وسَأَلَكَ عَن حَرفٍ مِنَ الحَقِّ فَلَم تَعرِفهُ.

وأمّا أبانُ بنُ تَغلِبَ: فَمَغَثَ حَقّاً بِباطِلٍ فَغلَبَكَ. وأمّا زُرارَةُ: فَقاسَكَ فَغلَبَ قياسُهُ قِياسَكَ. وأمّا الطَّيّارُ: فَكانَ كَالطَّيرِ يَقَعُ ويَقومُ، وأنتَ كَالطَّيرِ المَقصوصِ لا نُهوضَ لَكَ. وأمّا هِشامُ بنُ سالِمٍ: فَأَحَسَّ أن يَقَعَ ويَطيرَ. وأمّا هِشامُ بنُ الحَكَمِ: فَتَكَلَّمَ بِالحَقِّ فَما سَوَّغَكَ بِريقِكَ.

يا أخا أهلِ الشّامِ! إنَّ اللهَ أخَذَ ضِغثاً مِنَ الحَقِّ وضِغثاً مِنَ الباطِلِ، فَمَغَثَهُما ثُمَّ أخرَجَهُما إلَى النّاسِ، ثُمَّ بَعَثَ أنبِياءَ يُفَرِّقونَ بَينَهُما، فَفَرَّقَها الأَنبِياءُ وَالأَوصِياءُ، وبَعَثَ اللهُ الأَنبِياءَ لِيُعَرِّفوا ذٰلِكَ، وجَعَلَ الأَنبِياءَ قَبلَ الأَوصِياءِ، لِيُعلِمَ النّاسَ مَن يُفضِلُ اللهُ، ومَن يَختَصُّ. ولَو كانَ الحَقُّ عَلىٰ حِدَةٍ، وَالباطِلُ عَلىٰ حِدَةٍ، كُلُّ واحِدٍ مِنهُما قائِمٌ بِشَأنِهِ، مَا احتاجَ النّاسُ إلىٰ نَبِيٍّ ولا وَصِيٍّ، ولٰكِنَّ اللهَ خَلَطَهُما، وجَعَلَ تَفريقَهُما إلَى الأَنبِياءِ وَالأَئِمَّةِ عليهم السلام مِن عِبادِهِ.

فَقالَ الشّامِيُّ: قَد أفلَحَ مَن جالَسَكَ، فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كانَ يُجالِسُهُ جَبرائيلُ وميكائيلُ، وإسرافيلُ يَصعَدُ إلَى السَّماءِ فَيَأتيهِ بِالخَبَرِ مِن عِندِ الجَبّارِ، فَإِن كانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَهُوَ كَذٰلِكَ.

فَقالَ الشّامِيُّ: اِجعَلني مِن شيعَتِكَ وعَلِّمني!

فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: يا هِشامُ! عَلِّمهُ فَإِنّي اُحِبُّ أن يَكونَ تِلماذاً لَكَ.

قال عَلِيُّ بنُ مَنصورٍ وأبو مالِكٍ الحَضرَمِيُّ: رَأَينَا الشّامِيَّ عِندَ هِشامٍ بَعدَ مَوتِ أبي عَبدِاللهِ عليه السلام، ويَأتِي الشّامِيُّ بِهَدايا أهلِ الشّامِ، وهِشامٌ يُزَوِّدُهُ هَدايا أهلِ العِراقِ.

قالَ عَلِيُّ بنُ مَنصورٍ: وكانَ الشّامِيُّ ذَكِيَّ القَلبِ[١].

٥-يونس بن يعقوب: كُنتُ عِندَ أبي عَبدِاللهِ عليه السلام فَوَرَدَ عَلَيهِ رَجُلٌ مِن أهلِ الشّامِ، فَقالَ: إنّي رَجُلٌ صاحِبُ كَلامٍ وفِقهٍ وفَرائِضَ، وقَد جِئتُ لِمُناظَرَةِ أصحابِكَ، فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: كَلامُكَ مِن كَلامِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أو مِن عِندِكَ؟ فَقالَ: مِن كَلامِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ومِن عِندي. فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: فَأَنتَ إذاً شَريكُ رَسولِ اللهِ؟ قالَ: لا، قالَ: فَسَمِعتَ الوَحيَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يُخبِرُكَ؟ قالَ: لا، قالَ: فَتَجِبُ طاعَتُكَ كَما تَجِبُ طاعَةُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله؟ قالَ: لا.

فَالتَفَتَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام إلَيَّ فَقالَ: يا يونُسُ بنُ يَعقوبَ! هٰذا قَد خَصَمَ نَفسَهُ قَبلَ أن يَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قالَ: يا يونُسُ! لَو كُنتَ تُحسِنُ الكَلامَ كَلَّمتَهُ، قالَ يونُسُ: فَيالَها مِن حَسرَةٍ، فَقُلتُ: جُعِلتُ فِداكَ، إنّي سَمِعتُكَ تَنهىٰ عَنِ الكَلامِ وتَقولُ: وَيلٌ لِأَصحابِ الكَلامِ يَقولونَ: هٰذا يَنقادُ وهٰذا لا يَنقادُ[٢]، وهٰذا يَنساقُ وهٰذا لا يَنساقُ[٣]، وهٰذا نَعقِلُهُ وهٰذا لا نَعقِلُهُ، فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: إنَّما قُلتُ: فَوَيلٌ لَهُم إن تَرَكوا ما أقولُ وذَهَبوا إلىٰ ما يُريدونَ[٤].

---

(١) رجال الكشّي: ٢ / ٥٥٤ / ٤٩٤، بحارالأنوار: ٤٧ / ٤٠٧ / ١١.

(٢) إشارة إلى ما يقول أهل المناظرة في مجادلاتهم: سلّمنا هذا ولكن لا نسلّم ذلك (الوافي).

(٣) «وهذا ينساق، وهذا لا ينساق» إشارة إلى قولهم للخصم: له أن يقول كذا وليس له أن يقول كذا (الوافي).

(٤) أي: تركوا ما ثبت منّا وصحّ نقله عنّا من مسائل الدّين، وأخذوا بآرائهم فيها فنصروها بمثل هذه المجادلات (الوافي).

ثُمَّ قالَ لي: اُخرُج إلَى البابِ فَانظُر مَن تَرىٰ مِنَ المُتَكَلِّمينَ فَأدخِلهُ؟ قالَ: فَأَدخَلتُ حُمرانَ بنَ أعيَنَ، وكانَ يُحسِنُ الكَلامَ، وأدخَلتُ الأَحوَلَ، وكانَ يُحسِنُ الكَلامَ وأدخَلتُ هِشامَ بنَ سالِمٍ، وكانَ يُحسِنُ الكَـلامَ، وأدخَلتُ قَيسَ بنَ الماصِرِ، وكانَ عِندي أحسَنَهُم كَلاماً، وكانَ قَد تَعَلَّمَ الكَلامَ مِن عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ عليه السلام، فَلَمَّا استَقَرَّ بِنَا المَجلِسُ ـ وكـانَ أبـو عَبدِاللهِ عليه السلام قَبلَ الحَجِّ يَستَقِرُّ أيّاماً في جَبَلٍ في طَرَفِ الحَرَمِ في فازَةٍ[1] لَهُ مَضروبَةٍ ـ قالَ: فَأَخرَجَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام رَأسَهُ مِن فازَتِهِ، فَإِذا هُوَ بِـبَعيرٍ يَخُبُّ[2]، فَقالَ: هِشامٌ ورَبِّ الكَعبَةِ[3]، قالَ: فَظَنَنّا[4] أنَّ هِشاماً رَجُـلٌ مِن وُلدِ عَقيلٍ كانَ شَديدَ المَحَبَّةِ لَهُ، قالَ: فَوَرَدَ هِشامُ بنُ الحَكَمِ ـ وهُوَ أوَّلُ مَا اختَطَّت لِحيَتُهُ، ولَيسَ فينا إلّا مَن هُوَ أكبَرُ سِنّاً مِنهُ ـ قالَ: فَوَسَّعَ لَهُ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام وقالَ: ناصِرُنا بِقَلبِهِ ولِسانِهِ ويَدِهِ. ثُمَّ قالَ: يا حُمرانُ! كَلِّمِ الرَّجُلَ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيهِ حُمرانُ، ثُمَّ قالَ: يا طـاقِي! كَـلِّمهُ. فَكَـلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيهِ الأَحوَلُ، ثُمَّ قالَ: يا هِشامُ بنُ سالِمٍ! كَلِّمهُ. فَتَعارَفا[5]، ثُمَّ قالَ

---

(١) الفازة: مَظلّة بين عمودين (مجمع البحرين: ٣ / ١٤٢٢).

(٢) الخَبَبُ: ضرب من العدو (النهاية: ٢ / ٣).

(٣) يعني: هذا الراكب هشام.

(٤) «فظننّا... إلخ» أي ظننّا أنّه يريد بقوله: هشام، رجلاً من ولد عقيل.

(٥) «فتعارفا» في أكثر النسخ بالعين والراء المهملتين والفاء، أي: تكلّما بما عرف كلّ منهما صاحبه وكلامه بلا غلبة لأحدهما على الآخر. وفي بعضها بالواو والقاف، أي: تعوق كلّ منهما عن الغلبة. وفي بعضها بالفاء والراء والقاف. وفي بعضها بالعين والراء والقـاف «تعارقا» أي: وقعا

⇔

أبو عَبدِاللهِعليه السلام لِقَيسِ الماصِرِ: كَلِّمهُ فَكَلَّمهُ، فَأَقبَلَ أبو عَبدِاللهِعليه السلام يَضحَكُ مِن كَلامِهِما مِمّا قَد أصابَ الشّامِيَّ.

فَقالَ لِلشّامِيِّ: كَلِّم هٰذَا الغُلامَ ـ يَعني هِشامَ بنَ الحَكَمِ ـ فَقالَ: نَعَم، فَقالَ لِهِشامٍ: يا غُلامُ سَلني في إمامَةِ هٰذا، فَغَضِبَ هِشامٌ حَتّى ارتَعَدَ، ثُمَّ قالَ لِلشّامِيِّ: يا هٰذا! أربُّكَ أنظَرُ لِخَلقِهِ أم خَلقُهُ لِأَنفُسِهِم؟ فَقالَ الشّامِيُّ: بَل رَبّي أنظَرُ لِخَلقِهِ. قالَ: فَفَعَلَ بِنَظَرِهِ لَهُم ماذا؟ قالَ: أقامَ لَهُم حُجَّةً ودَليلاً كَيلا يَتَشَتَّتوا أو يَختَلِفوا، يَتَأَلَّفُهُم ويُقيمُ أوَدَهُم، ويُخبِرُهُم بِفَرضِ رَبِّهِم. قالَ: فَمَن هُوَ؟ قالَ: رَسولُ اللهِصلى الله عليه وآله. قالَ هِشامٌ: فَبَعدَ رَسولِ اللهِصلى الله عليه وآله؟ قالَ: الكِتابُ وَالسُّنَّةُ. قالَ هِشامٌ: فَهَل نَفَعَنَا اليَومَ الكِتابُ والسُّنَّةُ في رَفعِ الاِختِلافِ عَنّا؟ قالَ الشّامِيُّ: نَعَم. قالَ: فَلِمَ اختَلَفنا أنَا وأنتَ وصِرتَ إلَينا مِنَ الشّامِ في مُخالَفَتِنا إيّاكَ؟ قالَ: فَسَكَتَ الشّامِيُّ.

فَقالَ أبو عَبدِاللهِعليه السلام لِلشّامِيِّ: ما لَكَ لا تَتَكَلَّمُ؟ قالَ الشّامِيُّ: إن قُلتُ: «لَم نَختَلِف» كَذَبتُ، وإن قُلتُ: «إنَّ الكِتابَ وَالسُّنَّةَ يَرفَعانِ عَنَّا الاِختِلافَ» أبطَلتُ، لِأَنَّهُما يَحتَمِلانِ الوُجوهَ، وإن قُلتُ: «قَدِ اختَلَفنا، وكُلُّ واحِدٍ مِنّا يَدَّعِي الحَقَّ» فَلَم يَنفَعنا إذاً الكِتابُ والسُّنَّةُ إلّا أنَّ لي عَلَيهِ هٰذِهِ الحُجَّةَ. فَقالَ أبو عَبدِاللهِعليه السلام: سَلهُ تَجِدهُ مَلِيّاً.

=> في العرق، كناية عن طول المناظرة (مرآة العقول). وفي بعضها «فتعاركا» أي: لم يغلب أحدهما على الآخر (الوافي).

فَقالَ الشّامِيُّ: يا هٰذا! مَن أنظَرُ لِلخَلقِ؟ أرَبُّهُم أو أنفُسُهُم؟ فَقالَ هِشامٌ: رَبُّهُم أنظَرُ لَهُم مِنهُم لِأَنفُسِهِم. فَقالَ الشّامِيُّ: فَهَل أقامَ لَهُم مَن يَجمَعُ لَهُم كَلِمَتَهُم ويُقيمُ أوَدَهُم ويُخبِرُهُم بِحَقِّهِم مِن باطِلِهِم؟ قالَ هِشامٌ: في وَقتِ رَسولِ اللهِ ﷺ أو السّاعَةَ؟ قالَ الشّامِيُّ: في وَقتِ رَسولِ اللهِ؛ رَسولُ اللهِ ﷺ وَالسّاعَةَ مَن؟ فَقالَ هِشامٌ: هٰذَا القاعِدُ الَّذي تُشَدُّ إلَيهِ الرِّحالُ، ويُخبِرُنا بِأَخبارِ السَّماءِ [وَالأَرضِ] وِراثَةً عَن أبٍ عَن جَدٍّ. قالَ الشّامِيُّ: فَكَيفَ لي أن أعلَمَ ذٰلِكَ؟ قالَ هِشامٌ: سَلهُ عَمّا بَدا لَكَ. قالَ الشّامِيُّ: قَطَعتَ عُذري فَعَلَيَّ السُّؤالَ.

فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: يا شامِيُّ! أُخبِرُكَ كَيفَ كانَ سَفَرُكَ؟ وكَيفَ كانَ طَريقُكَ؟ كانَ كَذا و كَذا. فَأَقبَلَ الشّامِيُّ يَقولُ: صَدَقتَ، أسلَمتُ للهِ السّاعَةَ. فَقالَ أبوعَبدِاللهِ عليه السلام: بَل آمَنتَ بِاللهِ السّاعَةَ، إنَّ الإِسلامَ قَبلَ الإِيمانِ، وعَلَيهِ يَتَوارَثونَ ويَتَناكَحونَ، وَالإِيمانُ عَلَيهِ يُثابونَ. فَقالَ الشّامِيُّ: صَدَقتَ، فَأَنَا السّاعَةَ أشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ ﷺ وأنَّكَ وَصِيُّ الأَوصِياءِ.

ثُمَّ التَفَتَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام إلىٰ حُمرانَ، فَقالَ: تُجرِي الكَلامَ عَلَى الأَثَرِ فَتُصيبُ[1]. وَالتَفَتَ إلىٰ هِشامِ بنِ سالِمٍ، فَقالَ: تُريدُ الأَثَرَ ولا تَعرِفُهُ. ثُمَّ

---

(١) أي: على الأخبار المأثورة عن النبيّ والأئمّة الهداة صلوات الله عليهم فتصيب الحقّ، وقيل: على حيث ما يقتضي كلامك السابق، فلا يختلف كلامك بل يتعاضد، ويحتمل أن يكون المراد: على أثر كلام الخصم، أي جوابك مطابق للسؤال، والأوّل أظهر (مرآة العقول).

التفَتَ إلَى الأَحوَلِ، فَقالَ: قَيّاسٌ رَوّاغٌ[1]، تَكسِرُ باطِلاً بِباطِلٍ إلّا أنَّ باطِلَكَ أظهَرُ. ثُمَّ التَفَتَ إلىٰ قَيسٍ الماصِرِ، فَقالَ: تَتَكَلَّمُ وأقرَبُ ما تَكونُ مِنَ الخَبَرِ عَن رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أبعَدَ ما تَكونُ مِنهُ[2]، تَمزُجُ الحَقَّ مَعَ الباطِلِ، وقَليلُ الحَقِّ يَكفي عَن كَثيرِ الباطِلِ، أنتَ والأَحوَلُ قَفّازانِ حاذِقانِ[3].

قالَ يونُسُ: فَظَنَنتُ وَاللهِ أنَّهُ يَقولُ لِهِشامٍ قَريباً مِمّا قالَ لَهُما، ثُمَّ قالَ: يا هِشامُ! لا تَكادُ تَقَعُ تَلوي رِجلَيكَ، إذا هَمَمتَ بِالأَرضِ طِرتَ[4]، مِثلُكَ فَليُكَلِّمِ النّاسَ، فَاتَّقِ الزَّلَّةَ، وَالشَّفاعَةُ مِن وَرائِها إن شاءَ اللهُ[5].

٦ـ **أبو مالك الأحمسيّ**: كانَ رَجُلٌ مِنَ الشُّراةِ[6] يَقدِمُ المَدينَةَ في كُلِّ سَنَةٍ، فَكانَ يَأتي أبا عَبدِاللهِ عليه السلام، فَيودِعُهُ ما يَحتاجُ إلَيهِ، فَأَتاهُ سَنَةً مِن تِلكَ

---

(١) قياس على صيغة المبالغة: أي: أنت كثير القياس، وكذلك روّاغ بإهمال أوّله وإعجام آخره. أي: كثير الروغان، وهو ما يفعله الثعلب من المكر والحيل. ويقال للمصارعة أيضاً (الوافي).

(٢) أي: إذا قربت من الاستشهاد بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمكنك أن تتمسّك به، تركته وأخذت أمراً آخر بعيداً من مطلوبك (الوافي).

(٣) بالقاف والفاء المشدّدة والزاي من القفز: وهو الوثوب. وفي بعض النسخ «قفاران» بالراء، من القفر، وهو: المتابعة والاقتفاء. وفي بعضها بتقديم الفاء على القاف من «فقرت البئر» أي: حفرته (مرآة العقول).

(٤) أيّ: إنّك كلّما قربت من الأرض وخفت الوقوع عليها، لويت رجليك ـ كما هو شأن الطير عند إرادة الطيران ـ ثمّ طرت ولم تقع (مرآة العقول).

(٥) الكافي: ١ / ١٧١ / ٤، الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٩٤، الاحتجاج: ٢ / ٢٧٧ / ٢٤١، بحارالأنوار: ٤٨ / ٢٠٣ / ٧.

(٦) الشراة: اسم اختاره الخوارج لأنفسهم؛ لأنّهم يعتبرون أنفسهم مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾ (البقرة: ٢٠٧).

السِّنينَ وعِندَهُ مُؤمِنُ الطّاقِ، وَالمَجلِسُ غاصٌّ بِأَهلِهِ.

فَقالَ الشّارِي: وَدِدتُ أنّي رَأَيتُ رَجُلاً مِن أصحابِكَ أُكَلِّمُهُ. فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام لِمُؤمِنِ الطّاقِ: كَلِّمهُ يا مُحَمَّدُ. فَكَلَّمَهُ فَقَطَعَهُ سائِلاً ومُجيباً. فَقالَ الشّارِي لِأَبي عَبدِاللهِ عليه السلام: ما ظَنَنتُ أنَّ في أصحابِكَ أحَداً يُحسِنُ هٰكَذا. فَقالَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: إنَّ في أصحابي مَن هُوَ أكثَرُ مِن هٰذا. قالَ: فَأَعجَبَت مُؤمِنَ الطّاقِ نَفسُهُ، فَقالَ: يا سَيِّدي سَرَرتُكَ؟ قالَ: واللهِ لَقَد سَرَرتَني، وَاللهِ لَقَد قَطَعتَهُ، وَاللهِ لَقَد حَصَرتَهُ، واللهِ ما قُلتَ مِنَ الحَقِّ حَرفاً واحِداً! قالَ: وكَيفَ؟ قالَ: لِأَنَّكَ تُكَلِّمُ عَلَى القِياسِ، وَالقِياسُ[1] لَيسَ مِن ديني[2].

٧ـ تصحيح الاعتقاد: رُوِيَ أنَّ الصّادِقَ عليه السلام نَهىٰ رَجُلاً عَنِ الكَلامِ، وأمَرَ آخَرَ بِهِ، فَقالَ لَهُ بَعضُ أصحابِهِ: جُعِلتُ فِداكَ، نَهَيتَ فُلاناً عَنِ الكَلامِ وأمَرتَ هٰذا بِهِ! فَقالَ عليه السلام: هٰذا أبصَرُ بِالحُجَجِ وأرفَقُ مِنهُ[3].

---

(١) القياس المنهيّ عنه في الأحاديث يُقسم إلىٰ نوعين: أحدهما القياس الفقهيّ والعمليّ الذي يجري فيه تطبيق حكم شرعيّ من موضوع علىٰ موضوع آخر بسبب التشابه بين الموضوعين. والآخر هو القياس الاعتقاديّ الذي يتمّ فيه تشبيه وقياس الله بمخلوقاته من أجل معرفته وبيان صفاته وإثبات صفات المخلوق للخالق. وقد بيّنت أحاديث متعدّدة أنّ الله لا يُعرف بالقياس، ومن يصف الله بالقياس فهو في التباس وضلالة (راجع: نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢، الكافي: ١/٧٨/٣ و ص ٩٧/٥، التوحيد: ٤٧/٩). استخدم عمران الصابيّ في حوار له مع الإمام الرضا عليه السلام أُسلوب قياس الخالق بالمخلوق معتبراً أنّ الخالق يتغيّر بخلقه للخلق، فقال له الإمام الرضا عليه السلام: إنّ الله لا يتغيّر بخلقه للخلق (راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٧١).

(٢) رجال الكشّي: ٢/٤٢٩/٣٣١.

(٣) تصحيح الاعتقاد: ٧١.

الفصل الثاني

آدابُ الحِوارِ

٢ / ١

النَّظَرُ إلَى القَولِ لا إلَى القائِلِ

الكتاب

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1].

الحديث

٨ـرسول الله ﷺ: خُذِ الحِكمَةَ، ولا يَضُرُّكَ مِن أيِّ وِعاءٍ خَرَجَت[2].

٩ـالإمام عليّ عليه السلام: لا تَنظُر إلىٰ مَن قالَ، وَانظُر إلىٰ ما قالَ[3].

---

(١) الزمر: ١٧ و ١٨.

(٢) الفردوس: ٢ / ١٦٨ / ٢٨٤١.

(٣) غرر الحكم: ١٠١٨٩، ينابيع المودّة: ٢ / ٤١٣ / ٩٩؛ مائة كلمة للجاحظ: ٢٧ / ١١، كنزالعمّال:

١٠ـ عنه عليه السلام: خُذِ الحِكمَةَ مِمّن أتاكَ بِها، وَانظُر إلىٰ ما قالَ ولا تَنظُر إلىٰ مَن قالَ(١).

١١ـ عنه عليه السلام: ضالَّةُ الحَكيمِ الحِكمَةُ، فَهُوَ يَطلُبُها حَيثُ كانَت(٢).

١٢ـ عنه عليه السلام: العِلمُ ضالَّةُ المُؤمِنِ، فَخُذوهُ ولَو مِن أيدِي المُشرِكينَ، ولا يَأنَفُ أحَدُكُم أن يَأخُذَ الحِكمَةَ مِمَّن سَمِعَها مِنهُ(٣).

١٣ـ عيسى عليه السلام: خُذُوا الحَقَّ مِن أهلِ الباطِلِ، ولا تَأخُذُوا الباطِلَ مِن أهلِ الحَقِّ، كونوا نُقّادَ الكَلامِ(٤).

راجع: كتاب العلم والحكمة في الكتاب والسنّة: آداب التعلّم: ٣ / ١١: قبول الحقّ ممّن أتى به.

٢ / ٢

اِتِّباعُ العِلمِ

الكتاب

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (٥)

⇐ ١٦ / ١٩٧ / ٤٤٢١٨ وح ٤٤٣٩٧.

(١) غرر الحكم: ٥٠٤٨.

(٢) غرر الحكم: ٥٨٩٧.

(٣) جامع بيان العلم: ١ / ١٠١.

(٤) المحاسن: ١ / ٣٥٩ / ٧٦٩، بحار الأنوار: ٢ / ٩٦ / ٣٩.

(٥) البقرة: ١١١.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾(١).

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَايَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٢).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾(٣).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٤).

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَايُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٥).

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٦).

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٧).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٨).

---

(١) آل عمران: ٦٦.

(٢) الأنبياء: ٢٤.

(٣) الحجّ: ٣.

(٤) الحجّ: ٨، لقمان: ٢٠.

(٥) المؤمنون: ١١٧.

(٦) النمل: ٦٤.

(٧) غافر: ٣٥.

(٨) غافر: ٥٦.

الحديث

١٤ـرسول الله ﷺ: مَن أعانَ عَلىٰ خُصومَةٍ بِغَيرِ عِلمٍ، كانَ في سَخَطِ اللهِ حَتّىٰ يَنزِعَ(١).

١٥ـعنه ﷺ: إنَّ مِن خِيارِ اُمَّتي قَوماً... يَتَّبِعونَ البُرهانَ(٢).

١٦ـالإمام زين العابدين عليه السلام: إنَّ أهلَ البَصرَةِ كَتَبوا إلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ عليهما السلام يَسأَلونَهُ عَنِ الصَّمَدِ. فَكَتَبَ إلَيهِم: بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ، أمّا بَعدُ؛ فَلا تَخوضوا فِي القُرآنِ، ولا تُجادِلوا فيهِ، ولا تَتَكَلَّموا فيهِ بِغَيرِ عِلمٍ، فَقَد سَمِعتُ جَدّي رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: مَن قالَ فِي القُرآنِ بِغَيرِ عِلمٍ فَليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النّارِ(٣).

١٧ـزرارة: سَأَلتُ أبا جَعفَرٍ عليه السلام: ما حَقُّ اللهِ عَلَى العِبادِ؟ قالَ: أن يَقولوا ما يَعلَمونَ، ويَقِفوا عِندَ مالا يَعلَمونَ(٤).

١٨ـالإمام الصادق عليه السلام: إنَّ اُناساً دَخَلوا عَلىٰ أبي ـ رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ ـ فَذَكَروا لَهُ خُصومَتَهُم مَعَ النّاسِ، فَقالَ لَهُم: هَل تَعرِفونَ كِتابَ اللهِ، ماكانَ فيهِ ناسِخٌ أو مَنسوخٌ؟ قالوا: لا. فَقالَ لَهُم: وما يَحمِلُكُم عَلَى الخُصومَةِ!

(١) السنن الكبرى: ٦ / ١٣٦ / ١١٤٤٤، المستدرك على الصحيحين: ٤ / ١١٢ / ٧٠٥١ وفيه «حقّ» بدل «علم»، كنزالعمّال: ١ / ٤٤٣ / ١٩١٤.

(٢) حلية الأولياء: ١٦/١.

(٣) التوحيد: ٩٠ / ٥، بحارالأنوار: ٣ / ٢٢٣ / ١٤.

(٤) الكافي: ١ / ٤٣ / ٧، التوحيد: ٤٥٩ / ٢٧ وفيه «حجّة» بدل «حقّ». راجع كتاب العقل والجهل: مايجب على الجاهل.

لَعَلَّكُم تَحِلّونَ حَراماً وتُحَرِّمونَ حَلالاً ولا تَدرونَ، إنَّما يَتَكَلَّمُ في كِتابِ اللهِ مَن يَعرِفُ حَلالَ اللهِ وحَرامَهُ. قالوا لَهُ: أتُريدُ أن تَكونَ مُرجِئَةً؟ قالَ لَهُم أبي: لَقَد عَلِمتُم وَيحَكُم ما أنا بِمُرجِئِيٍّ، ولٰكِنّي اُقَرِّبُكُم إلَى الحَقِّ.[1]

٣ / ٢

الاِهتِمامُ بِالمَجهولاتِ

١٩ـ الإمام عليّ عليه السلام: إنَّ العالِمَ مَن عَرَفَ أنَّ ما يَعلَمُ فيما لا يَعلَمُ قَليلٌ، فَعَدَّ نَفسَهُ بِذٰلِكَ جاهِلاً، فَازدادَ بِما عَرَفَ مِن ذٰلِكَ في طَلَبِ العِلمِ اجتِهاداً، فَما يَزالُ لِلعِلمِ طالِباً، وفيهِ راغِباً، ولَهُ مُستَفيداً، ولِأَهلِهِ خاشِعاً مُهتَمّاً، ولِلصَّمتِ لازِماً، ولِلخَطَإِ حاذِراً، ومِنهُ مُستَحيِياً. وإن وَرَدَ عَلَيهِ ما لا يَعرِفُ، لَم يُنكِر ذٰلِكَ لِما قَرَّرَ بِهِ نَفسَهُ مِنَ الجَهالَةِ.

وإنَّ الجاهِلَ مَن عَدَّ نَفسَهُ بِما جَهِلَ مِن مَعرِفَةِ العِلمِ عالِماً، وبِرَأيِهِ مُكتَفِياً، فَما يَزالُ لِلعُلَماءِ مُباعِداً، وعَلَيهِم زارِياً، ولِمَن خالَفَهُ مُخَطِّئاً، ولِما لَم يَعرِف مِنَ الاُمورِ مُضَلِّلاً، فَإِذا وَرَدَ عَلَيهِ مِنَ الاُمورِ ما لَم يَعرِفهُ، أنكَرَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، وقالَ بِجَهالَتِهِ: ما أعرِفُ هٰذا وما أراهُ كانَ وما أظُنُّ أن يَكُونَ وأنّىٰ كانَ؟ وذٰلِكَ لِثِقَتِهِ بِرَأيِهِ، وقِلَّةِ مَعرِفَتِهِ بِجَهالَتِهِ، فَما يَنفَكُّ

---

(١) الأصول الستّة عشر (أصل زيد الزرّاد): ٦٤، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٩ / ٥٩ وفيه «ولكن أمرتكم بالحقّ».

بِما يَرىٰ مِمّا يَلتَبِسُ عَلَيهِ رَأيُهُ، مِمّا لا يَعرِفُ لِلجَهلِ مُستَفيداً، ولِلحَقِّ مُنكِراً، وفِي الجَهالَةِ مُتَحَيِّراً، وعن طَلَبِ العِلمِ مُستَكبِراً[1].

٢ / ٤

الإستِظهارُ بِالحَقِّ

٢٠ـ الإمام عليّ عليه السلام: بِالحَقِّ يَستَظهِرُ المُحتَجُّ[2].

٢١ـ عنه عليه السلام: مَنِ احتَجَّ بِالحَقِّ فَلَجَ[3] [4].

٢٢ـ عنه عليه السلام: لا يُخصَمُ مَن يَحتَجُّ بِالحَقِّ[5].

٢ / ٥

الإستِرشادُ مِنَ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ

٢٣ـ الإمام عليّ عليه السلام ـ في صِفَةِ القُرآنِ ـ: مَن خاصَمَ بِهِ فَلَجَ، ومَن قاتَلَ بِهِ نُصِرَ، ومَن قامَ بِهِ هُدِيَ إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ[6].

٢٤ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

---

(١) تحف العقول: ٧٣، بحارالأنوار: ٧٧ / ٢٠٣ / ١ و ص ٢٢١ / ٢.

(٢) غرر الحكم: ٤٢٣٥.

(٣) الفلج: الظفر والفوز (الصحاح: ٣٣٥/١).

(٤) غرر الحكم: ٧٧٢٧.

(٥) غرر الحكم: ١٠٦٨٦.

(٦) تفسير العيّاشي: ١ / ٧ / ١٦، بحارالأنوار: ٩٢ / ٢٥ / ٢٦.

ﭐلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1] ـ: يَعني بِالقُرآنِ[2].

٢٥ـ الإمام عليّ عليه السلام ـ لِعَبدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ لَمّا بَعَثَهُ لِلاِحتِجاجِ عَلَى الخَوارِجِ ـ: لاتُخاصِمهُم بِالقُرآنِ، فَإِنَّ القُرآنَ حَمّالٌ ذو وُجوهٍ، تَقولُ ويَقولونَ، ولٰكِن حاجِجهُم (خاصِمهُم) بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُم لَن يَجِدوا عَنها مَحيصاً.[3]

٢٦ـ الإمام الصادق عليه السلام: حاجُّوا النّاسَ بِكَلامي، فَإِن حَجُّوكُم فَأَنَا المَحجوجُ[4].

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الكافي: ٥ / ١٣ / ١، تهذيب الأحكام: ٦ / ١٢٨ / ٢٢٤.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٧٧، بحارالأنوار: ٢ / ٢٤٥ / ٥٦ و ج ٣٣ / ٣٧٦ / ٦٠٦.

(٤) تصحيح الاعتقاد: ٧١.

توضيح لكيفيّة الجدال بالقرآن

أحد طرق الجدال بالقرآن هو الاستفادة من آيات القرآن في الاستدلالات. إلّا أنّ الجدال بالقرآن لا ينحصر بهذه الطريقة فحسب، وإنّما هناك نوع آخر منه وهو استخدام الأساليب التي استخدمها القرآن في مجادلاته مع المشركين وأهل الكتاب.

والشكل الآخر من أشكال استخدام القرآن في الجدال هو الاستفادة من معارف القرآن بشكل غير مباشر، وصياغة الاستدلالات علىٰ أساس المعارف القرآنيّة بدون ذكر آيةٍ معيّنةٍ في الاستدلال.

من الممكن ابتداءً استقاءُ مطلبٍ معيَّنٍ من القرآن الكريم، ولكن يمكن من خلال الجهد الفكري صياغة برهان عقلي علىٰ أساس ذلك المطلب.

وعنوان «الاسترشاد بالقرآن» يشمل هذه الطرق الثلاثة من طرق الاستفادة من القرآن.

وليس من الضرورة التقيّد بالشكل الأوّل، أي: الاستفادة من آيةٍ ما في الاستدلال والجدل. وليس من المصلحة في بعض الظروف الخاصّة، الاستفادة من الآيات القرآنيّة وخاصّة الآيات المتشابهة أو التي يمكن تأويلها، كما ورد في قول الإمام عليّ عليه السلام لابن عبّاس عندما بعثه لمحاججة الخوارج حيث أمره أن لايحاججهم بالقرآن؛ لأنّ الخوارج كانوا أصحاب تأويل ولجاجة، ولهذا كانوا يحملون القرآن علىٰ أوجه شتّىٰ بالشكل الذي يجعله يصبُّ في صالحهم. ولكن كان إذا احتجَّ عليهم بسيرة الرسول لايمكنهم إنكارها.

وإذا أمعنّا النظر في احتجاج الإمام عليّ عليه السلام مع الخوارج، قبل وقعة النهروان نلاحظ أنّه اتّبع هذه الطريقة ذاتها، وألزمهم الحجّة وتاب أكثرهم.

القرآن الكريم نفسه اتّبع هذه الطريقة، وكان يأتي بمصاديق عينيَّة لاتقبل الإنكار من أجل دحض آراء الخصوم. نذكر علىٰ سبيل المثال أنّه ـ قال عند محاجّته الذين اعتبروا المسيح ابن الله، لعدم وجود أبٍ له ـ أنّ آدم يجب أن يكون ابن الله أيضاً، وذلك لعدم وجود أب له، في حين أنّه أنفسهم لايقرّون هذا المطلب[1].

---

(١) ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩).

٦/٢

الصِّدق

٢٧ـالإمام عليّ عليه السلام: مَن صَدَقَت لَهجَتُهُ، قَوِيَت حُجَّتُهُ(١).

٢٨ـعنه عليه السلام: مَن صَدَقَت لَهجَتُهُ، صَحَّت حُجَّتُهُ(٢).

٢٩ـعنه عليه السلام: لايُغلَبُ مَن يَحتَجُّ بِالصِّدقِ(٣).

٣٠ـعنه عليه السلام: الكَذّابُ مُتَّهَمٌ في قَولِهِ، وإن قَوِيَت حُجَّتُهُ، وصَدَقَت لَهجَتُهُ(٤).

راجع: الحوار الممدوح، ح ٧١.

٧/٢

الاِستِعانَةُ بِاللهِ

٣١ـالإمام زين العابدين عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ في مَكارِمِ الأَخلاقِ ـ: اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجعَل لي يَداً عَلىٰ مَن ظَلَمَني، ولِساناً عَلىٰ مَن خاصَمَني، وظَفَراً بِمَن عانَدَني(٥).

٣٢ـعنه عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ المُسَمّىٰ بِالإِنجيلِيَّةِ ـ: أعوذُ بِكَ مِن دُعاءٍ مَحجوبٍ،

---

(١) غرر الحكم: ٨٤٨٢.

(٢) غرر الحكم: ٩١٥٤.

(٣) غرر الحكم: ١٠٧٠٣.

(٤) غرر الحكم: ١٨٤٩.

(٥) الصحيفة السجّاديّة: ٨٢، الدعاء ٢٠.

ورَجاءٍ مَكذوبٍ، وحَياءٍ مَسلوبٍ، وَاحتِجاجٍ مَغلوبٍ، ورَأيٍ غَيرِ مُصيبٍ[1].

٣٣ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ لِنوحٍ أبِي اليَقظانِ ـ: أُدعُ بِهٰذَا الدُّعاءِ: اللّٰهُمَّ إنّي ... أسأَلُكَ السَّعَةَ فِي الرِّزقِ، وَالزُّهدَ فِي الكَفافِ، وَالمَخرَجَ بِالبَيانِ مِن كُلِّ شُبهَةٍ، وَالصَّوابَ في كُلِّ حُجَّةٍ، وَالصِّدقَ في جَميعِ المَواطِنِ[2].

(١) بحارالأنوار: ٩٤ / ١٥٩ / ٢٢ نقلاً عن كتاب «أنيس العابدين» من مؤلّفات بعض قدماء أصحابنا رحمهم الله.

(٢) الكافي: ٢ / ٥٩٢ / ٣٢، مصباح المتهجّد: ٢٧٧، إقبال الأعمال: ١ / ٣١٩ عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه الإمام زين العابدين عليهم السلام نحوه وفيه «والفلج بالصواب في كلّ حجّة والصدق فيما عليّ ولي»، بحارالأنوار: ٩٨ / ١٢٦.

الفصل الثالث

آفاتُ الحِوارِ

٣ / ١

اِتِّباعُ الظَّنِّ

الكتاب

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾(١).

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٢).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٣).

(١) النجم: ٢٨.

(٢) الجاثية: ٢٤.

(٣) ص: ٢٧.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(١).

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾(٣).

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(٤).

٣ / ٢

الأَهواءُ النَّفسِيَّةُ

الكتاب

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۞ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۞ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾(٥).

---

(١) الأنعام: ١١٦.

(٢) يونس: ٣٩.

(٣) النور: ١٥.

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) النجم: ١٩ ـ ٢٣.

الحديث

٣٤ـرسول الله ﷺ: مَن تَعَصَّبَ أو تُعُصِّبَ لَهُ، فَقَد خَلَعَ رِبقَ الإِيمانِ مِن عُنُقِهِ(١).

٣٥ـالإمام عليّ عليه السلام: أقرَبُ الآراءِ مِنَ النُّهىٰ، أبعَدُها عَنِ الهَوىٰ(٢).

٣٦ـعنه عليه السلام: خَيرُ الآراءِ، أبعَدُها مِنَ الهَوىٰ وأقرَبُها مِنَ السَّدادِ(٣).

٣٧ـعنه عليه السلام ـ وقَد سأَلَهُ زَيدُ بنُ صَوحانَ العَبديُّ: أيُّ النّاسِ أثبَتُ رَأياً؟ ـ: مَن لَم يَغُرَّهُ النّاسُ مِن نَفسِهِ، ومَن لَم تَغُرَّهُ الدُّنيا بِتَشَوُّفِها(٤) (٥).

٣٨ـعنه عليه السلام: اللَّجاجَةُ تَسُلُّ الرَّأيَ(٦).

٣٩ـعنه عليه السلام: اللَّجوجُ لا رَأيَ لَهُ(٧).

٤٠ـعنه عليه السلام: اللَّجاج يُفسِدُ الرَّأيَ(٨).

٣ / ٣

التَّقليد

الكتاب

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

---

(١) الكافي: ٢ / ٣٠٨ / ٣، ثواب الأعمال: ٢٦٣ / ١ وح ٢ وفيهما «ربقة الإسلام»، بحارالأنوار: ٧٣ / ٢٨٣ / ١ وص ٢٩١ / ١٦ وح ١٧.

(٢ و ٣) غرر الحكم: ٣٠٢٢، ٥٠١١.

(٤) تَشَوَّفتِ المرأةُ: تزَيَّنَت (لسان العرب: ٩ / ١٨٥).

(٥) الفقيه: ٥٨٣٣/٣٨٣/٤، معاني الأخبار: ٤/١٩٩، تنبيه الخواطر: ١٧٤/٢، بحارالأنوار: ١/٣٧٨/٧٧.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٩، بحارالأنوار: ٧٥ / ١٠٤ / ٣٨.

(٧ و ٨) غرر الحكم: ٨٨٧، ١٠٧٨.

ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَايَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَايَهْتَدُونَ﴾[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٢].

الحديث

٤١ـ رسول الله ﷺ: لا تَكونوا إمَّعَةً، تَقولونَ: «إنْ أحسَنَ النّاسُ أحسَنّا، وإنْ ظَلَموا ظَلَمنا»؛ ولكن وَطِّنوا أنفُسَكُم إنْ أحسَنَ النّاسُ أنْ تُحسِنُوا، وإنْ أساؤوا فَلا تَظلِموا[٣].

٤٢ـ الإمام عليّ ﷺ: إنَّ الحَقَّ وَالباطِلَ لا يُعرَفانِ بِالنّاسِ، ولٰكِنِ اعرِفِ الحَقَّ، تَعرِف أهلَهُ، وَاعرِفِ الباطِلَ، تَعرِف مَن أتاهُ[٤].

٤٣ـ عنه ﷺ: إنَّ الحَقَّ وَالباطِلَ لايُعرَفانِ بِالنّاسِ، ولٰكِنِ اعرِفِ الحَقَّ بِاتِّباعِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَالباطِلَ بِاجتِنابِ مَنِ اجتَنَبَهُ[٥].

٤٤ـ الإمام الصادق ﷺ ـ لِرَجُلٍ مِن أصحابِهِ ـ: لا تَكونَنَّ إمَّعَةً، تَقولُ: أنَا مَعَ النّاسِ، وأنَا كَواحِدٍ مِنَ النّاسِ[٦].

---

(١) المائدة: ١٠٤.

(٢) الزخرف: ٢٣. وراجع: البقرة: ١٧٠، الأعراف: ٢٨ ـ ٧٠ و ٧١ و ١٧٣، يونس: ٧٨، الأنبياء: ٥٣ ـ ٥٤، الشعراء: ٧٤ ـ ٧٧، لقمان: ٢١، الزخرف: ١٩ ـ ٢٤، المؤمنون: ٦٨، الصافّات: ٦٩، يوسف: ٤٠، سبأ: ٤٣، النجم: ٢٣، هود: ٦٢ و ٨٧ و ١٠٩، إبراهيم: ١٠، القصص: ٣٦.

(٣) سنن الترمذي: ٢٠٠٧/٣٦٤/٤، كنزالعمّال: ٤٣٠٣٥/٧٧٢/١٥، الترغيب والترهيب: ٢٣/٣٤١/٣ وفيهما «ألّا» بدل «فلا».

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٠.

(٥) الأمالي للطوسي: ١٣٤ / ٢١٦، بحارالأنوار: ٢٢ / ١٠٥ / ٦٤ و ج ٣٢ / ٢٢٨ / ١٧٨.

(٦) معاني الأخبار: ٢٦٦ / ١، تحف العقول: ٤١٣، مستطرفات السرائر: ٨٤ / ٢٩ كلاهما عن الإمام الكاظم ﷺ نحوه، بحارالأنوار: ٢ / ٢١ / ٦٢.

٣ / ٤

المِـراء

الكتاب

﴿فَلَاتُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا[١] وَلَاتَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[٢].

الحديث

٤٥ـرسول الله ﷺ: ذَرُوا المِراءَ، فَإِنَّهُ لاتُفهَمُ حِكمَتُهُ، ولا تُؤمَنُ فِتنَتُهُ[٣].

٤٦ـ عنه ﷺ: لا يَستَكمِلُ عَبدٌ حَقيقَةَ الإيمانِ حَتّىٰ يَدَعَ المِراءَ وإن كانَ مُحِقّاً[٤].

٤٧ـعنه ﷺ: أورَعُ النّاسِ مَن تَرَكَ المِراءَ وإن كانَ مُحِقّاً[٥].

٤٨ـعنه ﷺ: ثَلاثٌ مَن لَقِيَ اللهَ عَزَّوجَلَّ بِهِنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ مِن أيِّ بابٍ شاءَ: مَن حَسُنَ خُلُقُهُ، وخَشِيَ اللهَ فِي المَغيبِ وَالمَحضَرِ، وتَرَكَ المِراءَ وإن كانَ مُحِقّاً[٦].

---

(١) في الفصلين السابقين جرىٰ بيان آداب الحوار وآفاته. واستناداً إلىٰ تلك المطالب فإنَّ المراء الذي تتوفَّر فيه آداب الحوار وتجتنب آفاته يعتبر أمراً مقبولاً، وإلّا فهو مرفوض. وهكذا فإنَّ الأُصول المذكورة إذا روعيت في المراء فإنَّ هذا النوع من المراء مظهر للحقيقة، راجع: فائدة ص ٥٥.

(٢) الكهف: ٢٢.

(٣) منية المريد: ١٧١، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٨ / ٥٠؛ إحياء علوم الدين: ٣ / ١٧٥.

(٤) منية المريد: ١٧١، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٨ / ٥٣؛ إحياء علوم الدين: ٣ / ١٧٥.

(٥) معاني الأخبار: ١٩٦ / ١، الفقيه: ٤ / ٣٩٥ / ٥٨٤٠، الأمالي للصدوق: ٧٣ / ٤١، جامع الأحاديث للقمّي [الغايات]: ١٧٢، بحارالأنوار: ٢ / ١٢٧ / ٣.

(٦) الكافي: ٢ / ٣٠٠ / ٢، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٩ / ٥٥ و ج ٧٣ / ٣٩٩ / ٥.

٤٩ـعنه ﷺ: مَن تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيتاً في أعلَى الجَنَّةِ، ومَن تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُبطِلٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيتاً في رَبَضِ الجَنَّةِ[1].

٥٠ـعنه ﷺ: مَن تَرَكَ الكَذِبَ وهُوَ باطِلٌ بُنِيَ لَهُ قَصرٌ في رَبَضِ[2] الجَنَّةِ، ومَن تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ في وَسَطِها، ومَن حَسُنَ خُلُقُهُ بُنِيَ لَهُ في أعلاها[3].

٥١ـعنه ﷺ: أنَا زَعيمٌ بِبَيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُحِقٌّ، وبِبَيتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ الكَذِبَ وهُوَ مازِحٌ، وبِبَيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَت سَريرَتُهُ[4].

٥٢ـعنه ﷺ: لا خَيرَ فِي المِراءِ وإن كانَ في حَقٍّ[5].

٥٣ـعنه ﷺ: إنَّ مِنَ التَّواضُعِ أن يَرضَى الرَّجُلُ بِالمَجلِسِ دونَ شَرَفِ المَجلِسِ، وأن يُسَلِّمَ عَلىٰ مَن لَقِيَ، وأن يَترُكَ المِراءَ وإن كانَ حَقّاً[6].

٥٤ـعنه ﷺ ـ في وَصِيَّتِهِ لِأَبي ذَرٍّ ـ: لا تَكُن عَيّاباً، ولا مَدّاحاً، ولا طَعّاناً،

---

(١) تنبيه الخواطر: ١٠٨/١، منية المريد: ١٧١ نحوه، بحارالأنوار: ٥١/١٣٨/٢؛ إحياء علوم الدين: ٣ / ١٧٥.

(٢) رَبَض الجنّة: ماحولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المُدُن وتحت القِلاع (النهاية: ٢/١٨٥).

(٣) سنن ابن ماجة: ١ / ١٩ / ٥١، سنن الترمذي: ٤ / ٣٥٨ / ١٩٩٣، كنزالعمّال: ٣ / ٦٤٢ / ٨٣٠٠.

(٤) المعجم الأوسط: ١ / ٢٦٩ / ٨٧٨، سنن أبي داود: ٤ / ٢٥٣ / ٤٨٠٠ نحوه وفيه «حسَّن خلقه» بدل «حسنت سريرته»، كنزالعمّال: ٣ / ٦٤٤ / ٨٣١٠ وص ٦٤٢ / ٨٢٩٩؛ الخصال: ١٤٤ / ١٧٠ نحوه، بحارالأنوار: ٢ / ١٢٨ / ٨.

(٥) ربيع الأبرار: ١ / ٧١٨.

(٦) الجعفريّات: ١٤٩، معاني الأخبار: ٣٨١ / ٩ نحوه، بحارالأنوار: ٧٥ / ١١٨ / ٣ وص ٤٦٥ / ٤.

ولا مُمارِياً[١].

٥٥ـعنهﷺ: لا تُمارِ أخاكَ، ولا تُمازِحهُ، ولا تَعِدَهُ مَوعِداً فَتُخلِفَهُ[٢].

٥٦ـالبيان والتبيين: دَخَلَ السّائِبُ بنُ صَيفِيٍّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أتَعرِفُني؟ فَقالَ: كَيفَ لا أعرِفُ شَريكِيَ الَّذي كانَ لا يُشارينِي ولا يُمارينِي[٣].

٥٧ـالإمام عليّؑ: لا مَحَبَّةَ مَعَ مِراءٍ[٤].

٥٨ـعنهؑ: لا مَحَبَّةَ مَعَ كَثرَةِ المِراءِ[٥].

٥٩ـعنهؑ: سَبَبُ الشَّحناءِ كَثرَةُ المِراءِ[٦].

٦٠ـعنهؑ ـ فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ ـ: عادَيتَ مَن مارَيتَ[٧].

٦١ـعنهؑ ـ فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ ـ: عاداكَ مَن لاحاكَ[٨][٩].

٦٢ـعنهؑ: مَن كَثُرَ مِراؤُهُ لَم يَأمَنِ الغَلَطَ[١٠].

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢ / ٣٧٤ / ٢٦٦١، بحارالأنوار: ٧٧ / ٨٥ / ٣.

(٢) سنن الترمذي: ٤ / ٣٥٩ / ١٩٩٥، كنز العمّال: ٨٢٩٧/٦٤٢/٣؛ تنبيه الخواطر: ١٠٨/١، منية المريد: ١٧٠.

(٣) البيان والتبيين: ٢ / ٢٦؛ عوالي اللآلي: ٢ / ٢٤٥ / ٤ نحوه.

(٤) المائة كلمة للجاحظ: ٢٠/١٨.

(٥) غرر الحكم: ١٠٥٣٢.

(٦) غرر الحكم: ٥٥٢٤ و ح ٤٦٠٧ وفيه «ثمرة المراء الشحناء».

(٧) شرح نهج البلاغة: ١٣٣/٢٧١/٢٠.

(٨) لاحيتُه: إذا نازعتَه. وفي المَثَل: من لاحاك فقد عاداك (الصحاح: ٦ / ٢٤٨١).

(٩) شرح نهج البلاغة: ٩١٧/٣٤١/٢٠.

(١٠) غرر الحكم: ٨١١٥.

٦٣ـعنهعليه السلام: مَن كَثُرَ مِراؤُهُ بِالباطِلِ دامَ عَماؤُهُ عَنِ الحَقِّ[١].

٦٤ـعنهعليه السلام ـ في وَصِيَّتِهِ لِكُمَيلٍ ـ: يا كُمَيلُ إيّاكَ وَالمِراءَ! فَإِنَّكَ تُغري بِنَفسِكَ السُّفَهاءَ إذا فَعَلتَ، وتُفسِدُ الإِخاءَ[٢].

٦٥ـعنهعليه السلام: مَن ضَنَّ بِعِرضِهِ فَليَدَعِ المِراءَ[٣].

٦٦ـعنهعليه السلام: المِراءُ بَذرُ الشَّرِّ[٤].

٦٧ـعنهعليه السلام: جِماعُ الشَّرِّ اللَّجاجُ، وكَثرَةُ المُماراةِ[٥].

٦٨ـعنهعليه السلام: الشَّكُّ عَلىٰ أربَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّماري، وَالهَولِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالاِستِسلامِ: فَمَن جَعَلَ المِراءَ دَيدَناً (ديناً) لَم يُصبِح لَيلُهُ؛ ومَن هالَهُ ما بَينَ يَدَيهِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيهِ؛ ومَن تَرَدَّدَ فِي الرَّيبِ وَطِئَتهُ سَنابِكُ الشَّياطينِ؛ وَمَنِ استَسلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنيا وَالآخِرَةِ هَلَكَ فيهِما[٦].

٦٩ـالإمام الباقرعليه السلام: المُعتَكِفُ لا يَشُمُّ الطّيبَ، ولا يَتَلَذَّذُ بِالرَّيحانِ، ولا يُماري[٧].

٧٠ـالإمام الصادقعليه السلام: إذا صُمتَ فَليَصُم سَمعُكَ وبَصَرُكَ مِنَ الحَرامِ وَالقَبيحِ،

---

(١) غرر الحكم: ٨٨٥٣.

(٢) بشارة المصطفى: ٢٦، بحارالأنوار: ٧٧ / ٢٦٨ / ١.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٣٦٢، بحارالأنوار: ٧٥ / ٢١٢ / ١٠؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٣٠٨ / ٥٢٧.

(٤) غرر الحكم: ٣٩٣.

(٥) غرر الحكم: ٤٧٩٥.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة ٣١، الكافي: ٢ / ٣٩٣ / ١، الخصال: ٢٣٣ / ٧٤ كلاهما نحوه، بحارالأنوار: ٦٨ / ٣٤٨ / ١٧. راجع: الشكّ.

(٧) الكافي: ٤ / ١٧٨ / ٤.

ودَعِ المِراءَ[١].

٧١ـ عنه عليه السلام: مَن يَضمَنُ لي أربَعَةً بِأَربَعَةِ أبياتٍ فِي الجَنَّةِ؟ أنفِق ولا تَخَف فَقراً، وأفشِ السَّلامَ فِي العالَمِ، وَاترُكِ المِراءَ وإن كُنتَ مُحِقّاً، وأنصِفِ النّاسَ مِن نَفسِكَ[٢].

٧٢ـ عنه عليه السلام: لا تُمارِ فَيَذهَبَ بَهاؤُكَ[٣].

٧٣ـ عنه عليه السلام: المِراءُ لا يَخلو مِن أربَعَةِ أوجُهٍ: إمّا أن تَتَمارىٰ أنتَ وصاحِبُكَ فيما تَعلَمانِ، فَقَد تَرَكتُما بِذٰلِكَ النَّصيحَةَ وطَلَبتُمَا الفَضيحَةَ، وأضَعتُما ذٰلِكَ العِلمَ. أو تَجهَلانِهِ، فَأَظهَرتُما جَهلاً وخاصَمتُما جَهلاً. وإمّا تَعلَمُهُ أنتَ فَظَلَمتَ صاحِبَكَ بِطَلَبِ عَثرَتِهِ. أو يَعلَمُهُ صاحِبُكَ فَتَرَكتَ حُرمَتَهُ، ولَم تُنزِلهُ مَنزِلَتَهُ.

وهٰذا كُلُّهُ مُحالٌ، فَمَن أنصَفَ وقَبِلَ الحَقَّ وتَرَكَ المُماراةَ فَقَد أوثَقَ إيمانَهُ وأحسَنَ صُحبَةَ دينِهِ، وصانَ عَقلَهُ[٤].

٧٤ـ عنه عليه السلام: المُؤمِنُ يُداري ولا يُماري[٥].

٧٥ـ عنه عليه السلام ـ في وَصِيَّتِهِ لِمُؤمِنِ الطّاقِ ـ: إيّاكَ وَالمِراءَ فَإِنَّهُ يُحبِطُ عَمَلَكَ،

---

(١) الكافي: ٤ / ٨٧ / ٣، إقبال الأعمال: ١ / ١٩٥، بحارالأنوار: ٩٧ / ٣٥١.

(٢) الكافي: ٢ / ١٤٤ / ٢، الخصال: ٢٢٣ / ٥٢، المحاسن: ١ / ٧٠ / ٢٢ كلاهما نحوه، بحارالأنوار: ٢ / ١٢٨ / ٩.

(٣) الكافي: ٢ / ٦٦٥ / ١٧، تحف العقول: ٤٨٦ عن الإمام العسكريّ عليه السلام، مشكاة الأنوار: ٥٥٠ / ١٨٤٨، بحارالأنوار: ٧٦ / ٥٩ / ١٠.

(٤) منية المريد: ١٧١، مصباح الشريعة: ٢٧٠، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٥ / ٣٢.

(٥) أعلام الدين: ٣٠٣، بحارالأنوار: ٧٨ / ٢٧٧ / ١١٣.

وإيّاكَ وَالجِدالَ فَإنَّهُ يوبِقُكَ، وإيّاكَ وكَثرَةَ الخُصوماتِ فَإنَّها تُبعِدُكَ مِنَ اللهِ[1].

٧٦ـالإمام الهادي عليه السلام: المِراءُ يُفسِدُ الصَّداقَةَ القَديمَةَ، ويُحَلِّلُ العُقدَةَ الوَثيقَةَ، وأقَلُّ ما فيهِ أن تَكونَ فيهِ المُغالَبَةُ، والمُغالَبَةُ اُسُّ أسبابِ القَطيعَةِ[2].

٧٧ـلقمان عليه السلام ـ لِابنِهِ ـ: مَن يُحِبُّ المِراءَ يَشتِم[3].

٧٨ـسليمان بن داود عليه السلام ـ لِابنِهِ ـ: دَعِ المِراءَ! فَإنَّ نَفعَهُ قَليلٌ، وهُوَ يُهَيِّجُ العَداوَةَ بَينَ الإخوانِ[4].

راجع: ح ١٠٦.

فائدة

يستفاد من كتب اللغة أنّ المراء يُطلق على نوع من المجادلة التي يكون الشخص فيها في حيرة من جهة، ويتعامل مع الطرف المقابل بإنكار وجحود من جهة أخرىٰ؛ ويحاول استلال مطالب وآراء الطرف المقابل من لسانه، ودحضها وإنكارها من أجل التغلّب عليه[5].

وعلىٰ هذا، فإنَّ المراء يُستخدم في الجدال الباطل وليس في

---

(١) تحف العقول: ٣٠٩، بحارالأنوار: ٧٨ / ٢٨٨ / ٢.

(٢) أعلام الدين: ٣١١، بحارالأنوار: ٧٨ / ٣٦٩ / ٤.

(٣) الكافي: ٢ / ٦٤٢ / ٩، قصص الأنبياء: ١٩١ / ٢٣٩، بحارالأنوار: ١٣ / ٤١٧ / ١١ و ص ٤٢٦ / ٢٠.

(٤) سنن الدارمي: ١ / ٩٦ / ٣٠٨؛ تنبيه الخواطر: ٢ / ١٢ وفيه «يا بُنيَّ إيّاك والمراء، فإنّه ليست فيه منفعة وهو...».

(٥) راجع: الصحاح: ٦ / ٢٤٩١، النهاية: ٤ / ٣٢٢، لسان العرب: ١٥ / ٢٧٨.

الجدال الحقّ؛ وذلك لأنّ الجدال الحقّ عبارة عن مناظرة تكون فيها لدى المُحاور آراء ومطالب مستقاة من القرآن والسنّة، ولا يشكّ فيها، هذا من جهة، ومن جهة أُخرىٰ يكون هدفه من المناظرة إظهار الحقيقة، والردّ على الشبهات الواردة في هذا المجال.

والنتيجة هي أنّ المناظر سواء كان علىٰ حقّ أم علىٰ باطل، فإنّ المراء بالخصائص المذكورة آنفاً ليس بجائز(١).

٣ / ٥

الخُصومَة

٧٩ـ الإمام عليّ عليه السلام: إيّاكُم وَالمِراءَ وَالخُصومَةَ! فَإِنَّهُما يُمرِضانِ القُلوبَ عَلَى الإِخوانِ، ويُنبِتُ عَلَيهِمَا النِّفاقَ(٢).

٨٠ـ جابر: قالَ لي مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ عليه السلام: يا جابِرُ! لا تُخاصِم؛ فَإِنَّ الخُصومَةَ تُكَذِّبُ القُرآنَ(٣).

٨١ـ الإمام الصادق عليه السلام: لا يُخاصِمُ إلّا مَن قَد ضاقَ بِما في صَدرِهِ(٤).

٨٢ـ عنه عليه السلام: لا يُخاصِمُ إلّا شاكٌّ، أو مَن لا وَرَعَ لَهُ(٥).

---

(١) راجع: مرآة العقول: ١٠/١٣٠ـ ١٣٦.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٠٠ / ١، منية المريد: ٣١٧، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٩ / ٥٦ وج ٧٣ / ٣٩٩ / ٥.

(٣) الطبقات الكبرى: ٥/٣٢١.

(٤) التوحيد: ٤٦١ / ٣٥.

(٥) التوحيد: ٤٦٠ / ٣٠ وص ٤٥٨ / ٢٣ نحوه، الأُصول الستّة عشر (أصل مثنّى بن الوليد الحنّاط): ١٠٢ وفيه «شاكّ في دينه»، بحارالأنوار: ٢ / ١٤٠ / ٦١.

٣/٦

الغَضَب

٨٣ـالإمام عليّ عليه السلام: شِدَّةُ الغَضَبِ تُغَيِّرُ المَنطِقَ، وتَقطَعُ مادَّةَ الحُجَّةِ، وتُفَرِّقُ الفَهمَ[١].

٨٤ـعنه عليه السلام: دَعِ الحِدَّةَ، وتَفَكَّر فِي الحُجَّةِ، وتَحَفَّظ مِنَ الخَطَلِ[٢] تَأمَنِ الزَّلَلَ[٣].

٨٥ـمحمّد بن سنان: المُفَضَّلُ بنُ عُمَر... قالَ ـ لِابنِ أبِي العَوجاءِ بَعدَ أن سَمِعَ كَلامَهُ في رَدِّ الخالِقِ وَالصّانِعِ ـ: يا عَدُوَّ اللهِ! ألحَدتَ في دينِ اللهِ، وأنكَرتَ البارِيَ... فَقالَ ابنُ أبِي العَوجاءِ لِلمُفَضَّلِ: يا هٰذا! إن كُنتَ مِن أهلِ الكَلامِ كَلَّمناكَ، فَإِن ثَبَتَ لَكَ حُجَّةٌ تَبِعناكَ، وإن لَم تَكُن مِنهُم فَلا كَلامَ لَكَ، وإن كُنتَ مِن أصحابِ جَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ فَما هٰكَذا يُخاطِبُنا، ولا بِمِثلِ دَليلِكَ يُجادِلُنا، ولَقَد سَمِعَ مِن كَلامِنا أكثَرَ مِمّا سَمِعتَ، فَما أفحَشَ في خِطابِنا ولا تَعَدّىٰ في جَوابِنا! وإنَّهُ لَلحَليمُ الرَّزينُ، العاقِلُ الرَّصينُ، لا يَعتَريهِ خُرقٌ ولا طَيشٌ ولا نَزَقٌ، يَسمَعُ كَلامَنا، ويُصغي إلَينا، ويَستَعرِفُ حُجَّتَنا حَتّى استَفرَغنا ما عِندَنا، وظَنَنّا أنّا قَد قَطَعناهُ، أدحَضَ حُجَّتَنا بِكَلامٍ يَسيرٍ، وخِطابٍ قَصيرٍ، يُلزِمُنا بِهِ الحُجَّةَ، ويَقطَعُ العُذرَ، ولا نَستَطيعُ لِجَوابِهِ رَدّاً، فَإِن كُنتَ مِن أصحابِهِ،

---

(١) كنز الفوائد: ١ / ٣١٩، بحارالأنوار: ٧١ / ٤٢٨ / ٧٨.

(٢) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب (معجم مقاييس اللغة: «خطل»).

(٣) غرر الحكم: ٥١٣٦.

فَخاطِبنا بِمِثلِ خِطابِهِ[١].

٧/٣

الإستِظهارُ بِالباطِلِ

الكتاب

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٢].

الحديث

٨٦ـ رسول الله ﷺ: لَعَنَ اللهُ الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم شَحّاً. يَعنِي الجِدالَ لِيُدحِضُوا الحَقَّ بِالباطِلِ[٣].

---

(١) بحارالأنوار: ٥٨/٣ نقلاً عن توحيد المفضّل بن عمر.

(٢) غافر: ٥.

(٣) التوحيد: ٤٦١ / ٣٣، الجعفريّات: ١٧١ وفيه «... سحناً. يعني الجدال في الدين».

الفصل الرابع
أحكامُ الحِوارِ

٤ / ١

الحِوارُ المَمدوحُ

الكتاب

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[١].

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

الحديث

٨٧ـ الإمام عليّ عليه السلام ـ فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ ـ: مُرُوا الأَحداثَ بِالمِراءِ

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

وَالجِدالِ، وَالكُهولَ بِالفِكرِ، والشُّيوخَ بِالصَّمتِ[١].

٨٨ـ**الإمام الباقر**عليه السلام: مَن أعانَنا بِلِسانِهِ عَلىٰ عَدُوِّنا، أنطَقَهُ اللهُ بِحُجَّتِهِ يَومَ مَوقِفِهِ بَينَ يَدَيهِ عَزَّوجَلَّ[٢].

٨٩ـ**هشام بن الحكم**: قالَ لي أبو عَبدِاللهِ عليه السلام: ما فَعَلَ ابنُ الطَّيّارِ؟ قُلتُ: ماتَ، قالَ: رَحِمَهُ اللهُ ولَقّاه نَضرَةً وسُروراً، فَقَد كانَ شَديدَ الخُصومَةِ عَنّا أهلَ البَيتِ[٣].

٩٠ـ**أبو القاسم نصر بن الصّباح**: عَبدُالرَّحمٰنِ بنُ الحَجّاجِ شَهِدَ لَهُ أبُو الحَسَنِ عليه السلام بِالجَنَّةِ، وكانَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام يَقولُ لِعَبدِ الرَّحمٰنِ: يا عَبدَالرَّحمٰنِ، كَلِّم أهلَ المَدينَةِ فَإِنّي اُحِبُّ أن يُرىٰ في رِجالِ الشّيعَةِ مِثلُكَ[٤].

٩١ـ**حمّاد**: كانَ أبُو الحَسَنِ عليه السلام يَأمُرُ مُحَمَّدَ بنَ حَكيمٍ أن يُجالِسَ أهلَ المَدينَةِ في مَسجِدِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وأن يُكَلِّمَهُم ويُخاصِمَهُم حَتّىٰ كَلَّمَهُم في صاحِبِ القَبرِ، فَكانَ إذَا انصَرَفَ إلَيهِ قالَ لَهُ: ما قُلتَ لَهُم؟ وما قالوا لَكَ؟ ويَرضىٰ بِذٰلِكَ مِنهُ[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٦٠/٢٨٥/٢٠.

(٢) الأمالي للمفيد: ٧/٣٣، بحارالأنوار: ٣٦/١٣٥/٢.

(٣) رجال الكشّي: ٢/٦٣٨/٦٥١ وح ٦٥٢ عن أبي جعفر الأحول نحوه، بحارالأنوار: ٤٠/١٣٦/٢ وج ٧٣/٤٠٤.

(٤) رجال الكشّي: ٢/٧٤١/٨٣٠، بحارالأنوار: ٤٢/١٣٦/٢ وج ٧٣/٤٠٥.

(٥) رجال الكشّي: ٢/٧٤٦/٨٤٤، بحارالأنوار: ٤٤/١٣٧/٢.

٩٢ـالإمام العسكريعليه السلام: ذُكِرَ عِندَ الصّادِقِ عليه السلام الجِدالُ فِي الدّينِ، وأنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالأَئِمَّةَ عليهم السلام قَد نَهَوا عَنهُ. فَقالَ الصّادِقُ عليه السلام: لَم يُنهَ عَنهُ مُطلَقاً، ولٰكِنَّهُ نُهِيَ عَنِ الجِدالِ بِغَيرِ الَّتي هِيَ أحسَنُ، أما تَسمَعونَ اللهَ عَزَّوجَلَّ يَقولُ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1] وقَولَهُ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].

فَالجِدالُ بِالَّتي هِيَ أحسَنُ قَد قَرَنَهُ العُلَماءُ بِالدّينِ، وَالجِدالُ بِغَيرِ الَّتي هِيَ أحسَنُ مُحَرَّمٌ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلىٰ شيعَتِنا، وكَيفَ يُحَرِّمُ اللهُ الجِدالَ جُملَةً وهُوَ يَقولُ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[3] وقالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4].

فَجَعَلَ عِلمَ الصِّدقِ وَالإِيمانِ بِالبُرهانِ، وهَل يُؤتىٰ بِبُرهانٍ إلّا فِي الجِدالِ بِالَّتي هِيَ أحسَنُ؟

فَقيلَ: يَابنَ رَسولِ اللهِ! فَمَا الجِدالُ بِالَّتي هِيَ أحسَنُ؟ والَّتي لَيسَت بِأَحسَنَ؟

قالَ: أمَّا الجِدالُ بِغَيرِ الَّتي هِيَ أحسَنُ فَأَن تُجادِلَ [بِهِ]، مُبطِلاً فَيورِدُ عَلَيكَ باطِلاً، فَلا تَرُدُّهُ بِحُجَّةٍ قَد نَصَبَهَا اللهُ، ولٰكِن تَجحَدُ قَولَهُ، أو

(١) العنكبوت: ٤٦.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣و ٤) البقرة: ١١١.

تَجحَدُ حَقّاً، يُريدُ ذٰلِكَ المُبطِلُ أن يُعينَ بِهِ باطِلَهُ، فَتَجحَدُ ذٰلِكَ الحَقَّ مَخافَةَ أن يَكونَ لَهُ عَلَيكَ فيهِ حُجَّةٌ، لِأَنَّكَ لاتَدري كَيفَ المَخلَصُ مِنهُ، فَذٰلِكَ حَرامٌ عَلىٰ شيعَتِنا أن يَصيروا فِتنَةً عَلىٰ ضُعَفاءِ إخوانِهِم وعَلَى المُبطِلينَ.

أمَّا المُبطِلونَ فَيَجعَلونَ ضَعفَ الضَّعيفِ مِنكُم إذا تَعاطىٰ مُجادَلَتَهُ، وضَعفَ ما في يَدِهِ، حُجَّةً لَهُ عَلىٰ باطِلِهِ.

وأمَّا الضُّعَفاءُ مِنكُم فَتَغَمُّ قُلوبُهُم لِما يَرَونَ مِن ضَعفِ المُحِقِّ في يَدِ المُبطِلِ.

وأمَّا الجِدالُ بِالَّتي هِيَ أحسَنُ، فَهُوَ ما أمَرَ اللهُ تَعالىٰ بِهِ نَبِيَّهُ أن يُجادِلَ بِهِ مَن جَحَدَ البَعثَ بَعدَ المَوتِ وإحياءَهُ لَهُ، فَقالَ اللهُ تَعالىٰ حاكِياً عَنهُ: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾**[1] فَقالَ اللهُ تَعالىٰ فِي الرَّدِّ عَلَيهِ: **﴿قُلْ ـ يا مُحَمَّد ـ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾** إلىٰ آخِرِ السّورَةِ.

فَأَرادَ اللهُ مِن نَبِيِّهِ أن يُجادِلَ المُبطِلَ الَّذي قالَ: كَيفَ يَجوزُ أن يُبعَثَ هٰذِهِ العِظامُ وهِيَ رَميمٌ؟ فَقالَ اللهُ تَعالىٰ: **﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**[2] أفَيَعجِزُ مَنِ ابتَدَأَ بِهِ لا مِن شَيءٍ أن يُعيدَهُ بَعدَ أن يَبلىٰ؟ بَلِ ابتِداؤُهُ أصعَبُ عِندَكُم مِن إعادَتِهِ.

(١ و ٢) يٰس: ٧٨ و ٧٩.

ثُمَّ قالَ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[1] أي إذا أكمَنَ النّارَ الحارَّةَ فِي الشَّجَرِ الأَخضَرِ الرَّطبِ، ثُمَّ يَستَخرِجُها فعَرَّفكُم أنَّهُ علىٰ إعادَةِ ما بَلِيَ أقدَرُ.

ثُمَّ قالَ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] أي: إذا كانَ خَلقُ السَّماواتِ وَالأَرضِ أعظَمَ وأبعَدَ في أوهامِكُم وقَدَرِكُم أَن تَقدِروا عَلَيهِ مِن إعادَةِ البالي، فكَيفَ جَوَّزتُم مِنَ اللهِ خَلقَ هٰذَا الأَعجَبِ عِندَكُم، وَالأَصعَبِ لَدَيكُم، ولَم تُجَوِّزوا مِنهُ [خَلقَ] ما هُوَ أسهَلُ عِندَكُم مِن إعادَةِ البالي؟

فَقالَ الصّادِقُ عليه السلام: فَهٰذَا الجِدالُ بِالَّتي هِيَ أحسَنُ، لِأَنَّ فيها قَطعَ عُذرِ الكافِرينَ وإزالَةَ شُبَهِهِم.

وأمّا الجِدالُ بِغَيرِ الَّتي هِيَ أحسَنُ، فَأَن تَجحَدَ حَقّاً لايُمكِنُكَ أن تُفَرِّقَ بَينَهُ وبَينَ باطِلِ مَن تُجادِلُهُ، وإنَّما تَدفَعُهُ عَن باطِلِهِ، بِأَن تَجحَدَ الحَقَّ، فَهٰذا هُوَ المُحَرَّمُ، لِأَنَّكَ مِثلُهُ، جَحَدَ هُوَ حَقّاً، وجَحَدت أنتَ حَقّاً آخَرَ.

وقالَ أبو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ العَسكَرِيُّ عليه السلام: فَقامَ إلَيهِ رَجُلٌ آخَرُ وقالَ: يَابنَ رَسولِ اللهِ، أفجادَلَ رَسولُ اللهِ؟

فَقالَ الصّادِقُ عليه السلام: مَهما ظَنَنتَ بِرَسولِ اللهِ مِن شَيءٍ، فَلا تَظُنَّنَّ بِهِ

(١ و ٢) يس: ٨٠ و ٨١.

مُخالَفَةَ اللهِ. أَلَيسَ اللهُ قَد قالَ: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١)؟! وقالَ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢)؟! لِمَن ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً؟ أفتَظُنُّ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خالَفَ ما أمَرَهُ اللهُ بِهِ، فَلَم يُجادِل بِما أمَرَهُ اللهُ بِهِ، ولَم يُخبِر عَن [أمرِ] اللهِ بِما أمَرَهُ أن يُخبِرَ بِهِ [عَنهُ]؟!(٣)

٤ / ٢

الحِوارُ المَذمومُ

٤ / ٢ ـ ١

الجِدالُ فِي القُرآنِ

الكتاب

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾(٤).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾(٦).

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) يس: ٧٩.

(٣) الاحتجاج: ٢٠/٢٣/١، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٥٢٧ / ٣٢٢، بحارالأنوار: ٢ / ١٢٥ / ٢ وج ٩ / ٢٥٥ / ١ وج ٧٣ / ٤٠٢.

(٤) الكهف: ٥٤.

(٥) الأنعام: ٦٨.

(٦) غافر: ٦٩.

﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾[1].

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[2].

الحديث

٩٣ـأبو أُمامة: إنَّ رَسـولَ اللهِ ﷺ خَـرَجَ عَـلَى النّـاسِ وهُـم يَـتَنازَعونَ فِـي القُرآنِ، فَغَضِبَ غَضباً شَديداً، حَتّىٰ كَأَنَّما صُبَّ عَلىٰ وَجهِهِ الخِـلُّ، ثُمَّ قالَ ﷺ: «لاتَضرِبوا كِتابَ اللهِ بَعضَهُ بِبَعضٍ، فَإِنَّهُ ما ضَلَّ قَومٌ قَـطُّ إلّا اُوتُـوا الجَـدَلَ، ثُـمَّ تَـلا: ﴿مَـا ضَـرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُـمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[3] [4].

٩٤ـالإمام الباقر عليه السلام ـ فـي قَـولِ اللهِ تَـعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَـخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾[5] ـ: الكَلامُ فِي اللهِ، وَالجِدالُ فِي القُـرآنِ ﴿فَأَعْـرِضْ عَـنْهُمْ حَـتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[6] [7].

٩٥ـعنه عليه السلام: الَّذينَ يَخوضونَ في آياتِ اللهِ، هُم أصحابُ الخُصوماتِ[8].

٩٦ـعنه عليه السلام: لا تُجالِسوا أصحابَ الخُصوماتِ، فَإِنَّهُمُ الَّذينَ يَخوضونَ في

---

(١) غافر: ٤.

(٢) الشورىٰ: ٣٥.

(٣) الزخرف: ٥٨.

(٤) تفسير الطبري: ١٢/الجزء ٢٥/٨٨.

(٥ و ٦) الأنعام: ٦٨.

(٧) تفسير العيّاشي: ١ / ٣٦٢ / ٣١، بحارالأنوار: ٣ / ٢٦٠ / ٧.

(٨) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٤، الدرّالمنثور: ٣ / ٢٩٢ نقلاً عن عبد بن حميد وابن المنذر وفيه «إنّ أصحاب الأهواء من الذين يخوضون في آيات الله».

آياتِ اللهِ[١].

٩٧ـ رسول الله ﷺ: الجِدالُ فِي القُرآنِ كُفرٌ[٢].

٩٨ـ عنه ﷺ: لا تُجادِلوا فِي القُرآنِ، فَإِنَّ جِدالاً فيهِ كُفرٌ[٣].

٩٩ـ عنه ﷺ: المِراءُ فِي القُرآنِ كُفرٌ[٤].

١٠٠ـ عنه ﷺ: لا تُماروا فِي القُرآنِ، فَإِنَّ المِراءَ فيهِ كُفرٌ[٥].

١٠١ـ أبو سعيد الخدري: كُنّا جُلوساً عَلىٰ بابِ رَسولِ اللهِ ﷺ نَتَذاكَرُ، يَنزِعُ[٦] هٰذا بِآيَةٍ، ويَنزِعُ هٰذا بِآيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَينا رَسولُ اللهِ ﷺ كَما يُفقَأُ في وَجهِهِ حَبُّ الرُّمّانِ، فَقالَ: يا هٰؤُلاءِ، بِهٰذا بُعِثتُم؟ أم بِهٰذا اُمِرتُم؟ لا تَرجِعوا بَعدي كُفّاراً يَضرِبُ بَعضُكُم رِقابَ بَعضٍ[٧].

راجع: الجدال في الدّين، ح ٨١.

---

(١) سنن الدارمي: ١ / ١١٦ / ٤٠٦ وص ٧٦ / ٢١٩، الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٢١، الدرّ المنثور: ٣ / ٢٩٢ نقلاً عن عبد بن حميد وابن جرير وأبي نعيم.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٢ / ٢٤٣ / ٢٨٨٣، حلية الأولياء: ٦/ ١٣٤، الدرّ المنثور: ٧ / ٢٧٣ نقلاً عن عبد ابن حميد، كنز العمّال: ١ / ٦١٦ / ٢٨٣٧.

(٣) مسند الطيالسي: ٣٠٢ / ٢٢٨٦، كنز العمّال: ١ / ٦١٥ / ٢٨٣٦.

(٤) سنن أبي داود: ٤/١٩٩/٤٦٠٣، المستدرك على الصحيحين: ٢/٢٤٣/٢٨٨٢، تاريخ بغداد: ٤/٨١/١٧١٦، كنز العمّال: ١/٦١٦/٢٨٣٨؛ تفسير العيّاشي: ١ / ١٨ / ٣ عن الإمام الرضا ﵇ وفيه «كتاب الله» بدل «القرآن».

(٥) المعجم الكبير: ٥ / ١٥٢ / ٤٩١٦، مسند ابن حنبل: ٦ / ١٧٣ / ١٧٥٥٠ وص ٢٤٤ / ١٧٨٣٦ كلاهما نحوه، كنز العمّال: ١ / ٦١٩ / ٢٨٦٠.

(٦) ينزع: أي ينجذب ويميل (النهاية: ٥ / ٤١).

(٧) المعجم الكبير: ٦/٣٧/٥٤٤٢، الترغيب والترهيب: ١/١٣٢/٤، وراجع سنن ابن ماجة: ١/٣٣/٨٥، مسند ابن حنبل: ٢ / ٦٣٢ / ٦٨٦٠.

٤ / ٢ـ٢

الجِدالُ فِي الدِّينِ

الكتاب

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾(١).

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾(٢).

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٣).

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾(٤).

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾(٥).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾(٦).

---

(١) الشورىٰ: ١٦.

(٢) الشورىٰ: ١٨.

(٣) الزخرف: ٥٨.

(٤) القمر: ٣٦.

(٥) النجم: ٨ـ١٢.

(٦) النمل: ٤٥ـ٤٧.

الحديث

١٠٢ ـ أبو الدرداء وأبو أُمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك: خَرَجَ عَلَينا رَسولُ اللهِ ﷺ يوماً ونَحنُ نَتمارىٰ في شَيءٍ مِن أمرِ الدّينِ، فَغَضِبَ غَضَباً شَديداً لَم يَغضَب مِثلَهُ، ثُمَّ انتَهَرَنا[١]، فَقالَ: مَهلاً يا اُمَّةَ مُحَمَّدٍ! إنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم بِهٰذا، ذَرُوا المِراءَ لِقِلَّةِ خَيرِهِ، ذَرُوا المِراءَ[٢] فَإِنَّ المُؤمِنَ لا يُماري، ذَرُوا المِراءَ فَإِنَّ المُماري قَد تَمَّت[٣] خَسارَتُهُ، ذَرُوا المِراءَ فَكَفاكَ إثماً أن لا تَزالَ مُمارِياً، ذَرُوا المِراءَ فَإِنَّ المُماري لا أشفَعُ لَهُ يَومَ القِيامَةِ، ذَرُوا المِراءَ فَأَنَا زَعيمٌ بِثَلاثَةِ أبياتٍ[٤] فِي الجَنَّةِ في رِياضِها ووَسَطِها وأعلاها لِمَن تَرَكَ المِراءَ وَهُوَ صادِقٌ، ذَرُوا المِراءَ فَإِنَّ أوَّلَ ما نَهاني عَنهُ رَبّي بَعدَ عِبادَةِ الأَوثانِ المِراءُ[٥].

١٠٣ ـ رسول الله ﷺ: لَعَنَ اللهُ المُجادِلونَ في دينِ اللهِ عَلىٰ لِسانِ سَبعينَ نَبِيّاً، ومَن جادَلَ في آياتِ اللهِ فَقَد كَفَرَ، قالَ اللهُ عَزَّوجَلَّ: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾[٦][٧].

---

(١) انتهر فلاناً: بالغ في نهره (معجم مقاييس اللغة: «انتَهَرَ»).

(٢) في المعجم الكبير: «أخذوا المراء» والظاهر أنّه تصحيف، وما في المتن من كنز العمّال، والترغيب والترهيب.

(٣) في المعجم الكبير: «نَمَت» وما في المتن من كنز العمّال، والترغيب والترهيب.

(٤) في المعجم الكبير: «بثلاث آيات» وهو تصحيف، وما في المتن من كنز العمّال، والترغيب والترهيب.

(٥) المعجم الكبير: ٨/ ١٥٢/ ٧٦٥٩، الترغيب والترهيب: ١/ ١٣١/ ٢، كنز العمّال: ٣/ ٦٤٤/ ٨٣١٢؛ منية المريد: ٣١٦، بحار الأنوار: ٢/ ١٣٨/ ٥٤.

(٦) غافر: ٤.

١٠٤ـأبو أمامة: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «ما ضَلَّ قَومٌ بَعدَ هُدًى كانوا عَلَيهِ إلّا اُوتُوا الجَدَلَ»، ثُمَّ تَلا رَسولُ اللهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[8][9].

١٠٥ـرسول الله ﷺ: ما ثارَ قَومٌ فِتنَةً إلّا اُوتوا بِها جَدَلاً، وما ثارَ قَومٌ في فِتنَةٍ إلّا كانوا لَها حَرَزاً[10].

١٠٦ـالإمام عليّ عليه السلام: الجَدَلُ فِي الدّين يُفسِدُ اليَقينَ[11].

١٠٧ـعنه عليه السلام: مَن طَلَبَ الدّينَ بِالجَدَلِ تَزَندَقَ[12].

١٠٨ـعنه عليه السلام: لَعَنَ اللهُ الَّذينَ يُجادِلونَ في دينِهِ، اُولٰئِكَ مَلعونونَ عَلىٰ لِسانِ نَبِيِّهِ ﷺ[13].

١٠٩ـعنه عليه السلام: حَسبُ المَرءِ... مِن إسلامِهِ تَركُهُ ما لا يَعنيهِ، وتَجَنُّبُهُ الجِدالَ

---

(٧) كمال الدين: ٢٥٦ / ١، بحارالأنوار: ٣٦ / ٢٢٧ / ٣.

(٨) الزخرف: ٥٨.

(٩) سنن الترمذي: ٣٢٥٣/٣٧٨/٥، مسند ابن حنبل: ٨ / ٢٧٥ / ٢٢٢٢٦، سنن ابن ماجة: ١ / ١٩ / ٤٨، النهاية: ١ / ٢٤٧ وفيه «ما اُوتي قوم الجدل إلّا ضلّوا»؛ منية المريد: ١٧١ وفيه «ما ضلّ قوم إلّا اُوتوا الجدل»، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٨ / ٥٢، مجمع البحرين: ١ / ٣٥٢ وفيه «ما اُوتي الجدل قوم إلّا ضلّوا».

(١٠) الدرّ المنثور: ٣٨٦/٧ نقلاً عن سعيد بن منصور.

(١١) غرر الحكم: ١١٧٧.

(١٢) الاعتقادات للصدوق: ٤٣.

(١٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٦٥ / ٢٨٧، بحارالأنوار: ٢ / ١٢٩ / ١٣.

وَالمِراءَ في دينِهِ[١].

١١٠ـعنهعليه السلام: الجَدَلُ يورِثُ الرِّياءَ[٢].

١١١ـعنهعليه السلام: إيّاكُم وَالجِدالَ! فَإِنَّهُ يورِثُ الشَّكَّ[٣].

١١٢ـعنهعليه السلام ـ فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ ـ: كَثرَةُ الجِدالِ تورِثُ الشَّكَّ[٤].

١١٣ـالإمام الصادقعليه السلام: إنَّ رَجُلاً قالَ لِلحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ عليهما السلام: اِجلِس حَتّىٰ نَتَناظَرَ فِي الدّينِ. فَقالَ: يا هٰذا أنا بَصيرٌ بِديني، مَكشوفٌ عَلَيَّ هُدايَ، فَإِن كُنتَ جاهِلاً بِدينِكَ فَاذهَب فَاطلُبهُ، مالي ولِلمُماراةِ؟! وإنَّ الشَّيطانَ لَيُوَسوِسُ لِلرَّجُلِ ويُناجيهِ، ويَقولُ: ناظِرِ النّاسَ لِئَلّا يَظُنّوا بِكَ العَجزَ وَالجَهلَ[٥].

١١٤ـعنهعليه السلام ـ في وَصِيَّتِهِ لِمُحَمَّدِ بنِ النُّعمانِ ـ: يَابنَ النُّعمانِ! إيّاكَ وَالمِراءَ! فَإِنَّهُ يُحبِطُ عَمَلَكَ، وإيّاكَ وَالجِدالَ! فَإِنَّهُ يوبِقُكَ، وإيّاكَ وكَثرَةَ الخُصوماتِ! فَإِنَّها تُبعِدُكَ مِنَ اللهِ[٦].

١١٥ـعليّ بن يقطين: قالَ أبُو الحَسَنِ عليه السلام: مُر أصحابَكَ أن يَكُفّوا مِن ألسِنَتِهِم، ويَدَعُوا الخُصومَةَ فِي الدّينِ، ويَجتَهِدوا في عِبادَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ[٧].

---

(١) كشف الغمّة: ٣ / ١٣٨، بحارالأنوار: ٧٨ / ٨٠ / ٦٦.

(٢) كشف الغمّة: ٣ / ١٣٨، بحارالأنوار: ٧٨ / ٨١ / ٧١.

(٣) الخصال: ٦١٥ / ١٠، تحف العقول: ١٠٦، كنزالفوائد: ١ / ٢٧٩ وزاد فيه «في دين الله»، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٨ / ٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٢٧٢ / ١٤٣.

(٥) منية المريد: ١٧١، مصباح الشريعة: ٢٦٩، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٥ / ٣٢.

(٦) تحف العقول: ٣٠٩، بحارالأنوار: ٧٨ / ٢٨٨ / ٢.

(٧) التوحيد: ٤٦٠ / ٢٩، مشكاة الأنوار: ١٣٥ / ٣١٠، بحارالأنوار: ٨٤ / ٢٦٢ / ٦١.

٤ / ٢ ـ ٣

الجِدالُ فيما تَتَعَذَّرُ مَعرِفَتُهُ

١١٦ ـ لقمان عليه السلام ـ لِابنِهِ ـ : يا بُنَيَّ ! لا تُخاصِم في عِلمِ اللهِ ، فَإِنَّ عِلمَ اللهِ لا يُدرَكُ ولا يُحصىٰ[(١)].

١١٧ ـ أبو عبيدة الحذّاء: قالَ لي أبو جَعفرٍ عليه السلام ـ وأنَا عِندَهُ ـ : إيّاكَ وأصحابَ الكَلامِ وَالخُصوماتِ ومُجالَسَتَهُم ! فَإِنَّهُم تَرَكوا ما اُمِروا بِعِلمِهِ ، وتَكَلَّفوا ما لَم يُؤمَروا بِعِلمِهِ حَتّىٰ تَكَلَّفوا عِلمَ السَّماءِ[(٢)].

١١٨ ـ الإمام الباقر عليه السلام ـ لِأَبي عُبَيدَةَ الحَذّاءِ ـ : يا زِيادُ ! إيّاكَ وَالخُصوماتِ ! فَإِنَّها تورِثُ الشَّكَّ ، وتُحبِطُ[(٣)] العَمَلَ ، وتُردي صاحِبَها ، وعَسىٰ أن يَتَكَلَّمَ بِالشَّيءِ فَلا يُغفَرَ لَهُ .

[يا زِيادُ !][(٤)] إنَّهُ كانَ فيما مَضىٰ قَومٌ تَرَكوا عِلمَ ما وُكِلوا بِهِ ، وطَلَبوا عِلمَ ما كفوهُ حَتّىٰ انتَهىٰ كَلامُهُم إلَى اللهِ عَزَّوجَلَّ فَتَحَيَّروا ، حَتّىٰ أن كانَ الرَّجُلُ لَيُدعىٰ مِن بَينِ يَدَيهِ فَيُجيبُ مِن خَلفِهِ ، ويُدعىٰ مِن خَلفِهِ فَيُجيبُ مِن بَينَ يَدَيهِ[(٥)].

---

(١) الاختصاص : ٣٣٨، بحارالأنوار : ١٣ / ٤٢٩ / ٢٣.

(٢) كشف المحجّة : ٦٣، بحارالأنوار : ٢ / ١٣٧ / ٤٧.

(٣) في الكافي : «تهبط» وما في المتن من المصادر الأُخرى.

(٤) أثبتنا ما بين المعقوفين من المصادر الأُخرى.

(٥) الكافي : ٤/٩٢/١ ، التوحيد : ١١/٤٥٦ ، الأمالي للصدوق : ٦٨٩/٥٠٣ ، المحاسن : ١ / ٣٧١ / ٨١٠، بحارالأنوار : ٣ / ٢٥٩ / ٣.

١١٩ـ أبو عبيدة الحذاء: سَمِعتُ أبا جَعفرٍ عليه السلام يَقولُ: إيّاكُم وأصحابَ الخُصوماتِ وَالكَذّابينَ! فَإِنَّهُم تَرَكوا ما اُمِروا بِعِلمِهِ، وتَكَلَّفوا ما لَم يُؤمَروا بِعِلمِهِ حَتّىٰ تَكَلَّفوا عِلمَ السَّماءِ. يا أبا عُبَيدَةَ! وخالِقِ النّاسَ بِأَخلاقِهِم. يا أبا عُبَيدَةَ! إنّا لا نَعُدُّ الرَّجُلَ فينا عاقِلاً حَتّىٰ يَعرِفَ لَحنَ القَولِ. ثُمَّ قالَ: ﴿لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾(١) (٢).

١٢٠ـ الإمام الصادق عليه السلام: مَن نَصَبَ اللهَ غَرَضاً لِلخُصوماتِ أوشَكَ أن يُكثِرَ الانتِقالَ(٣) (٤).

٤ / ٢ ـ ٤

مَن لا يَنبَغي مُجادَلَتُهُ

١٢١ـ رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تُجادِلوا أهلَ البِدَعِ، فَإِنَّ الشَّيطانَ يُريدُ بِكُمُ الغَيَّ، وَاللهُ يُريدُ بِكُمُ الخَيرَ(٥).

١٢٢ـ عنه صلى الله عليه وآله: إيّاكُم وجِدالَ المَفتونِ! فَإِنَّ كُلَّ مَفتونٍ مُلقىً حُجَّتُهُ إلَى انقِضاءِ مُدَّتِهِ، فَإِذَا انقَضَت مُدَّتُهُ أحرَقَتهُ فِتنَتُهُ بِالنّارِ(٦).

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٠.

(٢) الأُصول الستّة عشر (أصل زيد الزرّاد): ٢٧، التوحيد: ٢٤/٤٥٨ وليس فيه «وتكلّفوا ما لم يؤمروا بعلمه»، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٩ / ٥٨.

(٣) أي من الحقّ إلى الباطل (الوافي).

(٤) الكافي: ٢ / ٣٠١ / ٣، بحارالأنوار: ٧٣ / ٣٩٩ / ٥.

(٥) تاريخ بغداد: ٢ / ٣٨٨.

(٦) الزهد للحسين بن سعيد: ٥ / ٤، علل الشرائع: ٥٩٩ / ٥١ وفيه «ملقن حجّته»، بحارالأنوار: ٧١ / ٢٨٩ / ٥٤.

١٢٣ـعنهﷺ: إذا أحبَبتَ رَجُلاً فَلا تُمارِهِ ولا تُجارِهِ ولا تُشارِهِ[١].

١٢٤ـالإمام عليّعليه السلام ـ مِن وَصِيَّتِهِ لِلحَسَنِ عليه السلام ـ: دَعِ المُماراةَ، ومُجاراةَ مَن لا عَقلَ لَهُ ولا عِلمَ[٢].

١٢٥ـعنهعليه السلام ـ مِن وَصاياهُ لِكُمَيلٍ ـ: يا كُمَيلُ، إذا جادَلتَ فِي اللهِ تَعالىٰ فَلا تُخاطِبِ إلّا مَن يَشبَهُ العُقَلاءَ[٣].

١٢٦ـعنهعليه السلام: عَشرَةٌ يَفتَتِنونَ أنفُسَهُم وغَيرَهُم: ذُو العِلمِ القَليلِ يَتَكَلَّفُ أن يُعَلِّمَ النّاسَ كَثيراً... وطالِبُ العِلمِ يُجادِلُ فيهِ مَن هُوَ أعلَمُ، فَإِذا عَلَّمَهُ لَم يَقبَل مِنهُ[٤].

١٢٧ـعنهعليه السلام ـ في كِتابِهِ إلىٰ رِفاعَةَ ـ: لا تُمارِ سَفيهاً، ولا فَقيهاً، أمَّا الفَقيهُ فَيَحرِمُكَ خَيرَهُ، وأمَّا السَّفيهُ فَيَحزُنُكَ شَرُّهُ[٥].

١٢٨ـعنهعليه السلام: سِتَّةٌ لا يُمارَونَ: الفَقيهُ، وَالرَّئيسُ، وَالدَّنِيُّ، وَالبَذِيُّ، وَالمَرأَةُ، وَالصَّبِيُّ[٦].

١٢٩ـعنهعليه السلام: لا تُلاحِ[٧] الدَّنِيَّ فَيَجتَرِئَ عَلَيكَ[٨].

---

(١) حلية الأولياء: ٥ / ١٣٦، كنزالعمّال: ٩ / ٢٥ / ٢٤٧٥٠؛ الكافي: ٢ / ٦٦٤ / ٩ عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «فلا تمازحه، ولا تماره» بدل «فلا تماره...».

(٢) الأمالي للمفيد: ٢٢٢ / ١، الأمالي للطوسي: ٨ / ٨، بحارالأنوار: ٢ / ١٢٩ / ١٤.

(٣) بشارة المصطفى: ٢٦، بحارالأنوار: ٧٧ / ٢٦٨ / ١.

(٤) الخصال: ٤٣٧ / ٢٥، بحارالأنوار: ٢ / ٥١ / ١٥.

(٥) دعائم الإسلام: ٢/٥٣٤/١٨٩٩.

(٦) غرر الحكم: ٥٦٣٤.

(٧) مُلاحاة الرّجال: أي مقاولتهم ومخاصمتهم (النهاية: ٤ / ٢٤٣).

(٨) غرر الحكم: ١٠٢٢١.

١٣٠ـ عنه ﷺ: لا تُمارِيَنَّ اللَّجوجَ في مَحفِلٍ[١].

١٣١ـ عنه ﷺ: مَن مارَى السَّفيهَ فَلا عَقلَ لَهُ[٢].

١٣٢ـ عنه ﷺ ـ فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ ـ: إثباتُ الحُجَّةِ عَلَى الجاهِلِ سَهلٌ، ولٰكِن إقرارُهُ بِها صَعبٌ[٣].

١٣٣ـ الإمام الحسين ﷺ ـ لِابنِ عَبّاسٍ ـ: لا تُمارِيَنَّ حَليماً ولا سَفيهاً، فَإِنَّ الحَليمَ يَقليكَ[٤]، وَالسَّفيهَ يُرديكَ[٥].

١٣٤ـ الإمام الصادق ﷺ: لا يُمارِيَنَّ أحَدُكُم سَفيهاً ولا حَليماً، فَإِنَّهُ مَن مارىٰ حَليماً أقصاهُ، ومَن مارىٰ سَفيهاً أرداهُ[٦].

١٣٥ـ مسعدة بن صدقة: كَتَبَ أبو عَبدِاللهِ ﷺ إلىٰ رَجُلٍ مِن أصحابِهِ: أمّا بَعدُ، فَلا تُجادِلِ العُلَماءَ، ولا تُمارِ السُّفَهاءَ، فَيُبغِضَكَ العُلَماءُ، ويَشتِمَكَ السُّفَهاءُ[٧].

١٣٦ـ الإمام الصادق ﷺ: وَصِيَّةُ وَرَقَةَ بنِ نَوفِلٍ لِخَديجَةَ بِنتِ خُوَيلِدٍ ﷺ إذا دَخَلَ عَلَيها يَقولُ لَها: يا بِنتَ أخي، لا تُماري جاهِلاً ولا عالِماً، فَإِنَّكِ مَتىٰ

---

(١) غرر الحكم: ١٠٢٠٣.

(٢) غرر الحكم: ٩٠٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣٦٢/٢٩٤/٢٠.

(٤) القِلى: البُغض (النهاية: ٤/ ١٠٥)، وفي بعض نسخ المصادر الخطيّة «يغلبك» بدل «يقليك».

(٥) كنز الفوائد: ٢ / ٣٢، الكافي: ٢ / ٣٠١ / ٤ وفيه «يؤذيك» بدل «يرديك»، مشكاة الأنوار: ٥٥٠ / ١٨٤٨ كلاهما عن الإمام الصادق ﷺ، بحارالأنوار: ٧٨ / ١٢٧ / ١٠ وج ٧٣ / ٤٠٦ / ٨.

(٦) الأمالي للطوسي: ٢٢٥ / ٣٩١، بحارالأنوار: ٧٨ / ١٩٦ / ١٧.

(٧) الكافي: ٩/٨٦/٥.

مارَيتِ جاهِلاً آذاكِ، ومَتى مارَيتِ عالِماً مَنَعَكِ عِلمَهُ، وإنَّما يَسعَدُ بِالعُلَماءِ مَن أطاعَهُم[١].

١٣٧ـعنهﷺ ـ مِن مَواعِظِ لُقمانَ ﷺ لِابنِهِ ـ: يا بُنَيَّ! جالِسِ العُلَماءَ، وزاحِمهُم بِرُكبَتَيكَ، ولا تُجادِلهُم فَيَمنَعوكَ... وَاجعَل في أيّامِكَ ولَياليكَ وساعاتِكَ لِنَفسِكَ نَصيباً في طَلَبِ العِلمِ، فَإِن فاتَكَ لَن تَجِدَ لَهُ تَضييعاً أشَدَّ مِن تَركِهِ، ولا تُمارِيَنَّ فيهِ لَجوجاً، ولا تُجادِلَنَّ فَقيهاً[٢].

١٣٨ـعنهﷺ: كانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ ﷺ يَقولُ: إنَّ المَعرِفَةَ بِكَمالِ دينِ المُسلِمِ تَركُهُ الكَلامَ فيما لايَعنيهِ، وقِلَّةُ مِرائِهِ[٣].

١٣٩ـالإمام الرضاﷺ ـ لِعَبدِالعَظيمِ الحَسَنِيِّ ـ: يا عَبدَالعَظيمِ! أبلِغ عَنّي أولِيائِي السَّلامَ، وقُل لَهُم أن لايَجعَلوا لِلشَّيطانِ عَلىٰ أنفُسِهِم سَبيلاً، ومُرهُم بِالصِّدقِ فِي الحَديثِ، وأداءِ الأَمانَةِ، ومُرهُم بِالسُّكوتِ، وتَركِ الجِدالِ فيما لا يَعنيهِم[٤].

١٤٠ـعنهﷺ: لا تُمارِيَنَّ العُلَماءَ فَيَرفُضوكَ، ولا تُمارِيَنَّ السُّفَهاءَ فَيَجهَلوا عَلَيكَ[٥].

١٤١ـلقمانﷺ ـ لِابنِهِ ـ: يا بُنَيَّ! لا تُجادِلِ العُلَماءَ فَيَمقُتوكَ[٦].

---

(١) الأمالي للطوسي: ٣٠٢ / ٥٩٨، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٠ / ١٦ وج ٧٨ / ٤٤٦ / ٥ وفيهما «أذلّك» بدل «آذاك».

(٢) تفسير القمّي: ٢ / ١٦٤، بحارالأنوار: ١٣ / ٤١١ / ٢.

(٣) الكافي: ٢/٢٤٠/٣٤، الخصال: ٢٩٠/٥٠، مشكاة الأنوار: ١٢٨١/٣٩١، بحارالأنوار: ١١/١٢٩/٢.

(٤) الاختصاص: ٢٤٧.

(٥) الاختصاص: ٢٤٥، بحارالأنوار: ٢ / ١٣٧ / ٤٥.

(٦) تنبيه الخواطر: ١ / ١٠٩.

الفصل الخامس
نَماذِجُ مِنَ الحِواراتِ

١ / ٥
نَماذِجُ مِن حِواراتِ الأَنبِياءِ

الكتاب

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ* فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ* قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ* وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ* وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ* وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ

وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ* قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ* قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ* وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[1].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ* يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ* وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ* قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ* إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ* إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ* فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾[2]

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ

(١) هود: ٢٥ ـ ٣٥.

(٢) هود: ٥٠ ـ ٥٧.

مُجِيبٌ* قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَـٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ* قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٢).

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ* ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ* وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾(٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ* فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ* فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ

---

(١) هود: ٦١ ـ ٦٣.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) الشعراء: ٦٩ ـ ٨١.

إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ* أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ* قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ* قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[٤].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[٥].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا* وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا

---

(١) الأنعام: ٧٥ـ٧٩.

(٢) البقرة: ١٣٩ و ١٤٠.

(٣) يونس: ١٥ و ١٦.

(٤) الزخرف: ٢٣ و ٢٤.

(٥) الإسراء: ٤٢.

مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا* يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا* وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[1].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا* قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا* قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[2].

الحديث

١٤٢ـ زيد بن أسلم: إنَّ أوَّلَ جَبّارٍ كانَ فِي الأَرضِ نُمرودُ، وكانَ النّاسُ يَخرُجونَ فَيَمتارونَ مِن عِندِهِ الطَّعامَ، فَخَرَجَ إبراهيمُ يَمتارُ مَعَ مَن يَمتارُ، فَإِذا مَرَّ بِهِ ناسٌ قالَ: مَن رَبُّكُم؟ قالوا: أنتَ، حَتّىٰ مَرَّ بِهِ إبراهيمُ، قالَ: مَن رَبُّكَ؟ قالَ: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[3] [4].

١٤٣ـ عليّ بن محمّد بن الجهم: حَضَرتُ مَجلِسَ المَأمونِ وعِندَهُ عَلِيُّ بنُ موسَى الرِّضا عليه السلام، فَقالَ لَهُ المَأمونُ: يَابنَ رَسولِ اللهِ، أَلَيسَ مِن قَولِكَ إنَّ

---

(١) الإسراء: ٤٨ ـ ٥٣.

(٢) الإسراء: ٩٤ـ ٩٦.

(٣) البقرة: ٢٥٨.

(٤) تاريخ الطبري: ٢٨٧/١.

الأَنبياءَ مَعصومونَ ؟ قالَ: بَلىٰ، قالَ: فَسَأَلَهُ عَن آياتٍ مِنَ القُرآنِ، فَكانَ فيما سَأَلَهُ أن قالَ لَهُ: فَأَخبِرني عَن قَولِ اللهِ عَزَّوجَلَّ في إبراهيمَ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى﴾[1].

فَقالَ الرِّضاعليه السلام: إنَّ إبراهيمَعليه السلام وَقَعَ إلىٰ ثَلاثَةِ أصنافٍ: صِنفٌ يَعبُدُ الزُّهرَةَ، وصِنفٌ يَعبُدُ القَمَرَ، وَصِنفٌ يَعبُدُ الشَّمسَ. وذٰلِكَ حينَ خَرَجَ مِنَ السَّرَبِ الَّذي اُخفِيَ فيهِ. فَلَمّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ ورَأى الزُّهرَةَ قالَ: هٰذا رَبّي ـ عَلَى الإنكارِ وَالاِستِخبارِ ـ فَلَمّا أفَلَ الكَوكَبُ قالَ: لا اُحِبُّ الآفِلينَ ـ لِأَنَّ الأُفولَ مِن صِفاتِ المُحدَثِ لا مِن صِفاتِ القَديم ـ فَلَمّا رَأى القَمَرَ بازِغاً قالَ: هٰذا رَبّي ـ عَلَى الإنكارِ وَالاِستِخبارِ ـ فَلَمّا أفَلَ قالَ: لَئِن لَم يَهدِني رَبّي لَأَكونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالّينَ. فَلَمّا أصبَحَ ورَأى الشَّمسَ بازِغَةً قالَ: هٰذا رَبّي! هٰذا أكبَرُ مِنَ الزُّهرَةِ وَالقَمَرِ! ـ عَلَى الإنكارِ وَالاِستِخبارِ، لا عَلَى الإخبارِ ـ؛ وَالإِقرارِ، فَلَمّا أفَلَت قالَ لِلأَصنافِ الثَّلاثَةِ مِن عَبَدَةِ الزُّهرَةِ وَالقَمَرِ وَالشَّمسِ: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وإنَّما أرادَ إبراهيمُ بِما قالَ أن يُبَيِّنَ لَهُم بُطلانَ دينِهِم، ويُثبِتَ عِندَهُم أنَّ العِبادَةَ لا تَحِقُّ لِما كانَ بِصِفَةِ الزُّهرَةِ وَالقَمَرِ وَالشَّمسِ،

---

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) الأنعام: ٧٨ و ٧٩.

وإنَّما تَحِقُّ العِبادَةُ لِخالِقِها، وخالِقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ، وكانَ مَا احتَجَّ بِهِ عَلىٰ قَومِهِ مِمّا ألهَمَهُ اللهُ عَزَّوجَلَّ وآتاهُ كَما قالَ اللهُ عَزَّوجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[1] فَقالَ المَأمونُ: للهِ دَرُّكَ يَابنَ رَسولِ اللهِ![2].

٢ / ٥

نَماذِجُ مِن حِواراتِ خاتَمِ الأَنبِياءِ

١٤٤ـالإمام الصادقعليه السلام: لَقَد حَدَّثَني أبي الباقِرُ عليه السلام، عَن جَدّي عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ، عَن أبيهِ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ سَيِّدِالشُّهَداءِ، عَن أبيهِ أميرِالمُؤمِنينَ عليهم السلام أنَّهُ اجتَمَعَ يَوماً عِندَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أهلُ خَمسَةِ أديانٍ: اليَهودُ، وَالنَّصارىٰ، وَالدَّهرِيَّةُ، وَالثَّنَوِيَّةُ، ومُشرِكُو العَرَبِ.

فَقالَتِ اليَهودُ: نَحنُ نَقولُ: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ، وقَد جِئناكَ يا مُحَمَّدُ! لِنَنظُرَ ما تَقولُ؟ فَإِنِ اتَّبَعتَنا فَنَحنُ أسبَقُ إلَى الصَّوابِ مِنكَ وأفضَلُ، وإن خالَفتَنا خَصَمناكَ.

وقالَتِ النَّصارىٰ: نَحنُ نَقولُ: إنَّ المَسيحَ ابنُ اللهِ، اِتَّحَدَ بِهِ، وقَد جِئناكَ لِنَنظُرَ ما تَقولُ، فَإِنِ اتَّبَعتَنا فَنَحنُ أسبَقُ إلَى الصَّوابِ مِنكَ

(١) الأنعام: ٨٣.

(٢) التوحيد: ٢٨/٧٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٩٥/١، الاحتجاج: ٢/٤٢٣/٣٠٨ وذكر الحديث فيهما مفصّلاً، بحارالأنوار: ١١/٧٨/٨.

وأفضَلُ، وإن خالَفتَنا خَصَمناكَ.

وقالَتِ الدَّهرِيَّةُ: نَحنُ نَقولُ: الأَشياءُ لا بُدءَ لَها وهِيَ دائِمَةٌ، وقَد جِئناكَ لِنَنظُرَ فيما تَقولُ، فَإِنِ اتَّبَعتَنا فَنَحنُ أسبَقُ إلَى الصَّوابِ مِنك وأفضَلُ، وإن خالَفتَنا خَصَمناكَ.

وقالَتِ الثَّنَوِيَّةُ: نَحنُ نَقولُ: إنَّ النّورَ وَالظُّلمَةَ هُمَا المُدَبِّرانِ، وقَدجِئناكَ لِنَنظُرَ فيما تَقولُ، فَإِنِ اتَّبَعتَنا فَنَحنُ أسبَقُ إلَى الصَّوابِ مِنكَ، وإن خالَفتَنا خَصَمناكَ.

وقالَ مُشرِكو العَرَبِ: نَحنُ نَقولُ: إنَّ أوثانَنا آلِهَةٌ، وقَدجِئناكَ لِنَنظُرَ فيما تَقولُ، فَإِنِ اتَّبَعتَنا فَنَحنُ أسبَقُ إلَى الصَّوابِ مِنكَ وأفضَلُ، وإن خالَفتَنا خَصَمناكَ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: آمَنتُ بِاللهِ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وكَفَرتُ بِالجِبتِ وَالطّاغوتِ، وبِكُلِّ مَعبودٍ سِواهُ.

ثُمَّ قالَ لَهُم: إنَّ اللهَ تَعالىٰ قَد بَعَثَني كافَّةً لِلنّاسِ بَشيراً، ونَذيراً، وحُجَّةً عَلَى العالَمينَ، وسَيَرُدُّ كَيدَ مَن يَكيدُ دينَهُ في نَحرِهِ.

ثُمَّ قالَ لِليَهودِ: أجِئتُموني لِأَقبَلَ قَولَكُم بِغَيرِ حُجَّةٍ؟

قالوا: لا.

قالَ: فَمَا الَّذي دَعاكُم إلَى القَولِ بِأَنَّ عُزَيراً ابنُ اللهِ؟

قالوا: لِأَنَّهُ أحيىٰ لِبَني إسرائيلَ التَّوراةَ بَعدَ ما ذَهَبَت، ولَم يَفعَل بِها هٰذا إلّا لِأَنَّهُ ابنُهُ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَكَيفَ صارَ عُزَيرٌ ابنَ اللهِ دونَ موسىٰ، وهُوَ الَّذي جاءَهُم بِالتَّوراةِ ورُئِيَ مِنهُ مِنَ المُعجِزاتِ ما قَد عَلِمتُم؟ ولَئِن كانَ عُزَيرٌ ابنَ اللهِ، لِما ظَهَرَ مِن إكرامِهِ بِإحياءِ التَّوراةِ، فَلَقَد كانَ موسىٰ بِالبُنُوَّةِ أولىٰ وأحَقَّ، ولَئِن كانَ هٰذَا المِقدارُ مِن إكرامِهِ لِعُزَيرٍ يوجِبُ لَهُ أنَّهُ ابنُهُ، فَأضعافُ هٰذِهِ الكَرامَةِ لِموسىٰ توجِبُ لَهُ مَنزِلَةً أجَلَّ مِنَ البُنُوَّةِ، لِأنَّكُم إن كُنتُم إنَّما تُريدونَ بِالبُنُوَّةِ الدَّلالَةَ عَلىٰ سَبيلِ ما تُشاهِدونَهُ في دُنياكُم مِن وِلادَةِ الأُمَّهاتِ الأَولادَ بِوَطيءِ آبائِهِم لَهُنَّ، فَقَد كَفَرتُم بِاللهِ تَعالىٰ وشَبَّهتُموهُ بِخَلقِهِ، وأوجَبتُم فيهِ صِفاتَ المُحدَثينَ، ووَجَبَ عِندَكُم أن يَكونَ مُحدَثاً مَخلوقاً، وأن يَكونَ لَهُ خالِقٌ صَنَعَهُ وَابتَدَعَهُ.

قالوا: لَسنا نَعني هٰذا، فَإِنَّ هٰذا كُفرٌ كَما ذَكَرتَ، ولٰكِنّا نَعني أنَّهُ ابنُهُ عَلىٰ مَعنَى الكَرامَةِ، وإن لَم يَكُن هُناكَ وِلادَةٌ، كَما قَد يَقولُ بَعضُ عُلمائِنا لِمَن يُريدُ إكرامَهُ وإبانَتَهُ بِالمَنزِلَةِ مِن غَيرِهِ: «يا بُنَيَّ»، و«إنَّهُ ابني»، لا عَلىٰ إثباتِ وِلادَتِهِ مِنهُ؛ لِأَنَّهُ قَد يَقولُ ذٰلِكَ لِمَن هُوَ أجنَبِيٌّ لا نَسَبَ لَهُ بَينَهُ وبَينَهُ؛ وكَذٰلِكَ لَمّا فَعَلَ اللهُ تَعالىٰ بِعُزَيرٍ مافَعَلَ، كانَ قَدِ اتَّخَذَهُ ابناً عَلَى الكَرامَةِ لا عَلَى الوِلادَةِ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَهٰذا ما قُلتُهُ لَكُم، إنَّهُ إن وَجَبَ عَلىٰ هٰذَا الوَجهِ أن يَكونَ عُزَيرٌ ابنَهُ، فَإِنَّ هٰذِهِ المَنزِلَةَ لِموسىٰ أولىٰ، وإنَّ اللهَ تَعالىٰ يَفضَحُ كُلَّ مُبطِلٍ بِإقرارِهِ ويَقلِبُ عَلَيهِ حُجَّتَهُ، إنَّ الَّذي

احتَجَجتُم بِهِ يُؤَدِّيكُم إلىٰ ما هُوَ أكبَرُ مِمّا ذَكَرتُهُ لَكُم، لِأَنَّكُم قُلتُم: إنَّ عَظيماً مِن عُظَمائِكُم قَد يَقولُ لِأَجنَبِيٍّ لا نَسَبَ بَينَهُ وبَينَهُ: «يا بُنَيَّ»، و«هٰذَا ابني»، لا عَلىٰ طَريقِ الوِلادَةِ، فَقَد تَجِدونَ أيضاً هٰذَا العَظيمَ يَقولُ لِأَجنَبِيٍّ آخَرَ: «هٰذا أخي» ولِآخَرَ: «هٰذا شَيخي» و«أبي» ولِآخَرَ: «هٰذا سَيِّدي» و «يا سَيِّدي»، عَلىٰ سَبيلِ الإكرامِ، وإنَّ مَن زادَهُ فِي الكَرامَةِ زادَهُ في مِثلِ هٰذَا القَولِ؛ فَإذاً يَجوزُ عِندَكُم أن يَكونَ موسىٰ أخاً لِلّهِ، أو شَيخاً لَهُ، أو أباً، أو سَيِّداً؛ لِأَنَّهُ قد زادَهُ فِي الإكرامِ مِمّا لِعُزَيرٍ، كَما أنَّ مَن زادَ رَجُلاً فِي الإكرامِ فَقالَ لَهُ: «يا سَيِّدي» و«يا شَيخي» و «يا عَمّي» و «يا رَئيسي» [و «يا أميري»]، عَلىٰ طَريقِ الإكرامِ، وإنَّ مَن زادَهُ فِي الكَرامَةِ زادَهُ في مِثلِ هٰذَا القَولِ.

أفَيَجوزُ عِندَكُم أن يَكونَ موسىٰ أخاً للهِ، أو شَيخاً، أو عَمّاً، أو رَئيساً، أو سَيِّداً، أو أميراً؛ لِأَنَّهُ قَد زادَهُ فِي الإكرامِ عَلىٰ مَن قالَ لَهُ: «يا شيخي» أو «يا سَيِّدي» أو «يا عَمّي» أو «يا رَئيسي» أو «يا أميري» ؟!

قالَ: فَبُهِتَ القَومُ وتَحَيَّروا وقالوا: يا مُحَمَّدُ ! أجِّلنا نَتَفَكَّرُ فيما قَد قُلتَهُ لَنا. فَقالَ: اُنظُروا فيهِ بِقُلوبٍ مُعتَقِدَةٍ لِلإِنصافِ، يَهدِكُمُ اللهُ تَعالىٰ.

ثُمَّ أقبَلَ ﷺ عَلَى النَّصارىٰ ، فَقالَ لَهُم: وأنتُم قُلتُم: إنَّ القَديمَ عَزَّوجَلَّ اتَّحَدَ بِالمَسيحِ ابنِهِ، فَمَا الَّذي أرَدتُموهُ بِهٰذَا القَولِ ؟ أرَدتُم أنَّ القَديمَ صارَ مُحدَثاً لِوُجودِ هٰذَا المُحدَثِ الَّذي هُوَ عيسىٰ ؟ أو

المُحدَثُ، الَّذي هُوَ عيسىٰ ـ صارَ قَديماً لِوُجودِ القَديمِ الَّـذي هُـوَ اللهُ؟ أو مَعنىٰ قَولِكُم: إنَّهُ اتَّحَدَ بِهِ، أنَّهُ اختَصَّهُ بِكَرامَةٍ لَم يُكرِم بِـها أحَداً سِواهُ؟

فَإن أرَدتُم أنَّ القَديمَ صارَ مُحدَثاً فَقَد أبطَلتُم، لِأَنَّ القَديمَ مُحالٌ أن يَنقَلِبَ فَيَصيرَ مُحدَثاً، وإن أرَدتُم أنَّ المُحدَثَ صارَ قَديماً فَقَد أحَلتُم، لِأَنَّ المُحدَثَ أيضاً مُحالٌ أن يَصيرَ قَديماً.

وإن أرَدتُم أنَّهُ اتَّحَدَ بِهِ بِأَنَّهُ اختَصَّهُ وَاصطَفاهُ عَلىٰ سائِرِ عِبادِهِ، فَقَد أقرَرتُم بِحُدوثِ عيسىٰ، وبِحُدوثِ المَعنَى الَّذي اتَّحَدَ بِهِ مِن أجلِهِ، لِأَنَّهُ إذا كانَ عيسىٰ مُحدَثاً وكانَ اللهُ اتَّحَدَ بِهِ ـ بِأَن أحدَثَ بِهِ مَـعنًى صارَ بِهِ أكرَمَ الخَلقِ عِندَهُ ـ فَقَد صارَ عيسىٰ وذٰلِكَ المَعنىٰ مُحدَثَينِ، وهٰذا خِلافُ ما بَدَأتُم تَقولونَهُ.

قالَ: فَقالَتِ النَّصارىٰ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللهَ تَعالىٰ لَمّا أظهَرَ عَلىٰ يَدِ عيسىٰ مِنَ الأَشياءِ العَجيبَةِ ما أظهَرَ، فَـقَدِ اتَّـخَذَهُ وَلَـداً عَـلىٰ جِـهَةِ الكَرامَةِ.

فَقالَ لَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ: فَقَد سَمِعتُم ما قُـلتُهُ لِـليَهودِ فـي هٰـذَا المَعنَى الَّذي ذَكَرتُموهُ.

ثُمَّ أعادَ ﷺ ذٰلِكَ كُلَّهُ، فَسَكَتوا إلّا رَجُلاً واحِداً مِنهُم فَقالَ لَهُ: يا مُحَمَّدُ! أوَلَستُم تَقولونَ: إنَّ إبراهيمَ خَليلُ اللهِ؟

قالَ: قَد قُلنا ذٰلِكَ.

فَقالَ: فَإذا قُلتُم ذٰلِكَ فَلِمَ مَنَعتُمونا مِن أن نَقولَ: إنَّ عيسَى ابنُ اللهِ ؟

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: إنَّهُما لَن يَشتَبِها لِأنَّ قَولَنا: إنَّ إبراهيمَ خَليلُ اللهِ، فَإنَّما هُوَ مُشتَقٌّ مِنَ الخَلَّةِ أوِ الخُلَّةِ. فَأَمَّا الخَلَّةُ فَإنَّما مَعناهَا الفَقرُ والفاقَةُ، فَقَد كانَ خَليلاً إلىٰ رَبِّهِ فَقيراً [إلَى اللهِ] وإلَيهِ مُنقَطِعاً، وعَن غَيرِهِ مُتَعَفِّفاً مُعرِضاً مُستَغنِياً، وذٰلِكَ لَمّا اُريدَ قَذفُهُ فِي النّارِ فَرُمِيَ بِهِ فِي المَنجَنيقِ فَبَعَثَ اللهُ تَعالىٰ جَبرَئيلَ وقالَ لَهُ: أدرِك عَبدي، فَجاءَهُ فَلَقِيَهُ فِي الهَواءِ، فَقالَ: كَلِّفني ما بَدا لَكَ فَقَد بَعَثَنِي اللهُ لِنُصرَتِكَ.

فَقالَ: بَل حَسبِيَ اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ، إنّي لا أسأَلُ غَيرَهُ، ولا حاجَةَ لي إلّا إلَيهِ، فَسمّاهُ خَليلَهُ أي فَقيرَهُ ومُحتاجَهُ والمُنقَطِعَ إلَيهِ عَمَّن سِواهُ.

وإذا جُعِلَ مَعنىٰ ذٰلِكَ مِنَ الخُلَّةِ [العالِم]، وهُوَ أنَّهُ قَد تَخَلَّلَ مَعانِيَهُ، ووَقَفَ عَلىٰ أسرارٍ لَم يَقِف عَلَيها غَيرُهُ، كانَ مَعناهُ العالِمَ بِهِ وبِاُمورِهِ، ولا يوجِبُ ذٰلِكَ تَشبيهَ اللهِ بِخَلقِهِ، ألا تَرَونَ أنَّهُ إذا لَم يَنقَطِع إلَيهِ لَم يَكُن خَليلَهُ ؟ وإذا لَم يَعلَم بِأَسرارِهِ لَم يَكُن خَليلَهُ ؟ وأنَّ مَن يَلِدُهُ الرَّجُلُ وإن أهانَهُ وأقصاهُ لَم يَخرُج [بِهِ] عَن أن يَكونَ وَلَدَهُ، لِأنَّ مَعنَى الوِلادَةِ قائِمٌ بِهِ ؟

ثُمَّ إن وَجَبَ ـ لِأَنَّهُ قالَ لِإِبراهيمَ خَليلي ـ أن تَقيسوا أنتُم فَتَقولوا: إنَّ عيسىٰ ابنُهُ، وَجَبَ أيضاً كَذٰلِكَ أن تَقولوا لِموسىٰ إنَّهُ ابنُهُ، فَإنَّ الَّذي مَعَهُ مِنَ المُعجِزاتِ لَم يَكُن بِدونِ ما كانَ مَعَ عيسىٰ، فَقولوا: إنَّ

موسىٰ أيضاً ابنُهُ، وأن يَجوزَ أن تَقولوا عَلىٰ هٰذَا المَعنىٰ: إنَّهُ شَيخُهُ وسَيِّدُهُ وعَمُّهُ ورَئيسُهُ وأميرُهُ كَما قَد ذَكَرتُهُ لِليَهودِ.

فَقالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: وفِي الكُتُبِ المُنزَلَةِ أنَّ عيسىٰ قالَ: «أذهَبُ إلىٰ أبي».

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَإن كُنتُم بِذٰلِكَ الكِتابِ تَعمَلونَ فَإنَّ فيهِ: «أذهَبُ إلىٰ أبي وأبيكُم» فَقولوا: إنّ جَميعَ الَّذينَ خاطَبَهُم عيسىٰ كانوا أبناءَ اللهِ، كَما كانَ عيسَى ابنَهُ مِنَ الوَجهِ الَّذي كانَ عيسَى ابنَهُ، ثُمَّ إنَّ ما في هٰذَا الكِتابِ يُبطِلُ عَلَيكُم هٰذَا الَّذي زَعَمتُم أنَّ عيسىٰ مِن جِهَةِ الاِختِصاصِ كانَ ابناً لَهُ، لِأَنَّكُم قُلتُم: إنَّما قُلنا: إنَّهُ ابنُهُ لِأَنَّهُ اختَصَّهُ بِما لَم يَختَصَّ بِهِ غَيرَهُ، وأنتُم تَعلَمونَ أنَّ الَّذي خَصَّ بِهِ عيسىٰ لَم يَخُصَّ بِهِ هٰؤُلاءِ القَومَ الَّذينَ قالَ لَهُم عيسىٰ: أذهَبُ إلىٰ أبي وأبيكُم»، فَبَطَلَ أن يَكونَ الاِختِصاصُ لِعيسىٰ، لِأَنَّهُ قَد ثَبَتَ عِندَكُم بِقولِ عيسىٰ لِمَن لَم يَكُن لَهُ مِثلُ اختِصاصِ عيسىٰ، وأنتُم إنَّما حَكَيتُم لَفظَةَ عيسىٰ وتَأَوَّلتُموها عَلىٰ غَيرِ وَجهِها، لِأَنَّهُ إذا قالَ: «أبي وأبيكُم»، فَقَد أرادَ غَيرَ ما ذَهَبتُم إلَيهِ ونَحَلتُموهُ، وما يُدريكُم لَعَلَّهُ عَنىٰ أذهَبُ إلى آدَمَ، أو إلىٰ نوحٍ، وإنَّ اللهَ يَرفَعُني إلَيهِم ويَجمَعُني مَعَهُم، وآدَمُ أبي وأبوكُم، وكَذٰلِكَ نوحٌ، بَل ما أرادَ غَيرَ هٰذا.

قالَ: فَسَكَتَ النَّصارىٰ وقالوا: ما رَأَينا كَاليَومِ مُجادِلاً ولا مُخاصِماً مِثلَكَ وسَنَنظُرُ في أُمورِنا.

ثُمَّ أقبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلَى الدَّهرِيَّةِ فَقالَ: وأنتُم فَمَا الَّذي دَعاكُم إلَى القَولِ بِأَنَّ الأَشياءَ لا بُدُوَّ لَها وهِيَ دائِمَةٌ لَم تَزَل ولا تَزالُ ؟

فَقالوا: لِأنّا لا نَحكُمُ إلّا بِما نُشاهِدُ، ولَم نَجِد لِلأَشياءِ حَدَثاً، فَحَكَمنا بِأَنّها لَم تَزَل، ولَم نَجِد لَهَا انقِضاءً وفَناءً، فَحَكَمنا بِأَنَّها لا تَزالُ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أفَوَجَدتُم لَها قِدَماً؟ أم وَجَدتُم لَها بَقاءً أبَدَ الآبِدِ ؟ فَإِن قُلتُم: إنَّكُم وَجَدتُم ذٰلِكَ، أنهَضتُم لِأَنفُسِكُم أنَّكُم لَم تَزالوا عَلىٰ هَيئَتِكُم وعُقولِكُم بِلا نِهايَةٍ، ولا تَزالونَ كَذٰلِكَ، ولَئِن قُلتُم هٰذا، دَفَعتُمُ العِيانَ وكَذَّبَكُمُ العالَمونَ الَّذينَ يُشاهِدونَكُم.

قالوا: بَل لَم نُشاهِد لَها قِدَماً، ولا بَقاءً أبَدَ الآبِدِ.

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَلِمَ صِرتُم بِأَن تَحكُموا بِالقِدَمِ وَالبَقاءِ دائِماً، لِأَنَّكُم لَم تُشاهِدوا حُدوثَها، وَانقِضاؤُها أولىٰ مِن تارِكِ التَّميِيزِ لَها مِثلِكُم، فَيَحكُمُ لَها بِالحُدوثِ وَالاِنقِضاءِ وَالاِنقِطاعِ، لِأَنَّهُ لَم يُشاهِد لَها قِدَماً، ولا بَقاءً أبَدَ الآبِدِ.

أوَلَستُم تُشاهِدونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ و[أنَّ] أحَدَهُما بَعدَ الآخَرِ؟

فَقالوا: نَعَم.

فَقالَ: أتَرَونَهُما لَم يَزالا ولا يَزالانِ؟

فَقالوا: نَعَم.

فَقالَ: أفَيَجوزُ عِندَكُمُ اجتِماعُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ؟

فَقالوا: لا.

فَقالَ ﷺ: فَإذاً يَنقَطِعُ أحَدُهُما عَنِ الآخَرِ، فَيَسبِقُ أحَدُهُما، ويَكونُ الثّاني جارِياً بَعدَهُ.

قالوا: كَذٰلِكَ هُوَ.

فَقالَ: قَد حَكَمتُم بِحُدوثِ ما تَقَدَّمَ مِن لَيلٍ ونَهارٍ لَم تُشاهِدوهُما، لا تُنكِروا لِلهِ قُدرَةً.

ثُمَّ قالَ ﷺ: أتَقولونَ ما قَبلَكُم مِنَ اللَّيلِ وَالنَّهارِ مُتَناهٍ أم غَيرُ مُتَناهٍ؟ فَإن قُلتُم: غَيرُ مُتَناهٍ، فَكَيفَ وَصَلَ إلَيكُم آخَرُ بِلا نِهايَةٍ لِأَوَّلِهِ؟ وإن قُلتُم: إنَّهُ مُتَناهٍ، فَقَد كانَ ولا شَيءَ مِنهُما.

قالوا: نَعَم.

قالَ لَهُم: أقُلتُم: إنَّ العالَمَ قَديمٌ غَيرُ مُحدَثٍ، وأنتُم عارِفونَ بِمَعنىٰ ما أقرَرتُم بِهِ، وبِمَعنىٰ ما جَحَدتُموهُ؟

قالوا: نَعَم.

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَهٰذَا الَّذي تُشاهِدونَهُ مِنَ الأَشياءِ بَعضِها إلىٰ بَعضٍ يَفتَقِرُ، لِأَنَّهُ لا قِوامَ لِلبَعضِ إلّا بِما يَتَّصِلُ بِهِ. ألا تَرَى البِناءَ مُحتاجاً بَعضَ أجزائِهِ إلىٰ بَعضٍ وإلّا لَم يَتَّسِق، ولَم يَستَحكِم، وكَذٰلِكَ سائِرُ ما تَرَونَ.

وقالَ ﷺ: فَإذا كانَ هٰذَا المُحتاجُ ـ بَعضُهُ إلىٰ بَعضٍ لِقُوَّتِهِ وتَمامِهِ ـ هُوَ القَديمُ، فَأَخبِروني أن لَو كانَ مُحدَثاً، كَيفَ كانَ يَكونُ؟ وماذا

كانَت تَكونُ صِفَتَهُ؟

قالَ: فَبُهِتوا وعَلِموا أنَّهُم لا يَجِدونَ لِلمُحدَثِ صِفَةً يَصِفونَهُ بِها إلّا وهِيَ مَوجودَةٌ في هٰذَا الَّذي زَعَموا أنَّهُ قَديمٌ، فَوَجَموا[١] وقالوا: سَنَنظُرُ في أمرِنا.

ثُمَّ أقبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلَى الثَّنَوِيَّةِ ـ الَّذين قالوا: النّورُ وَالظُّلمَةُ هُمَا المُدَبِّرانِ ـ فَقالَ: وأنتُم فَمَا الَّذي دَعاكُم إلىٰ ما قُلتُموهُ مِن هٰذا؟

فَقالوا: لِأَنّا وَجَدنَا العالَمَ صِنفَينِ: خَيراً وشَرّاً، ووَجَدنَا الخَيرَ ضِدّاً لِلشَّرِّ، فَأَنكَرنا أن يَكونَ فاعِلٌ واحِدٌ يَفعَلُ الشَّيءَ وضِدَّهُ، بَل لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما فاعِلٌ، ألا تَرىٰ أنَّ الثَّلجَ مُحالٌ أن يَسخُنَ، كَما أنَّ النّارَ مُحالٌ أن تَبرَدَ، فَأَثبَتنا لِذٰلِكَ صانِعَينِ قَديمَينِ: ظُلمَةً ونوراً.

فَقالَ لَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ: أفَلَستُم قَد وَجَدتُم سَواداً وبَياضاً وحُمرَةً وصُفرَةً وخُضرَةً وزُرقَةً؟ وكُلُّ واحِدَةٍ ضِدٌّ لِسائِرِها، لِاستِحالَةِ اجتِماعِ اثنَينِ مِنها في مَحَلٍّ واحِدٍ، كَما كانَ الحَرُّ والبَردُ ضِدَّينِ لِاستِحالَةِ اجتِماعِهِما في مَحَلٍّ واحِدٍ؟

قالوا: نَعَم.

قالَ: فَهَلّا أثبَتُّم بِعَدَدِ كُلِّ لَونٍ صانِعاً قَديماً، لِيَكونَ فاعِلُ كُلِّ ضِدٍّ مِن هٰذِهِ الأَلوانِ غَيرَ فاعِلِ الضِّدِّ الآخَرِ؟! قالَ: فَسَكَتوا.

---

(١) الوُجوم: السكوت على غيظ (لسان العرب: ١٢ / ٦٣٠).

ثُمَّ قالَ: وكَيفَ اختَلَطَ النُّورُ وَالظُّلمَةُ، وهٰذا مِن طَبعِهِ الصُّعودُ وهٰذِهِ مِن طَبعِهَا النُّزولُ؟ أرَأَيتُم لَو أنَّ رَجُلاً أخَذَ شَرقاً يَمشي إلَيهِ والآخَرُ غَرباً، أكانَ يَجوزُ عِندَكُم أن يَلتَقِيا ما داما سائِرَينِ عَلىٰ وُجوهِهِما؟

قالوا: لا.

قالَ: فَوَجَبَ أن لا يَختَلِطَ النّورُ وَالظُّلمَةُ، لِذَهابِ كُلِّ واحِدٍ مِنهُما في غَيرِ جِهَةِ الآخَرِ، فَكَيفَ حَدَثَ هٰذَا العالَمُ مِنِ امتِزاجِ ما هُوَ مُحالٌ أن يَمتَزِجَ؟ بَل هُما مُدَبَّرانِ جَميعاً مَخلوقانِ؟

فَقالوا: سَنَنظُرُ في اُمورِنا.

ثُمَّ أقبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ مُشرِكِي العَرَبِ فَقالَ: وأنتُم فَلِمَ عَبَدتُمُ الأَصنامَ مِن دونِ اللهِ؟

فَقالوا: نَتَقَرَّبُ بِذٰلِكَ إلَى اللهِ تَعالىٰ.

فَقالَ لَهُم: أوَهِيَ سامِعَةٌ مُطيعَةٌ لِرَبِّها، عابِدَةٌ لَهُ، حَتّىٰ تَتَقَرَّبوا بِتَعظيمِها إلَى اللهِ؟

قالوا: لا.

قالَ: فَأَنتُمُ الَّذينَ نَحَتُّموها بِأَيديكُم؟

قالوا: نَعَم. قالَ: فَلَئِن تَعبُدُكُم هِيَ ـ لَو كانَ تَجوزُ مِنهَا العِبادَةُ ـ أحرىٰ مِن أن تَعبُدوها! إذا لَم يَكُن أمَرَكُم بِتَعظيمِها، مَن هُوَ العارِفُ بِمَصالِحِكُم وعَواقِبِكُم وَالحَكيمُ فيما يُكَلِّفُكُم؟!

قالَ: فلَمّا قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ هٰذَا القَولَ اختَلَفوا، فقالَ بَعضُهُم: إنَّ اللهَ قَد حَلَّ في هَياكِلِ رِجالٍ كانوا عَلىٰ هٰذِهِ الصُّوَرِ فَصَوَّرنا هٰذِهِ الصُّوَرَ، نُعَظِّمُها لِتَعظيمِنا تِلكَ الصُّوَرَ الَّتي حَلَّ فيها رَبُّنا.

وقالَ آخَرونَ مِنهُم: إنَّ هٰذِهِ صُوَرُ أقوامٍ سَلَفوا، كانوا مُطيعينَ لِلهِ قَبلَنا فَمَثَّلنا صُوَرَهُم وعَبَدناها تَعظيماً للهِ.

وقالَ آخَرونَ مِنهُم: إنَّ اللهَ لَمّا خَلَقَ آدَمَ، وأمَرَ المَلائِكَةَ بِالسُّجودِ لَهُ فَسَجَدوهُ تَقَرُّباً بِاللهِ، كُنّا نَحنُ أحَقَّ بِالسُّجودِ لِآدَمَ مِنَ المَلائِكَةِ، فَفاتَنا ذٰلِكَ، فَصَوَّرنا صورَتَهُ فَسَجَدنا لَها تَقَرُّباً إلَى اللهِ، كَما تَقَرَّبَتِ المَلائِكَةُ بِالسُّجودِ لِآدَمَ إلَى اللهِ تَعالىٰ، وكَما أُمِرتُم بِالسُّجودِ ـ بِزَعمِكُم ـ إلىٰ جِهَةِ «مَكَّةَ» فَفَعَلتُم، ثُمَّ نَصَبتُم في غَيرِ ذٰلِكَ البَلَدِ بِأَيديكُم مَحاريبَ سَجَدتُم إلَيها وقَصَدتُمُ الكَعبَةَ لا مَحاريبَكُم، وقَصدُكُم بِالكَعبَةِ إلَى اللهِ عَزَّوجَلَّ لا إلَيها.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أخطَأتُمُ الطَّريقَ وضَلَلتُم، أمّا أنتُم ـ وهُوَ ﷺ يُخاطِبُ الَّذينَ قالوا: إنَّ اللهَ يَحِلُّ في هَياكِلِ رِجالٍ كانوا عَلىٰ هٰذِهِ الصُّوَرِ الَّتي صَوَّرناها، فَصَوَّرنا هٰذِهِ الصُّوَرَ نُعَظِّمُها لِتَعظيمِنا لِتِلكَ الصُّوَرِ الَّتي حَلَّ فيها رَبُّنا ـ فَقَد وَصَفتُم رَبَّكُم بِصِفَةِ المَخلوقاتِ، أوَيَحِلُّ رَبُّكُم في شَيءٍ حَتّىٰ يُحيطَ بِهِ ذٰلِكَ الشَّيءُ؟! فَأَيُّ فَرقٍ بَينَهُ إذاً وبَينَ سائِرِ ما يَحِلُّ فيهِ مِن لَونِهِ وطَعمِهِ ورائِحَتِهِ ولينِهِ وخُشونَتِهِ وثِقلِهِ وخِفَّتِهِ؟ ولِمَ صارَ هٰذَا المَحلولُ فيهِ مُحدَثاً وذٰلِكَ قَديماً، دونَ

أن يَكونَ ذٰلِكَ مُحدَثاً وهٰذا قَديماً، وكَيفَ يَحتاجُ إلَى المَحالِ مَن لَم يَزَل قَبلَ المَحالِ، وهُوَ عَزَّوجَلَّ لا يَزالُ كَما لَم يَزَل؟ وإذا وَصَفتُموهُ بِصِفَةِ المُحدَثاتِ فِي الحُلولِ، فَقَد لَزِمَكُم أن تَصِفوهُ بِالزَّوالِ [وَالحُدوثِ]! وإذا وَصَفتُموهُ بِالزَّوالِ وَالحُدوثِ، وَصَفتُموهُ بِالفَناءِ! لِأَنَّ ذٰلِكَ أجمَعُ مِن صِفاتِ الحالِّ وَالمَحلولِ فيهِ، وجَميعُ ذٰلِكَ يُغَيِّرُ الذّاتَ، فَإِن كانَ لَم يَتَغَيَّر ذاتُ الباري تَعالىٰ بِحُلولِهِ في شَيءٍ، جازَ أن لا يَتَغَيَّرَ بِأَن يَتَحَرَّكَ ويَسكُنَ ويَسوَدَّ ويَبيَضَّ ويَحمَرَّ ويَصفَرَّ، وتَحِلَّهُ الصِّفاتُ الَّتي تَتَعاقَبُ عَلَى المَوصوفِ بِها، حَتّىٰ يكونَ فيهِ جَميعُ صِفاتِ المُحدَثينَ، ويَكون مُحدَثاً ـ عَزَّ اللهَ تَعالىٰ عَن ذٰلِكَ.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَإِذا بَطَلَ ما ظَنَنتُموهُ مِن أنَّ اللهَ يَحِلُّ في شَيءٍ، فَقَد فَسَدَ ما بَنَيتُم عَلَيهِ قَولَكُم.

قالَ: فَسَكَتَ القَومُ وقالوا: سَنَنظُرُ في اُمورِنا.

ثُمَّ أقبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلَى الفَريقِ الثّاني فَقالَ [لَهُم]: أخبِرونا عَنكُم إذا عَبَدتُم صُوَرَ مَن كانَ يَعبُدُ اللهَ فَسَجَدتُم لَها وصَلَّيتُم، فَوَضَعتُمُ الوُجوهَ الكَريمَةَ عَلَى التُّرابِ ـ بِالسُّجودِ لَها ـ فَمَا الَّذي أبقَيتُم لِرَبِّ العالَمينَ؟ أما عَلِمتُم أنَّ مِن حَقِّ مَن يَلزَمُ تَعظيمُهُ وعِبادَتُهُ أن لا يُساوىٰ بِهِ عَبدُهُ؟ أرَأَيتُم مَلِكاً أو عَظيماً إذا ساوَيتُموهُ بِعَبيدِهِ فِي التَّعظيمِ وَالخُشوعِ وَالخُضوعِ، أيَكونُ في ذٰلِكَ وَضعٌ مِن حَقِّ الكَبيرِ كَما يَكونُ زِيادَةٌ في تَعظيمِ الصَّغيرِ؟

فَقالوا: نَعَم.

قالَ: أفَلا تَعلَمونَ أنَّكُم مِن حَيثُ تُعَظِّمونَ اللهَ بِتَعظيمِ صُوَرِ عِبادِهِ المُطيعينَ لَهُ، تَزرونَ عَلىٰ رَبِّ العالَمينَ؟

قالَ: فَسَكَتَ القَومُ بَعدَ أن قالوا: سَنَنظُرُ في أُمورِنا.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِلفَريقِ الثّالِثِ: لَقَد ضَرَبتُم لَنا مَثَلاً، وشَبَّهتُمونا بِأَنفُسِكُم ولَسنا سِواءً، وذٰلِكَ أنّا عِبادُ اللهِ مَخلوقونَ مَربوبونَ، نَأتَمِرُ لَهُ فيما أمَرَنا، ونَنزَجِرُ عَمّا زَجَرَنا، ونَعبُدُهُ مِن حَيثُ يُريدُهُ مِنّا، فَإِذا أمَرَنا بِوَجهٍ مِنَ الوُجوهِ أطَعناهُ، ولَم نَتَعَدَّ إلىٰ غَيرِهِ مِمّا لَم يَأمُرنا [بِهِ]، ولَم يَأذَن لَنا، لِأَنّا لا نَدري لَعَلَّهُ إن أرادَ مِنّا الأَوَّلَ فَهُوَ يَكرَهُ الثّانِيَ، وقَد نَهانا أن نَتَقَدَّمَ بَينَ يَدَيهِ، فَلَمّا أمَرَنا أن نَعبُدَهُ بِالتَّوَجُّهِ إلَى الكَعبَةِ أطَعناهُ، ثُمَّ أمَرَنا بِعِبادَتِهِ بِالتَّوَجُّهِ نَحوَها في سائِرِ البُلدانِ الَّتي نَكونُ بِها فَأَطَعناهُ، ولَم نَخرُج في شَيءٍ مِن ذٰلِكَ مِنِ اتِّباعِ أمرِهِ، وَاللهُ عَزَّوجَلَّ حَيثُ أمَرَ بِالسُّجودِ لِآدَمَ لَم يَأمُر بِالسُّجودِ لِصورَتِهِ الَّتي هِيَ غَيرُهُ، فَلَيسَ لَكُم أن تَقيسوا ذٰلِكَ عَلَيهِ، لِأَنَّكُم لا تَدرونَ لَعَلَّهُ يَكرَهُ ما تَفعَلونَ إذ لَم يَأمُركُم بِهِ!

ثُمَّ قالَ لَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ: أرَأَيتُم لَو أذِنَ لَكُم رَجُلٌ دُخولَ دارِهِ يَوماً بِعَينِهِ، ألَكُم أن تَدخُلوها بَعدَ ذٰلِكَ بِغَيرِ أمرِهِ؟ أوَلَكُم أن تَدخُلوا داراً لَهُ أُخرىٰ مِثلَها بِغَيرِ أمرِهِ؟ أو وَهَبَ لَكُم رَجُلٌ ثَوباً مِن ثِيابِهِ، أو عَبداً مِن عَبيدِهِ، أو دابَّةً مِن دَوابِّهِ، ألَكُم أن تَأخُذوا ذٰلِكَ؟

قالوا: نَعَم.

قالَ: فَإِن لَم تَأخُذوهُ أَلَكُم أخذُ آخَرَ مِثلِهِ؟ قالوا: لا، لِأَنَّهُ لَم يَأذَن لَنا فِي الثّاني كَما أذِنَ فِي الأَوَّلِ.

قالَ ﷺ: فَأَخبِروني، اللهُ أولىٰ بِأَن لا يُتَقَدَّمَ عَلىٰ مُلكِهِ بِغَيرِ أمرِهِ أو بَعضُ المَملوكينَ؟

قالوا: بَلِ اللهُ أولىٰ بِأَن لا يُتَصَرَّفَ في مُلكِهِ بِغَيرِ إذنِهِ.

قالَ: فَلِمَ فَعَلتُم؟ ومَتىٰ أمَرَكُم أن تَسجُدوا لِهٰذِهِ الصُّوَرِ؟

قالَ: فَقالَ القَومُ: سَنَنظُرُ في اُمورِنا، وسَكَتوا.

وقالَ الصّادِقُ عليه السلام: فَوَالَّذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ نَبِيّاً ما أتَت عَلىٰ جَماعَتِهِم إلّا ثَلاثَةُ أيّامٍ حَتّىٰ أتَوا رَسولَ اللهِ فَأَسلَموا، وكانوا خَمسَةً وعِشرينَ رَجُلاً، مِن كُلِّ فِرقَةٍ خَمسَةٌ. وقالوا: ما رَأَينا مِثلَ حُجَّتِكَ يا مُحَمَّدُ، نَشهَدُ أنَّكَ رَسولُ اللهِ[1].

١٤٥ـ الإمام العسكري عليه السلام: قُلتُ لِأَبي عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: هَل كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُناظِرُ اليَهودَ وَالمُشرِكينَ إذا عاتَبوهُ ويُحاجُّهُم [إذا حاجّوهُ]؟ قالَ: بَلىٰ مِراراً كَثيرَةً، مِنها ما حَكَى اللهُ مِن قَولِهِم: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ إلىٰ قَولِهِ ـ: ﴿رَجُلاً

(١) الاحتجاج: ١/٢٧ ـ ٤٤/٢٠، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٥٣٠/٣٢٣، بحار الأنوار: ٩/٢٥٧/١.

مَّسْحُورًا﴾[١].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٢].

وقَولُهُ عَزَّوجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ ـ إلىٰ قَولِهِ ـ: ﴿كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾[٣].

ثُمَّ قيلَ لَهُ في آخِرِ ذٰلِكَ: لَو كُنتَ نَبِيّاً كَموسىٰ لَنَزَلَت عَلَينَا الصّاعِقَةُ في مَسأَلَتِنا إلَيكَ، لِأَنَّ مَسأَلَتَنا أشَدُّ مِن مَسائِلِ قَومِ موسىٰ لِموسىٰ عليه السلام.

قالَ: وذٰلِكَ أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كانَ قاعِداً ذاتَ يَومٍ بِمَكَّةَ بِفِناءِ الكَعبَةِ، إذِ اجتَمَعَ جَماعَةٌ مِن رُؤَساءِ قُرَيشٍ، مِنهُمُ الوَليدُ بنُ المُغيرَةِ المَخزومِيُّ، وأبُو البَختَرِيِّ بنُ هِشامٍ، وأبو جَهلٍ، وَالعاصُ بنُ وائِلٍ السَّهمِيُّ، وعَبدُاللهِ بنُ أبي اُمَيَّةَ المَخزومِيُّ، وكانَ مَعَهُم جَمعٌ مِمَّن يَليهِم كَثيرٌ، ورَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله في نَفَرٍ مِن أصحابِهِ يَقرَأُ عَلَيهِم كِتابَ اللهِ، ويُؤَدّي إلَيهِم عَنِ اللهِ أمرَهُ ونَهيَهُ.

فَقالَ المُشرِكونَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: لَقَدِ استَفحَلَ[٤] أمرُ مُحَمَّدٍ وعَظُمَ خَطبُهُ، فَتَعالَوا نَبدَأ بِتَقريعِهِ وتَبكيتِهِ وتَوبيخِهِ وَالِاحتِجاجِ عَلَيهِ وإبطالِ

---

(١) الفرقان: ٧ و ٨.

(٢) الزخرف: ٣١.

(٣) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

(٤) استفحل أمر العدوّ: إذا قوي واشتدّ (لسان العرب: ١١ / ٥١٧).

ما جاءَ بِهِ، لِيَهونَ خَطبُهُ علىٰ أصحابِهِ، ويَصغُرَ قَدرُهُ عِندَهُم، فَلَعَلَّهُ يَنزِعُ عَمّا هُوَ فيهِ مِن غَيِّهِ وباطِلِهِ وتَمَرُّدِهِ وطُغيانِهِ، فَإِنِ انتَهىٰ وإلّا عامَلناهُ بِالسَّيفِ الباتِرِ.

قالَ أبو جَهلٍ: فَمَن ذَا الَّذي يَلي كَلامَهُ ومُجادَلَتَهُ؟ قالَ عَبدُاللهِ بنُ أبي أُمَيَّةَ المَخزومِيُّ: أنَا إلىٰ ذٰلِكَ، أفَما تَرضاني لَهُ قَرناً حَسيباً ومُجادِلاً كَفِيّاً؟ قالَ أبو جَهلٍ: بَلىٰ، فَأَتوهُ بِأَجمَعِهِم، فَابتَدَأَ عَبدُاللهِ بنُ أبي أُمَيَّةَ المَخزومِيُّ فقالَ: يا مُحَمَّدُ، لَقَدِ ادَّعَيتَ دَعوَى عَظيمَةً، وقُلتَ مَقالاً هائِلاً، زَعَمتَ أنَّكَ رَسولُ اللهِ رَبِّ العالَمينَ، وما يَنبَغي لِرَبِّ العالَمينَ، وخالِقِ الخَلقِ أجمَعينَ أن يَكونَ مِثلُكَ رَسولَهُ بَشَراً مِثلَنا، تَأكُلُ كَما نَأكُلُ، وتَشرَبُ كَما نَشرَبُ، وتَمشي فِي الأَسواقِ كَما نَمشي، فَهٰذا مَلِكُ الرّومِ وهٰذا مَلِكُ الفُرسِ لايَبعَثانِ رَسولاً إلّا كَثيرَ المالِ عَظيمَ الحالِ، لَهُ قُصورٌ ودورٌ وفَساطيطُ وخِيامٌ وعَبيدٌ وخُدّامٌ، ورَبُّ العالَمينَ فَوقَ هٰؤُلاءِ كُلِّهِم [أجمَعينَ] فَهُم عَبيدُهُ، ولَو كُنتَ نَبِيّاً لَكانَ مَعَكَ مَلَكٌ يُصَدِّقُكَ ونُشاهِدُهُ، بَل لَو أرادَ اللهُ أن يَبعَثَ إلَينا نَبِيّاً لَكان إنَّما يَبعَثُ إلَينا مَلَكاً لا بَشَراً مِثلَنا. ما أنتَ يا مُحَمَّدُ إلّا رَجُلٌ مَسحوراً ولَستَ بِنَبِيٍّ؟!

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: هَل بَقِيَ مِن كَلامِكَ شَيءٌ؟ قالَ: بَلىٰ، لَو أرادَ اللهُ أن يَبعَثَ إلَينا رَسولاً لَبَعَثَ أجَلَّ مَن فيما بَينَنا مالاً، وأحسَنَهُ حالاً، فَهَلّا نُزِّلَ هٰذَا القُرآنُ الَّذي تَزعُمُ أنَّ اللهَ أنزَلَهُ عَلَيكَ وَابتَعَثَكَ بِهِ رَسولاً ـ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ عَظيمٍ. إمّا الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ بِمَكَّةَ،

وإمّا عُروَةِ بنِ مَسعودٍ الثَّقفِيِّ بِالطّائِفِ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: هَل بَقِيَ مِن كَلامِكَ شَيءٌ يا عَبدَاللهِ؟ فَقالَ: بَلىٰ، لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تَفجُرَ لَنا مِنَ الأَرضِ يَنبوعاً بِمَكَّةَ هٰذِهِ، فَإِنّها ذاتُ أحجارٍ وَعِرَةٍ وجِبالٍ، تَكسَحُ أرضَها وتَحفِرُها، وتُجري فيهَا العُيونَ، فَإِنّنا إلىٰ ذٰلِكَ مُحتاجونَ، أو تَكونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخيلٍ وعِنَبٍ، فتَأكُلَ مِنها وتُطعِمَنا، فتُفَجِّرَ الأَنهارَ خِلالَها خِلالَ تِلكَ النَّخيلِ وَالأعنابِ ـ تَفجيراً أو تُسقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمتَ عَلَينا كِسَفاً، فَإِنَّكَ قُلتَ لَنا: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[1] فَلَعَلَّنا نَقولُ ذٰلِكَ.

ثُمَّ قالَ: [ولَن نُؤمِنَ لَكَ] أو تَأتِيَ بِاللهِ وَالمَلائِكَةِ قَبيلاً، تَأتِي بِهِ وبِهِم وهُم لَنا مُقابِلونَ، أو يَكونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ تُعطينا مِنهُ، وتُغنينا بِهِ فَلَعَلَّنا نَطغىٰ، فَإِنَّكَ قُلتَ لَنا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[2].

ثُمَّ قالَ: أو تَرقىٰ فِي السَّماءِ أي تَصعَدَ فِي السَّماءِ ـ ولَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ أي لِصُعودِكَ ـ حَتّىٰ تُنَزِّلَ عَلَينا كِتاباً نَقرَأُهُ مِنَ اللهِ العَزيزِ الحَكيمِ إلىٰ عَبدِاللهِ بنِ أبي أُمَيَّةَ المَخزومِيِّ ومَن مَعَهُ، بِأَن آمِنوا بِمُحَمَّدِ بنِ عَبدِاللهِ بنِ عَبدِالمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ رَسولي، وصَدِّقوهُ في مَقالِهِ

(١) الطور: ٤٤.

(٢) العلق: ٦ و ٧.

فَإِنَّهُ مِن عِندي.

ثُمَّ لا أدري ـ يا مُحَمَّدُ! ـ إذا فَعَلتَ هٰذا كُلَّهُ أُؤمِنُ بِكَ أو لا أُؤمِنُ بِكَ، بَل لَو رَفَعتَنا إلَى السَّماءِ وفَتَحتَ أبوابَها وأدخَلتَناها لَقُلنا: إنَّما سَكَرَت أبصارُنا وسَحَرتَنا.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: يا عَبدَالله! أبَقِيَ شَيءٌ مِن كَلامِكَ؟ قالَ: يا مُحَمَّدُ! أوَلَيسَ فيما أورَدتُهُ عَلَيكَ كِفايَةٌ وبَلاغٌ؟ ما بَقِيَ شَيءٌ فَقُل ما بَدا لَكَ، وأفصِح عَن نَفسِكَ إن كانَ لَكَ حُجَّةٌ وَأتِنا بِما سَألناكَ بِهِ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: اللّٰهُمَّ أنتَ السّامِعُ لِكُلِّ صَوتٍ وَالعالِمُ بِكُلِّ شَيءٍ، تَعلَمُ ما قالَهُ عِبادُكَ، فَأَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ: يا مُحَمَّدُ ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ إلىٰ قَولِهِ ـ: ﴿رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾[1] ثُمَّ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَايَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾[2]، ثُمَّ قالَ [اللهُ]: يا مُحَمَّدُ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾[3]، وأنزَلَ عَلَيهِ: يا مُحَمَّدُ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾[4] وأنزَلَ اللهُ عَلَيهِ: يا مُحَمَّدُ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَايُنظَرُونَ

(١) الفرقان: ٧و ٨.

(٢) الإسراء: ٤٨.

(٣) الفرقان: ١٠.

(٤) هود: ١٢.

* ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1].

فَقالَ لَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ: يا عَبدَاللهِ، أمّا ما ذَكَرتَ مِن أنّي آكُلُ الطَّعامَ كَما تَأكُلونَ! وزَعَمتَ أنَّهُ لايَجوزُ لِأَجلِ هٰذا أن أكونَ للهِ رَسولاً، فَإنَّما الأَمرُ للهِ تَعالىٰ يَفعَلُ ما يَشاءُ ويَحكُمُ مايُريدُ، وهُوَ مَحمودٌ ولَيسَ لَكَ ولا لِأَحَدٍ الاِعتِراضُ عَلَيهِ بِلِمَ وكَيفَ. ألا تَرىٰ أنَّ اللهَ كَيفَ أفقَرَ بَعضاً وأغنىٰ بَعضاً، وأعَزَّ بَعضاً وأذَلَّ بَعضاً، وأصَحَّ بَعضاً وأسقَمَ بَعضاً، وَشرَّفَ بَعضاً ووَضَعَ بَعضاً، وكُلُّهُم مِمَّن يَأكُلونَ الطَّعامَ.

ثُمَّ لَيسَ لِلفُقَراءِ أن يَقولوا: لِمَ أفقَرتَنا وأغنَيتَهُم؟ ولا لِلوُضَعاءِ أن يَقولوا: لِمَ وَضَعتَنا وشَرَّفتَهُم؟ ولا لِلزَّمنىٰ وَالضُّعَفاءِ أن يَقولوا: لِمَ أزمَنتَنا وأضعَفتَنا وصَحَّحتَهُم؟ ولا لِلأَذِلّاءِ أن يَقولوا: لِمَ أذلَلتنا وأعزَزتَهُم؟ ولا لِقِباحِ الصُّوَرِ أن يَقولوا: لِمَ قَبَّحتَنا وجَمَّلتَهُم؟ بَل إن قالوا ذٰلِكَ كانوا عَلىٰ رَبِّهِم رادّينَ، ولَهُ في أحكامِهِ مُنازِعينَ، وبِهِ كافِرينَ، ولَكانَ جَوابُهُ لَهُم: [إنّي] أنَا المَلِكُ الخافِضُ الرّافِعُ، المُغنِي المُفقِرُ، المُعِزُّ المُذِلُّ، المُصَحِّحُ المُسقِمُ، وأنتُمُ العَبيدُ لَيسَ لَكُم إلَّا التَّسليمُ لي والاِنقيادُ لِحُكمي، فَإن سَلَّمتُم كُنتُم عِباداً مُؤمِنينَ، وإن أبَيتُم كُنتُم بي كافِرينَ، وبِعُقوباتي مِنَ الهالِكينَ.

ثُمَّ أنزَلَ اللهُ عَلَيهِ: يامُحَمَّدُ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يَعني آكُلُ الطَّعامَ ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[2] يَعني قُل لَهُم: أنا فِي البَشَرِيَّةِ

---

(١) الأنعام: ٨و ٩.

(٢) الكهف: ١١٠.

مِثلُكُم، ولٰكِن رَبّي خَصَّني بِالنُّبُوَّةِ دونَكُم، كَما يَخُصُّ بَعضَ البَشَرِ بِالغِنىٰ وَالصِّحَّةِ وَالجَمالِ دونَ بَعضٍ مِنَ البَشَرِ، فَلا تُنكِروا أن يَخُصَّني أيضاً بِالنُّبُوَّةِ [دونَكُم].

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وأمّا قَولُكَ: «[إنَّ] هٰذا مَلِكَ الرّومِ ومَلِكَ الفُرسِ لا يَبعَثانِ رَسولاً إلّا كَثيرَ المالِ، عَظيمَ الحالِ، لَهُ قُصورٌ ودورٌ وفَساطيطُ وخِيامٌ وعَبيدٌ وخُدّامٌ، ورَبُّ العالَمينَ فَوقَ هٰؤُلاءِ كُلِّهِم فَهُم عَبيدُهُ». فَإِنَّ اللهَ لَهُ التَّدبيرُ وَالحُكمُ، لا يَفعَلُ عَلىٰ ظَنِّكَ وحِسبانِكَ، ولا بِاقتِراحِكَ، بَل يَفعَلُ مايَشاءُ، ويَحكُمُ ما يُريدُ، وهُوَ مَحمودٌ.

يا عَبدَاللهِ، إنَّما بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ لِيُعَلِّمَ النّاسَ دينَهُم، ويَدعُوَهُم إلىٰ رَبِّهِم، ويَكُدُّ نَفسَهُ في ذٰلِكَ آناءَ اللَّيلِ وَالنَّهارِ، فَلَو كانَ صاحِبَ قُصورٍ يَحتَجِبُ فيها وعَبيدٍ وخَدَمٍ يَستُرونَهُ عَنِ النّاسِ، ألَيسَ كانَتِ الرِّسالَةُ تَضيعُ وَالأُمورُ تَتَباطَأُ؟ أوَ ماتَرَى المُلوكَ إذَا احتَجَبوا كَيفَ يَجري الفَسادُ وَالقَبائِحُ مِن حَيثُ لايَعلَمونَ بِهِ ولا يَشعُرونَ؟!

يا عَبدَاللهِ، إنَّما بَعَثَنِي اللهُ ولا مالَ لي لِيُعَرِّفَكُم قُدرَتَهُ وقُوَّتَهُ، وإنَّهُ هُوَ النّاصِرُ لِرَسولِهِ، لا تَقدِرونَ عَلىٰ قَتلِهِ ولا مَنعِهِ مِن رِسالاتِهِ، فَهٰذا أبيَنُ في قُدرَتِهِ وفي عَجزِكُم، وسَوفَ يُظفِرُنِيَ اللهُ بِكُم فَأُوسِعُكُم قَتلاً وأسراً، ثُمَّ يُظفِرُنِيَ اللهُ بِبِلادِكُم ويَستَولي عَلَيهَا المُؤمِنونَ مِن دونِكُم ودونِ مَن يُوافِقُكُم عَلىٰ دينِكُم.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وأمّا قَولُكَ لي: «لَو كُنتَ نَبيّاً لَكانَ مَعَكَ مَلَكٌ يُصَدِّقُكَ ونُشاهِدُهُ، بَل لَو أرادَ اللهُ أن يَبعَثَ إلَينا نَبيّاً لَكانَ إنَّما يَبعَثُ مَلَكاً لا بَشَراً مِثلَنا». فَالمَلَكُ لاتُشاهِدُهُ حَواسُّكُم، لِأَنَّهُ مِن جِنسِ هٰذَا الهَواءِ لا عِيانَ مِنهُ، ولَو شاهَدتُموهُ بِأَن يُزادَ في قُوىٰ أبصارِكُم ـ لَقُلتُم: لَيسَ هٰذا مَلَكاً بَل هٰذا بَشَرٌ، لِأَنَّهُ إنَّما كانَ يَظهَرُ لَكُم بِصورَةِ البَشَرِ الَّذي [قَد] أَلِفتُموهُ لِتَفهَموا عَنهُ مَقالَتَهُ وتَعرِفوا خِطابَهُ ومُرادَهُ، فَكَيفَ كُنتُم تَعلَمونَ صِدقَ المَلَكِ وأنَّ ما يَقولُهُ حَقٌّ؟ بَل إنَّما بَعَثَ اللهُ بَشَراً، وأظهَرَ عَلىٰ يَدِهِ المُعجِزاتِ الَّتي لَيسَت في طَبائِعِ البَشَرِ الَّذينَ قَد عَلِمتُم ضَمائِرَ قُلوبِهِم فَتَعلَمونَ بِعَجزِكُم عَمّا جاءَ بِهِ أنَّهُ مُعجِزَةٌ، وأنَّ ذٰلِكَ شَهادَةٌ مِنَ اللهِ تَعالىٰ بِالصِّدقِ لَهُ، ولَو ظَهَرَ لَكُم مَلَكٌ وظَهَرَ عَلىٰ يَدِهِ ما يَعجُزُ عَنهُ البَشَرُ لَم يَكُن في ذٰلِكَ ما يَدُلُّكُم عَلىٰ أنَّ ذٰلِكَ لَيسَ في طَبائِعِ سائِرِ أجناسِهِ مِنَ المَلائِكَةِ حَتّىٰ يَصيرَ ذٰلِكَ مُعجِزاً.

ألا تَرَونَ أنَّ الطُّيورَ الَّتي تَطيرُ لَيسَ ذٰلِكَ مِنها بِمُعجِزٍ، لِأَنَّ لَها أجناساً يَقَعُ مِنها مِثلُ طَيَرانِها، ولَو أنَّ آدَمِيّاً طارَ كَطَيَرانِها كانَ ذٰلِكَ مُعجِزاً، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ سَهَّلَ عَلَيكُمُ الأَمرَ، وجَعَلَهُ بِحَيثُ تَقومُ عَلَيكُم حُجَّتُهُ، وأنتُم تَقتَرِحونَ عَمَلَ الصَّعبِ الَّذي لا حُجَّةَ فيهِ.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وأمّا قَولُكَ: «ما أنتَ إلّا رَجُلٌ مَسحورٌ». فَكَيفَ أكونُ كَذٰلِكَ وقَد تَعلَمونَ أنّي في صِحَّةِ التَّمييزِ وَالعَقلِ فَوقَكُم؟ فَهَل جَرَّبتُم عَلَيَّ مِنذُ نَشَأتُ إلىٰ أنِ استَكمَلتُ أربَعينَ سَنَةً

خَزيَةً، أو زَلَّةً، أو كَذبَةً، أو خِيانَةً، أو خَطَأً مِنَ القَولِ، أو سَفَهاً مِنَ الرَّأيِ؟ أتَظُنّونَ أنَّ رَجُلاً يَعتَصِمُ طولَ هٰذِهِ المُدَّةِ بِحَولِ نَفسِهِ وقُوَّتِها، أو بِحَولِ اللهِ وقُوَّتِهِ؟ وذٰلِكَ ما قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾[1] إلىٰ أن يُثبِتوا عَلَيكَ عَمًى بِحُجَّةٍ أكثَرَ مِن دَعاويهِمُ الباطِلَةِ الَّتي تَبَيَّنَ عَلَيكَ تَحصيلُ بُطلانِها.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وأمّا قَولُكَ: «لَولا نُزِّلَ هٰذَا القُرآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ عَظيمٍ، الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ بِمَكَّةَ أو عُروَةَ [بنِ مَسعودٍ الثَّقَفِيِّ] بالطّائِفِ». فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ لَيسَ يَستَعظِمُ مالَ الدُّنيا كَما تَستَعظِمُهُ أنتَ، ولا خَطَرَ لَهُ عِندَهُ كَما لَهُ عِندَكَ، بَل لَو كانَتِ الدُّنيا عِندَهُ تَعدِلُ جَناحَ بَعوضَةٍ لَما سَقىٰ كافِراً بِهِ مُخالِفاً لَهُ شَربَةَ ماءٍ، ولَيسَ قِسمَةُ رَحمَةِ اللهِ إلَيكَ، بَلِ اللهُ هُوَ القاسِمُ لِلرَّحَماتِ، وَالفاعِلُ لِما يَشاءُ في عَبيدِهِ وإمائِهِ، ولَيسَ هُوَ عَزَّوجَلَّ مِمَّن يَخافُ أحَداً كَما تَخافُهُ أنتَ لِمالِهِ وحالِهِ، فَعَرَفتَهُ بِالنُّبُوَّةِ لِذٰلِكَ، ولا مِمَّن يَطمَعُ في أحَدٍ في مالِهِ أو في حالِهِ كَما تَطمَعُ [أنتَ] فَتَخُصُّهُ بِالنُّبُوَّةِ لِذٰلِكَ، ولا مِمَّن يُحِبُّ أحَداً مَحَبَّةَ الهَواءِ كَما تُحِبُّ أنتَ، فَتُقَدِّمُ مَن لايَستَحِقُّ التَّقديمَ. وإنَّما مُعامَلَتُهُ بِالعَدلِ، فَلا يُؤثِرُ أحَداً لِأَفضَلِ مَراتِبِ الدّينِ وخِلالِهِ، إلّا الأَفضَلَ في طاعَتِهِ والأَجَدَّ في خِدمَتِهِ، وكَذٰلِكَ لا يُؤَخِّرُ في مَراتِبِ الدّينِ وخِلالِهِ إلّا أشَدَّهُم تَباطُؤاً عَن

---

(١) الفرقان: ٩.

طاعَتِهِ.

وإذا كانَ هٰذا صِفتَهُ لَم يَنظُر إلىٰ مالٍ ولا إلىٰ حالٍ، بَل هٰذَا المالُ وَالحالُ مِن تَفَضُّلِهِ، ولَيسَ لِأَحدٍ مِن عِبادِهِ عَلَيهِ ضَربَةُ لازِبٍ[1] فَلا يُقالُ لَهُ: إذا تَفَضَّلتَ بِالمالِ عَلىٰ عَبدٍ فَلابُدَّ [مِن] أن تَتَفَضَّلَ عَلَيهِ بِالنُّبُوَّةِ أيضاً، لِأَنَّهُ لَيسَ لِأَحَدٍ إكراهُهُ عَلىٰ خِلافِ مُرادِهِ ولا إلزامُهُ تَفَضُّلاً، لِأَنَّهُ تَفَضَّلَ قَبلَهُ بِنِعَمِهِ.

ألا تَرىٰ ـ يا عَبدَاللهِ! ـ كَيفَ أغنىٰ واحِداً وقَبَّحَ صورَتَهُ؟ وكَيفَ حَسَّنَ صورَةَ واحِدٍ وأفقَرَهُ؟ وكَيفَ شَرَّفَ واحِداً وأفقَرَهُ؟ وكَيفَ أغنىٰ واحِداً ووَضَعَهُ؟ ثُمَّ لَيسَ لِهٰذَا الغَنِيِّ أن يَقولَ: هَلّا أُضيفَ إلىٰ يَساري جَمالُ فُلانٍ؟ ولا لِلجَميلِ أن يَقولَ: هَلّا أُضيفَ إلىٰ جِمالي مالُ فُلانٍ؟ ولا لِلشَّريفِ أن يَقولَ: هَلّا أُضيفَ إلىٰ شَرَفي مالُ فُلانٍ؟ ولا لِلوَضيعِ أن يَقولَ: هَلّا أُضيفَ إلىٰ ضَعَتي شَرَفُ فُلانٍ؟

ولٰكِنَّ الحُكمَ لِلهِ، يُقَسِّمُ كَيفَ يَشاءُ ويَفعَلُ كَما يَشاءُ، وهُوَ حَكيمٌ في أفعالِهِ، مَحمودٌ في أعمالِهِ، وذٰلِكَ قَولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ـ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ـ يا مُحَمَّد ـ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]

---

(١) اللازب: الثابت الشديد الثبوت، ويعبّر باللازب عن الواجب، فيقال: ضربة لازب (المفردات: ٧٣٩)، وفي بعض النسخ «ضريبة» بدل «ضربة».

(٢) الزخرف: ٣١ و ٣٢.

فَأَحوَجَنا بَعضاً إلىٰ بَعضٍ، أحوَجَ هٰذا إلىٰ مالِ ذٰلِكَ، وأحوَجَ ذٰلِكَ إلى سِلعَةِ هٰذا أو إلىٰ خِدمَتِهِ. فَتَرىٰ أجَلَّ المُلوكِ وأغنَى الأَغنِياءِ مُحتاجاً إلىٰ أفقَرِ الفُقَراءِ في ضَربٍ مِنَ الضُّروبِ: إمّا سِلعَةٍ مَعَهُ لَيسَت مَعَهُ، وإمّا خِدمَةٍ يَصلَحُ لَها، لايَتَهَيَّأُ لِذٰلِكَ المَلِكِ أن يَستَغنِيَ إلّا بِهِ، وإمّا بابٍ مِنَ العُلومِ وَالحِكَمِ، هُوَ فَقيرٌ إلىٰ أن يَستَفيدَها مِن هٰذَا الفَقيرِ، فَهٰذَا الفَقيرُ يَحتاجُ إلىٰ مالِ ذٰلِكَ المَلِكِ الغَنِيِّ، وذٰلِكَ المَلِكُ يَحتاجُ إلىٰ عِلمِ هٰذَا الفَقيرِ، أو رَأيِهِ، أو مَعرِفَتِهِ.

ثُمَّ لَيسَ لِلمَلِكِ أن يَقولَ: هَلّا اجتَمَعَ إلىٰ مالي عِلمُ هٰذَا الفَقيرِ؟ ولا لِلفَقيرِ أن يَقولَ: هَلّا اجتَمَعَ عَلىٰ رَأيي وعِلمي وما أتَصَرَّفُ فيهِ مِن فُنونِ الحِكَمِ مالُ هٰذَا المَلِكِ الغَنِيِّ؟

ثُمَّ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ قُل لَهُم ـ: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1] أي ما يَجمَعُهُ هٰؤُلاءِ مِن أموالِ الدُّنيا.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وأمّا قَولُكَ: «لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تَفجُرَ لَنا مِنَ الأَرضِ يَنبوعاً» إلىٰ آخِرِ ما قُلتَهُ، فَإِنَّكَ [قَدِ] اقتَرَحتَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ ﷺ أشياءَ:

مِنها ما لَو جاءَكَ بِهِ لَم يَكُن بُرهاناً لِنُبُوَّتِهِ، ورَسولُ اللهِ ﷺ يَرتَفِعُ عَن أن يَغتَنِمَ جَهلَ الجاهِلينَ، ويَحتَجَّ عَلَيهِم بِما لا حُجَّةَ فيهِ.

---

(١) الزخرف: ٣٢.

ومِنها ما لَو جاءَكَ بِهِ كانَ مَعَهُ هَلاكُكَ، وإنَّما يُؤتىٰ بِالحُجَجِ وَالبَراهينِ لِيَلزَمَ عِبادَ اللهِ الإيمانُ بِها لا لِيَهلَكوا بِها، فَإِنَّمَا اقتَرَحتَ هَلاكَكَ، ورَبُّ العالَمينَ أرحَمُ بِعِبادِهِ، وأعلَمُ بِمَصالِحِهِم مِن أن يُهلِكَهُم كَما يَقتَرِحونَ.

ومِنهَا المُحالُ الَّذي لا يَصِحُّ ولا يَجوزُ كَونُهُ ورَسولُ رَبِّ العالَمينَ يُعَرِّفُكَ ذٰلِكَ، ويَقطَعُ مَعاذيرَكَ، ويُضَيِّقُ عَلَيكَ سَبيلَ مُخالَفَتِهِ، ويُلجِئُكَ بِحُجَجِ اللهِ إلىٰ تَصديقِهِ حَتّىٰ لا يكونَ لَكَ عَنهُ مَحيدٌ ولا مَحيصٌ.

ومِنها ما قَدِ اعتَرَفتَ عَلىٰ نَفسِكَ أنَّكَ فيهِ مُعانِدٌ مُتَمَرِّدٌ، لاتَقبَلُ حُجَّةً ولا تُصغي إلىٰ بُرهانٍ، ومَن كانَ كَذٰلِكَ فَدَواؤُهُ عَذابُ اللهِ النّازِلُ مِن سَمائِهِ، أو في جَحيمِهِ، أو بِسُيوفِ أوليائِهِ.

فَأَمّا قَولُكَ يا عَبدَاللهِ: «لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تَفجُرَ لَنا مِنَ الأَرضِ يَنبوعاً بِمَكَّةَ هٰذِهِ، فَإِنَّها ذاتُ أحجارٍ وصُخورٍ وجِبالٍ، تَكسَحُ أرضَها وتَحفِرُها، وتَجري فيهَا العُيونَ، فَإِنَّنا إلىٰ ذٰلِكَ مُحتاجونَ». فَإِنَّكَ سَأَلتَ هٰذا وأنتَ جاهِلٌ بِدَلائِلِ اللهِ تَعالىٰ.

يا عَبدَاللهِ! أرَأَيتَ لَو فَعَلتُ هٰذا، أكُنتُ مِن أجلِ هٰذا نَبِيّاً؟ قالَ: لا. قالَ رَسولُ اللهِ: أرَأَيتَ الطّائِفَ الَّتي لَكَ فيها بَساتينُ؟ أما كانَ هُناكَ مَواضِعُ فاسِدَةٌ صَعبَةٌ أصلَحتَها وذَلَّلتَها وكَسَحتَها وأجرَيتَ فيها عُيوناً اِستَنبَطتَها؟ قالَ: بَلىٰ. قالَ: وهَل لَكَ في هٰذا نُظَراءُ؟

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: أفَصِرتَ بِذٰلِكَ أنتَ وهُم أنبِياءَ؟

قالَ: لا.

قالَ: فَكَذٰلِكَ لايَصيرُ هٰذا حُجَّةً لِمُحَمَّدٍ لَو فَعَلَهُ عَلىٰ نُبُوَّتِهِ، فَما هُوَ إلّا كَقَولِكَ: لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تَقومَ وتَمشِيَ عَلَى الأَرضِ [كَما يَمشِي النّاسُ]، أو حَتّىٰ تَأكُلَ الطَّعامَ كَما يَأكُلُ النّاسُ.

وأمّا قَولُكَ يا عَبدَاللهِ: «أو تَكونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخيلٍ وعِنَبٍ، فَتَأكُلَ مِنها وتُطعِمَنا، وتُفَجِّرَ الأَنهارَ خِلالَها تَفجيراً». أوَ لَيسَ لَكَ ولِأَصحابِكَ جَنّاتٌ مِن نَخيلٍ وعِنَبٍ بِالطّائِفِ تَأكُلونَ وتُطعِمونَ مِنها، وتُفَجِّرونَ الأَنهارَ خِلالَها تَفجيراً، أفَصِرتُم أنبِياءَ بِهٰذا؟

قالَ: لا.

قالَ: فَما بالُ اقتِراحِكُم عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ أشياءَ لَو كانَت كَما تَقتَرِحونَ لَما دَلَّت عَلىٰ صِدقِهِ، بَل لَو تَعاطاها لَدَلَّ تَعاطيها عَلىٰ كِذبِهِ، لِأَنَّهُ [حينَئِذٍ] يَحتَجُّ بِما لا حُجَّةَ فيهِ، ويَختَدِعُ الضُّعَفاءَ عَن عُقولِهِم وأديانِهِم، ورَسولُ رَبِّ العالَمينَ يَجِلُّ ويَرتَفِعُ عَن هٰذا.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: يا عَبدَاللهِ! وأمّا قَولُكَ: «أو تُسقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمتَ عَلَينا كِسَفاً ـ فَإِنَّكَ قُلتَ: وإن يَرَوا كِسفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقولوا سَحابٌ مَركومٌ». فَإِنَّ في سُقوطِ السَّماءِ عَلَيكُم هَلاكَكُم ومَوتَكُم، فَإِنَّما تُريدُ بِهٰذا مِن رَسولِ اللهِ ﷺ أن يُهلِكَكَ

ورَسولُ رَبِّ العالَمينَ أرحَمُ [بِكَ] مِن ذٰلِكَ، [و] لا يُهلِكُكَ، ولٰكِنَّهُ يُقيمُ عَلَيكَ حُجَجَ اللهِ، ولَيسَ حُجَجُ اللهِ لِنَبِيِّهِ وَحدَهُ عَلىٰ حَسَبِ اقتِراحِ عِبادِهِ، لِأَنَّ العِبادَ جُهّالٌ بِما يَجوزُ مِنَ الصَّلاحِ، وبِما لا يَجوزُ مِنَ الفَسادِ، وقَد يَختَلِفُ اقتِراحُهُم ويَتَضادُّ حَتّىٰ يَستَحيلَ وُقوعُهُ، [إذ لَو كانَتِ اقتِراحاتُهُم واقِعَةً لَجازَ أن تَقتَرِحَ أنتَ أن تُسقَطَ السَّماءُ عَلَيكُم، ويَقتَرِحَ غَيرُكَ أن لا تُسقَطَ عَلَيكُمُ السَّماءُ، بَل أن تُرفَعَ الأَرضُ إلَى السَّماءِ، وتَقَعَ السَّماءُ عَلَيها، وكانَ ذٰلِكَ يَتَضادُّ ويَتَنافىٰ، أو يَستَحيلُ وُقوعُهُ]، واللهُ عَزَّوجَلَّ لا يَجري تَدبيرُهُ عَلىٰ ما يَلزَمُ بِهِ المُحالُ.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وهَل رَأَيتَ يا عَبدَاللهِ طَبيباً كانَ دَواؤُهُ لِلمَرضىٰ عَلىٰ حَسَبِ اقتِراحاتِهِم؟ وإنَّما يَفعَلُ بِهِ ما يَعلَمُ صَلاحَهُ فيهِ، أحَبَّهُ العَليلُ أو كَرِهَهُ، فَأَنتُمُ المَرضىٰ وَاللهُ طَبيبُكُم، فَإِن أنقَدتُم[1] لِدَوائِهِ شَفاكُم، وإن تَمَرَّدتُم عَلَيهِ أسقَمَكُم.

وبَعدُ، فَمَتىٰ رَأَيتَ يا عَبدَاللهِ مُدَّعي حَقٍّ [مِن] قِبَلِ رَجُلٍ أوجَبَ عَلَيهِ حاكِمٌ مِن حُكّامِهِم فيما مَضىٰ ـ بَيِّنَةً عَلىٰ دَعواهُ عَلىٰ حَسَبِ اقتِراحِ المُدَّعىٰ عَلَيهِ؟ إذاً ما كانَ يَثبُتُ لِأَحَدٍ عَلىٰ أحَدٍ دَعوَى ولا حَقٌّ، ولا كانَ بَينَ ظالِمٍ ومَظلومٍ ولا بَينَ صادِقٍ وكاذِبٍ فَرقٌ.

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: يا عَبدَاللهِ وأمّا قَولُكَ: «أو تَأتِيَ بِاللهِ

(١) في بحار الأنوار «أنفَذتُم».

وَالمَلائِكَةِ قَبيلاً يُقابِلونَنَا ونُعايِنُهُم». فَإِنَّ هٰذا مِنَ المُحالِ الَّذي لاخِفاءَ بِهِ، لِأَنَّ رَبَّنا عَزَّوجَلَّ لَيسَ كَالمَخلوقينَ يَجيءُ ويَذهَبُ، وَيَتَحرَّكُ ويُقابِلُ شَيئاً حَتّىٰ يُؤتىٰ بِهِ، فَقَد سَأَلتُم بِهٰذَا المُحالَ، وإنَّما هٰذَا الَّذي دَعَوتَ إلَيهِ، صِفَةُ أصنامِكُمُ الضَّعيفَةِ المَنقوصَةِ الَّتي لا تَسمَعُ، ولا تُبصِرُ، ولا تَعلَمُ، ولا تُغني عَنكُم شَيئاً ولا عَن أحَدٍ.

يا عَبدَالله! أوَ لَيسَ لَكَ ضِياعٌ وجِنانٌ بِالطّائِفِ، وعَقارٌ بِمَكَّةَ وقُوّامٌ عَلَيها؟

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: أفَتُشاهِدُ جَميعَ أحوالِها بِنَفسِكَ، أو بِسُفَراءَ بَينَكَ وبَينَ مُعامِليكَ؟

قالَ: بِسُفَراءَ.

قالَ: أرَأَيتَ لَو قالَ مُعامِلوكَ وأكَرَتُكَ وخَدَمُكَ لِسُفَرائِكَ: «لانُصَدِّقُكُم في هٰذِهِ السِّفارَةِ إلّا أن تَأتونا بِعَبدِاللهِ بنِ أبي اُمَيَّةَ لِنُشاهِدَهُ فَنَسمَعَ ما تَقولونَ عَنهُ شِفاهاً»، كُنتَ تُسَوِّغُهُم هٰذا؟ أوَ كانَ يَجوزُ لَهُم عِندَكَ ذٰلِكَ؟

قالَ: لا.

قالَ: فَمَا الَّذي يَجِبُ عَلىٰ سُفرائِكَ؟ ألَيسَ أن يَأتوهُم عَنكَ بِعَلامَةٍ صَحيحَةٍ تَدُلُّهُم عَلىٰ صِدقِهِم فَيَجِبُ عَلَيهِم أن يُصَدِّقوهُم؟

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: يا عَبدَاللهِ، أرأَيتَ سَفيرَكَ لَو أنَّهُ لَمّا سَمِعَ مِنهُم هٰذا عادَ إلَيكَ وقالَ [لَكَ]: قُم مَعي فإنَّهُم قَدِ اقترَحوا عَلَيَّ مَجيئَكَ [مَعي]، ألَيسَ يَكونُ هٰذا لَكَ مُخالِفاً؟ وتَقولُ لَهُ: إنَّما أنتَ رَسولٌ لا مُشيرٌ ولا آمِرٌ؟

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: فَكَيفَ صِرتَ تَقتَرِحُ عَلىٰ رَسولِ رَبِّ العالَمينَ مالا تُسَوِّغُ لِأَكَرَتِكَ ومُعامِليكَ أن يَقتَرِحوهُ عَلىٰ رَسولِكَ إلَيهِم؟ وكَيفَ أرَدتَ مِن رَسولِ رَبِّ العالَمينَ أن يَستَذِمَّ إلىٰ رَبِّهِ بِأَن يَأمُرَ عَلَيهِ ويَنهىٰ، وأنتَ لا تُسَوِّغُ مِثلَ هٰذا عَلىٰ رَسولِكَ إلىٰ أكَرَتِكَ وقُوّامِكَ؟ هٰذِهِ حُجَّةٌ قاطِعَةٌ لِإِبطالِ جَميعِ ما ذَكَرتَهُ في كُلِّ مَا اقتَرَحتَهُ يا عَبدَاللهِ.

وأمّا قَولُكَ يا عَبدَاللهِ: «أَوَ يَكونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ» وهُوَ الذَّهَبُ، أما بَلَغَكَ أنَّ لِعَزيزِ مِصرَ بُيوتاً مِن زُخرُفٍ؟

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: أفَصارَ بِذٰلِكَ نَبِيّاً؟

قالَ: لا.

قالَ: فَكَذٰلِكَ لا يوجِبُ [ذٰلِكَ] لِمُحَمَّدٍ ـ لَو كانَ لَهُ نُبُوَّةٌ ومُحَمَّدٌ لا يَغتَنِمُ جَهلَكَ بِحُجَجِ اللهِ.

وأمّا قولُكَ يا عَبدَاللهِ: «أَوَ تَرقىٰ فِي السَّماءِ»، ثُمَّ قُلتَ: «ولَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّىٰ تُنَزِّلَ عَلَينا كِتاباً نَقرَؤُهُ». يا عَبدَاللهِ! الصُّعودُ إلَى السَّماءِ أصعَبُ مِنَ النُّزولِ عَنها، وإذا اعتَرَفتَ عَلىٰ نَفسِكَ أنَّكَ لا تُؤمِنُ إذا

صَعَدتُ، فَكَذٰلِكَ حُكمُ النُّزولِ.

ثُمَّ قُلتَ: «حَتّىٰ تُنَزِّلَ عَلَينا كِتاباً نَقرَؤُهُ»، مِن بَعدِ ذٰلِكَ، «ثُمَّ لا أدري أُؤمِنُ بِكَ أو لا أُؤمِنُ بِكَ». فَأَنتَ ـ يا عَبدَاللهِ! ـ مُقِرٌّ بِأَنَّكَ تُعانِدُ حُجَّةَ اللهِ عَلَيكَ، فَلا دَواءَ لَكَ إلّا تَأديبُهُ لَكَ عَلىٰ يَدِ أولِيائِهِ مِنَ البَشَرِ، أو مَلائِكَتِهِ الزَّبانِيَةِ، وقَد أنزَلَ اللهُ عَلَيَّ حِكمَةً بالِغَةً جامِعَةً لِبُطلانِ كُلِّ مَا اقتَرَحتَهُ.

فَقالَ عَزَّوجَلَّ: قُلْ يا مُحَمَّدُ! ـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[1] ما أبعَدَ رَبّي عَن أن يَفعلَ الأَشياءَ عَلىٰ [قَدرِ] ما يَقتَرِحُهُ الجُهّالُ بِما يَجوزُ وبِما لا يَجوزُ، وهَل كُنتُ إلّا بَشَراً رَسولاً، لا يَلزَمُني إلّا إقامَةُ حُجَّةِ اللهِ الَّتي أعطاني، ولَيسَ لي أن آمُرَ عَلىٰ رَبّي ولا أنهىٰ ولا أُشيرُ، فَأَكونَ كَالرَّسولِ الَّذي بَعَثَهُ مَلِكٌ إلىٰ قَومٍ مِن مُخالِفيهِ فَرَجَعَ إلَيهِ يَأمُرُهُ أن يَفعَلَ بِهِم مَا اقتَرَحوهُ عَلَيهِ.

فَقالَ أبوجَهلٍ: يا مُحَمَّدُ! هاهُنا واحِدَةٌ، أَلَستَ زَعَمتَ أنَّ قَومَ موسىٰ احتَرَقوا بِالصّاعِقَةِ لَمّا سَأَلوهُ أن يُرِيَهُمُ اللهَ جَهرَةً؟

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: فَلَو كُنتَ نَبِيّاً لَاحتَرَقنا نَحنُ أيضاً، فَقَد سَأَلنا أشَدَّ مِمّا سَأَلَ قَومُ موسىٰ، لِأَنَّهُم كَما زَعَمتَ قالوا: أرِنَا اللهَ جَهرَةً. ونَحنُ نَقولُ: لَن

---

(١) الإسراء: ٩٣.

نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تَأتِيَ بِاللهِ وَالمَلائِكَةِ قَبيلاً نُعايِنُهُم[١].

راجع: الاحتجاج: ١/٦٦ ـ ١١٥، وأيضاً راجع كتاب «تاريخ الجدل» لمحمّد أبي زهرة: ٤٢ ـ ٥٤.

٣/٥

نَماذِجُ مِن حِواراتِ أهلِ البَيتِ

١٤٦ ـ الإمام عليّ عليه السلام لِبَعضِ أحبارِ اليَهودِ حَيثُ سَأَلَ عَنِ اللهِ أينَ هُوَ؟ أهُوَ فِي السَّماءِ أم فِي الأَرضِ؟ ـ:... إنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ أيَّنَ الأَينَ، فَلا أينَ لَهُ، وجَلَّ عَن أن يَحوِيَهُ مَكانٌ، وهُوَ في كُلِّ مَكانٍ، بِغَيرِ مُماسَّةٍ ولا مُجاوَرَةٍ، يُحيطُ عِلماً بِما فيها، ولا يَخلو شَيءٌ مِن تَدبيرِهِ تَعالىٰ، وإنّي مُخبِرُكَ بِما جاءَ في كِتابٍ مِن كُتُبِكُم يُصَدِّقُ ما ذَكَرتُهُ لَكَ، فَإِن عَرَفتَهُ أتُؤمِنُ بِهِ؟

قالَ اليَهودِيُّ: نَعَم.

قالَ: أَلَستُم تَجِدونَ في بَعضِ كُتُبِكُم أنَّ موسَى بنَ عِمرانَ عليه السلام كانَ ذاتَ يَومٍ جالِساً، إذ جاءَهُ مَلَكٌ مِنَ المَشرِقِ، فَقالَ لَهُ موسىٰ: مِن أينَ أقبَلتَ؟ قالَ: مِن عِندِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ. ثُمَّ جاءَهُ مَلَكٌ مِنَ المَغرِبِ فَقالَ لَهُ: مِن أينَ جِئتَ؟ قالَ: مِن عِندِ اللهِ. وجاءَهُ مَلَكٌ آخَرُ فَقالَ: قَد جِئتُكَ مِنَ السَّماءِ السّابِعَةِ مِن عِندِ اللهِ تَعالىٰ. وجاءَهُ مَلَكٌ آخَرُ قالَ:

---

(١) الاحتجاج: ١/٤٧ ـ ٢٢/٦٤، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣١٤/٥٠٠، بحار الأنوار: ٩/٢٦٩/٢.

قَد جِئتُكَ مِنَ الأَرضِ السّابِعَةِ السُّفلىٰ مِن عِندِ اللهِ عَزَّ اسمُهُ.

فَقالَ موسىٰ عليه السلام: سُبحانَ مَن لا يَخلو مِنهُ مَكانٌ، ولا يَكونُ إلىٰ مَكانٍ أقرَبَ مِن مَكانٍ.

فَقالَ اليَهودِيُّ: أشهَدُ أنَّ هٰذا هُوَ الحَقُّ [المُبينُ]، وأنَّكَ أحَقُّ بِمَقامِ نَبِيِّكَ مِمَّنِ استَولىٰ عَلَيهِ[1].

١٤٧ـ الأُسيديّ ومحمّد بن مبشّر: إنَّ عَبدَاللهِ بنَ نافِعِ الأَزرَقَ كانَ يَقولُ: لَو أنّي عَلِمتُ أنَّ بَينَ قُطرَيها أحَداً تُبلِغُني إلَيهِ المَطايا يَخصِمُني أنَّ عَلِيّاً قَتَلَ أهلَ النَّهرَوانِ وهُوَ لَهُم غَيرُ ظالِمٍ لَرَحَلتُ إلَيهِ، فَقيلَ لَهُ: ولا وُلدَهُ؟ فَقالَ: أفي وُلدِهِ عالِمٌ؟ فَقيلَ لَهُ: هٰذا أوَّلُ جَهلِكَ وهُم يَخلونَ مِن عالِمٍ؟! قالَ: فَمَن عالِمُهُمُ اليَومَ؟ قيلَ: مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ عليهم السلام.

قالَ: فَرَحَلَ إلَيهِ في صَناديدِ أصحابِهِ حَتّىٰ أتَى المَدينَةَ، فَاستَأذَنَ عَلىٰ أبي جَعفَرٍ عليه السلام. فَقيلَ لَهُ: هٰذا عَبدُاللهِ بنُ نافِعٍ. فَقالَ: وما يَصنَعُ بي وهُوَ يَبرَأُ مِنّي ومِن أبي طَرَفَيِ النَّهارِ؟ فَقالَ لَهُ أبوبَصيرٍ الكوفِيُّ: جُعِلتُ فِداكَ! إنَّ هٰذا يَزعُمُ أنَّهُ لَو عَلِمَ أنَّ بَينَ قُطرَيها أحَداً تُبلِغُهُ المَطايا إلَيهِ يَخصِمُهُ أنَّ عَلِيّاً عليه السلام قَتَلَ أهلَ النَّهروانِ وهُوَ لَهُم غَيرُ ظالِمٍ لَرَحَلَ إلَيهِ.

---

(١) الإرشاد: ١ / ٢٠١، الاحتجاج: ١ / ٤٩٥ / ١٢٤، بحارالأنوار: ٤٠ / ٢٤٨ / ٢٢ وج ٣ / ٣٠٩ / ٢.

فَقالَ لَهُ أبو جَعفرٍ عليه السلام: أتَراهُ جاءَني مُناظِراً؟

قالَ: نَعَم.

قالَ: يا غُلامُ! اخرُج فَحُطَّ رَحلَهُ وقُل لَهُ: إذا كانَ الغَدُ فَأتِنا.

قالَ: فَلَمّا أصبَحَ عَبدُاللهِ بنُ نافِعٍ غَدا في صناديدِ أصحابِهِ وبَعَثَ أبو جَعفرٍ عليه السلام إلىٰ جَميعِ أبناءِ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ فَجَمَعَهُم، ثُمَّ خَرَجَ إلَى النّاسِ في ثَوبَينِ مُمَغَّرَينِ[1] وأقبَلَ عَلَى النّاسِ كَأَنَّهُ فَلقَةُ قَمَرٍ فَقالَ: الحَمدُ للهِ مُحَيِّثِ الحَيثِ، ومُكَيِّفِ الكَيفِ، ومُؤَيِّنِ الأَينِ. الحَمدُ للهِ الَّذي ﴿لاتَأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ، لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرضِ﴾ ـ إلىٰ آخِرِ الآيَةِ ـ وأشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ [وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ]، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبدُهُ ورَسولُهُ، اجتَباهُ وهَداهُ إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ.

الحَمدُ للهِ الَّذي أكرَمَنا بِنُبُوَّتِهِ وَاختَصَّنا بِوِلايَتِهِ، يا مَعشَرَ أبناءِ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ! مَن كانَت عِندَهُ مَنقِبَةٌ في عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ عليه السلام فَليَقُم وَليَتَحَدَّث. قالَ: فَقامَ النّاسُ فَسَرَدوا تِلكَ المَناقِبَ فَقالَ عَبدُاللهِ: أنَا أروى لِهٰذِهِ المَناقِبِ مِن هٰؤُلاءِ، وإنَّما أحدَثَ عَلِيٌّ الكُفرَ بَعدَ تَحكيمِهِ الحَكَمَينِ ـ حَتّى انتَهَوا فِي المَناقِبِ إلىٰ حَديثِ خَيبَرَ: «لَأُعطِيَنَّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسولُهُ كَرّاراً

---

(١) المغرَة: طين أحمر يصبغ به، وثوب مُمَغَّر: مصبوغ بالمغرة (لسان العرب: «مغر»).

غَيرَ فَرّارٍ لا يَرجِعُ حَتّىٰ يَفتَحَ اللهُ عَلىٰ يَدَيهِ».

فَقالَ أبو جَعفَرٍ عليه السلام: ما تَقولُ في هٰذَا الحَديثِ؟ فَقالَ: هُوَ حَقٌّ لا شَكَّ فيهِ، ولٰكِن أحدَثَ الكُفرَ بَعدُ. فَقالَ لَهُ أبو جَعفَرٍ عليه السلام: ثَكِلَتكَ اُمُّكَ؟! أخبِرني عَنِ اللهِ عَزَّوجَلَّ أحَبَّ عَلِيَّ بنَ أبي‌طالِبٍ يَومَ أحَبَّهُ وهُوَ يَعلَمُ أنَّهُ يَقتُلُ أهلَ النَّهرَوانِ أم لَم يَعلَم؟ قالَ ابنُ نافِعٍ: أعِد عَلَيَّ. فَقالَ لَهُ أبو جَعفَرٍ عليه السلام: أخبِرني عَنِ اللهِ جَلَّ ذِكرُهُ أحَبَّ عَلِيَّ بنَ أبي‌طالِبٍ يَومَ أحَبَّهُ وهُوَ يَعلَمُ أنَّه يَقتُلُ أهلَ النَّهرَوانِ أم لَم يَعلَم؟ قالَ: إن قُلتُ «لا»، كَفَرتُ. قالَ، فَقالَ: قَد عَلِمَ. قالَ: فَأَحَبَّهُ اللهُ عَلىٰ أن يَعمَلَ بِطاعَتِهِ أو عَلىٰ أن يَعمَلَ بِمَعصِيَتِهِ؟ فَقالَ: عَلىٰ أن يَعمَلَ بِطاعَتِهِ، فَقالَ لَهُ أبوجَعفَرٍ عليه السلام: فَقُم مَخصوماً. فَقامَ وهُوَ يَقولُ: ﴿حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُم الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ﴾[1]، ﴿اللهُ أعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ﴾[2].[3]

١٤٨ـ محمّد بن أبي مسهر عن أبيه عن جدّه: كَتَبَ المُفَضَّلُ بنُ عُمَرَ الجُعفِيُّ إلىٰ أبي عَبدِاللهِ جَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ عليه السلام يُعلِمُهُ أنَّ أقواماً ظَهَروا مِن أهلِ هٰذِهِ المِلَّةِ يَجحَدونَ الرُّبوبِيَّةَ، ويُجادِلونَ عَلىٰ ذٰلِكَ، ويَسأَلُهُ أن يَرُدَّ عَلَيهِم قَولَهُم، ويَحتَجَّ عَلَيهِم فيمَا ادَّعَوا بِحَسَبِ مَا احتَجَّ بِهِ عَلىٰ

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) الكافي: ٥٤٨/٣٤٩/٨.

غَيرِهِم.

فَكَتَبَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام :... فَكانَ مِن نِعَمِهِ العِظامِ وآلائِهِ الجِسامِ الَّتي أنعَمَ بِها تَقريرُهُ قُلوبَهُم بِرُبوبِيَّتِهِ، وأخذُهُ ميثاقَهُم بِمَعرِفَتِهِ، وإنزالُهُ عَلَيهِم كِتاباً فيهِ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ مِن أمراضِ الخَواطِرِ ومُشتَبَهاتِ الأمورِ، ولَم يَدَع لَهُم ولا لِشَيءٍ مِن خَلقِهِ حاجَةً إلىٰ مَن سِواهُ، وَاستَغنىٰ عَنهُم، وكانَ اللهُ غَنِيّاً حَميداً.

ولَعَمري ما أُتِيَ الجُهّالُ مِن قِبَلِ رَبِّهِم وأنَّهُم لَيَرَونَ الدَّلالاتِ الواضِحاتِ وَالعَلاماتِ البَيِّناتِ في خَلقِهِم، وما يُعايِنونَ مِن مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَالصُّنعِ العَجيبِ المُتقَنِ الدّالِّ عَلَى الصّانِعِ! ولٰكِنَّهُم قَومٌ فَتَحوا عَلىٰ أنفُسِهِم أبوابَ المَعاصي، وسَهَّلوا لَها سَبيلَ الشَّهواتِ، فَغَلَبَتِ الأَهواءُ عَلىٰ قُلوبِهِم، وَاستَحوَذَ الشَّيطانُ بِظُلمِهِم عَلَيهِم، وكَذٰلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلىٰ قُلوبِ المُعتَدينَ.

وَالعَجَبُ مِن مَخلوقٍ يَزعُمُ أنَّ اللهَ يَخفىٰ عَلىٰ عِبادِهِ وهُوَ يَرىٰ أثَرَ الصُّنعِ في نَفسِهِ بِتَركيبٍ يَبهَرُ عَقلَهُ، وتَأليفٍ يُبطِلُ حُجَّتَهُ!

ولَعَمري لَو تَفَكَّروا في هٰذِهِ الأُمورِ العِظامِ لَعايَنوا مِن أمرِ التَّركيبِ البَيِّنِ، ولُطفِ التَّدبيرِ الظّاهِرِ، ووُجودِ الأَشياءِ مَخلوقَةً بَعدَ أن لَم تَكُن، ثُمَّ تَحَوُّلَها مِن طَبيعَةٍ إلىٰ طَبيعَةٍ، وصَنيعَةٍ بَعدَ صَنيعَةٍ، ما يَدُلُّهُم ذٰلِكَ عَلَى الصّانِعِ، فَإِنَّهُ لا يَخلو شَيءٌ مِنها مِن أن يَكونَ فيهِ أثَرُ تَدبيرٍ وتَركيبٍ يَدُلُّ عَلىٰ أنَّ لَهُ خالِقاً مُدَبِّراً، وتَأليفٍ بِتَدبيرٍ يَهدي إلىٰ واحِدٍ

حَكيمٍ.

وقَد وافاني كِتابُكَ، ورَسَمتُ لَكَ كِتاباً كُنتُ نازَعتُ فيهِ بَعضَ أهلِ الأَديانِ مِن أهلِ الإنكارِ، وذٰلِكَ أنَّهُ كانَ يَحضُرُني طَبيبٌ مِن بِلادِ الهِندِ، وكانَ لا يَزالُ يُنازِعُني في رَأيِهِ، ويُجادِلُني عَلىٰ ضَلالَتِهِ، فَبَينا هُوَ يَوماً يَدُقُّ إهليلَجَةً لِيَخلِطَها دَواءً اِحتَجتُ إلَيهِ مِن أدوِيَتِهِ، إذ عَرَضَ لَهُ شَيءٌ مِن كَلامِهِ الَّذي لَم يَزَل يُنازِعُني فيهِ مِن ادِّعائِهِ أنَّ الدُّنيا لَم تَزَل ولا تَزالُ شَجرَةٌ تَنبُتُ، وأُخرىٰ تَسقُطُ، نَفسٌ تولَدُ، وأُخرىٰ تَتلَفُ.

وزَعَمَ أنَّ انتِحالِي المَعرِفَةَ للهِ تَعالىٰ دَعوًى لا بَيِّنَةَ لي عَلَيها، ولا حُجَّةَ لي فيها، وأنَّ ذٰلِكَ أمرٌ أخَذَهُ الآخِرُ عَنِ الأَوَّلِ، والأَصغَرُ عَنِ الأَكبَرِ، وأنَّ الأَشياءَ المُختَلِفَةَ وَالمُؤتَلِفَةَ وَالباطِنَةَ وَالظّاهِرَةَ إنَّما تُعرَفُ بِالحَواسِّ الخَمسِ: نَظَرِ العَينِ؛ وسَمعِ الأُذُنِ؛ وشَمِّ الأَنفِ؛ وذَوقِ الفَمِّ؛ ولَمسِ الجَوارِحِ.

ثُمَّ قادَ مَنطِقَهُ عَلَى الأَصلِ الَّذي وَضَعَهُ فَقالَ: لَم يَقَع شَيءٌ مِن حَواسّي عَلىٰ خالِقٍ يُؤَدّي إلىٰ قَلبي، إنكاراً للهِ تَعالىٰ.

ثُمَّ قالَ: أخبِرني بِمَ تَحتَجُّ في مَعرِفَةِ رَبِّكَ الَّذي تَصِفُ قُدرَتَهُ ورُبوبِيَّتَهُ، وإنَّما يَعرِفُ القَلبُ الأَشياءَ كُلَّها بِالدَّلالاتِ الخَمسِ الَّتي وَصَفتُ لَكَ؟ قُلتُ: بِالعَقلِ الَّذي في قَلبي، وَالدَّليلِ الَّذي أحتَجُّ بِهِ في مَعرِفَتِهِ.

قالَ: فَأَنّىٰ يَكونُ ما تَقولُ وأنتَ تَعرِفُ أنَّ القَلبَ لايَعرِفُ شَيئاً بِغَيرِ الحَواسِّ الخَمسِ؟ فَهَل عايَنتَ رَبَّكَ بِبَصَرٍ، أو سَمِعتَ صَوتَهُ بِأُذُنٍ، أو شَمَمتَهُ بِنَسيمٍ، أو ذُقتَهُ بِفَمٍ، أو مَسَستَهُ بِيَدٍ، فَأَدّىٰ ذٰلِكَ المَعرِفَةَ إلىٰ قَلبِكَ؟

قُلتُ: أرَأَيتَ إذ أنكَرتَ اللهَ وجَحَدتَهُ ـ لِأَنَّكَ زَعَمتَ أنَّكَ لا تُحِسُّهُ بِحَواسِّكَ الَّتي تَعرِفُ بِهَا الأَشياءَ ـ وأقرَرتُ أنَا بِهِ هَل بُدٌّ مِن أن يَكونَ أحَدُنا صادِقاً والآخَرُ كاذِباً؟ قالَ: لا.

قُلتُ: أرَأَيتَ إن كانَ القَولُ قَولَكَ فَهَل يُخافُ عَلَيَّ شَيءٌ مِمّا اُخَوِّفُكَ بِهِ مِن عِقابِ اللهِ؟ قالَ: لا.

قُلتُ: أفَرَأَيتَ إن كانَ كَما أقولُ والحَقُّ في يَدي أَلَستُ قَد أخَذتُ فيما كُنتُ اُحاذِرُ مِن عِقابِ الخالِقِ بِالثِّقَةِ وأنَّكَ قَد وَقَعتَ بِجُحودِكَ وإنكارِكَ فِي الهَلَكَةِ؟ قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: فَأَيُّنا أولىٰ بِالحَزمِ وأقرَبُ مِنَ النَّجاةِ؟ قالَ: أنتَ، إلّا أنَّكَ مِن أمرِكَ عَلَى ادِّعاءٍ وشُبهَةٍ، وأنا عَلىٰ يَقينٍ وثِقَةٍ، لِأَنّي لا أرىٰ حَواسِّيَ الخَمسَ أدرَكَتهُ، وما لَم تُدرِكهُ حَواسّي فَلَيسَ عِندي بِمَوجودٍ.

قُلتُ: إنَّهُ لَمّا عَجَزَت حَواسُّكَ عَن إدراكِ اللهِ أنكَرتَهُ، وأنا لَمّا عَجَزَت حَواسّي عَن إدراكِ اللهِ تَعالىٰ صَدَّقتُ بِهِ.

قالَ: وكَيفَ ذٰلِكَ؟

قُلتُ: لِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ جَرىٰ فيهِ أَثَرُ تَركيبٍ لِجِسمٍ، أو وَقَعَ عَلَيهِ بَصَرٌ لِلَونٍ، فَما أدرَكَتهُ الأَبصارُ ونالَتهُ الحَواسُّ فَهُوَ غَيرُ اللهِ سُبحانَهُ، لِأَنَّهُ لايُشبِهُ الخَلقَ، وأنَّ هٰذَا الخَلقَ يَنتَقِلُ بِتَغييرٍ وزَوالٍ، وكُلُّ شَيءٍ أشبَهَ التَّغييرَ وَالزَّوالَ فَهُوَ مِثلُهُ، ولَيسَ المَخلوقُ كَالخالِقِ ولَا المُحدَثُ كَالمُحدِثِ....

قالَ: إنَّ هٰذا لَقَولٌ، ولٰكِنّي لَمُنكِرٌ ما لَم تُدرِكهُ حَواسّي فَتُؤَدِّيَهُ إلىٰ قَلبي، فَلَمَّا اعتَصَمَ بِهٰذِهِ المَقالَةِ ولَزِمَ هٰذِهِ الحُجَّةَ قُلتُ: أمّا إذ أبيتَ إلّا أن تَعتَصِمَ بِالجَهالَةِ، وتَجعَلَ المُحاجَزَةَ حُجَّةً فَقَد دَخَلتَ في مِثلِ ما عِبتَ وَامتَثَلتَ ما كَرِهتَ، حَيثُ قُلتَ: إنّي اختَرتُ الدَّعوىٰ لِنَفسي، لِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ لَم تُدرِكهُ حَواسّي عِندي بِلا شَيءٍ.

قالَ: وكَيفَ ذٰلِكَ؟ قُلتُ: لِأَنَّكَ نَقَمتَ عَلَى الادِّعاءِ ودَخَلتَ فيهِ فَادَّعَيتَ أمراً لَم تُحِط بِهِ خُبراً ولَم تَقُلهُ عِلماً، فَكَيفَ استَجَزتَ لِنَفسِكَ الدَّعوىٰ في إنكارِكَ اللهَ، ودَفعِكَ أعلامَ النُّبُوَّةِ وَالحُجَّةَ الواضِحَةَ وعِبتَها عَلَيَّ؟

أخبِرني هَل أحَطتَ بِالجِهاتِ كُلِّها وبَلَغتَ مُنتَهاها؟

قالَ: لا.

قُلتُ: فَهَل رَقيتَ إلَى السَّماءِ الَّتي تَرىٰ؟ أوِ انحَدَرتَ إلَى الأَرضِ السُّفلىٰ فَجُلتَ في أقطارِها؟ أو هَل خُضتَ في غَمَراتِ البُحورِ وَاختَرَقتَ نَواحِيَ الهَواءِ فيما فَوقَ السَّماءِ وتَحتَها إلَى الأَرضِ وما

أسفَلَ مِنها فوَجَدتَ ذٰلِكَ خَلاءً مِن مُدَبِّرٍ حَكيمٍ عالمٍ بَصيرٍ؟

قالَ: لا.

قُلتُ: فَما يَدريكَ، لَعَلَّ الَّذي أنكَرَهُ قَلبُكَ هُوَ في بَعضِ ما لَم تُدرِكهُ حَواسُّكَ ولَم يُحِط بِهِ عِلمُكَ؟ قالَ: لا أدري لَعَلَّ في بَعضِ ما ذَكَرتَ مُدَبِّراً! وما أدري لَعَلَّهُ لَيسَ في شَيءٍ مِن ذٰلِكَ شَيءٌ!

قُلتُ: أما إذ خَرَجتَ مِن حَدِّ الإنكارِ إلىٰ مَنزِلَةِ الشَّكِّ، فَإنّي أرجو أن تَخرُجَ إلَى المَعرِفَةِ.

قالَ: فَإنّما دَخَلَ عَلَيَّ الشَّكُّ لِسُؤالِكَ إيّايَ عَمّا لَم يُحِط بِهِ عِلمي، ولٰكِن مِن أينَ يَدخُلُ عَلَيَّ اليَقينُ بِما لَم تُدرِكهُ حَواسّي؟

قُلتُ: مِن قِبَلِ إهليلَجَتِكَ هٰذِهِ.

قالَ: ذاكَ إذاً أثبَتُ لِلحُجَّةِ؛ لِأَنَّها مِن آدابِ الطِّبِّ الَّذي أُذعِنُ بِمَعرِفَتِهِ.

قُلتُ: إنَّما أرَدتُ أن آتِيَكَ بِهِ مِن قِبَلِها لِأَنَّها أقرَبُ الأَشياءِ إلَيكَ، ولَو كانَ شَيءٌ أقرَبَ إلَيكَ مِنها لَأَتَيتُكَ مِن قِبَلِهِ؛ لِأَنَّ في كُلِّ شَيءٍ أثَرَ تَركيبٍ وحِكمَةً، وشاهِداً يَدُلُّ عَلَى الصَّنعَةِ الدّالَّةِ عَلىٰ مَن صَنَعَها ولَم تَكُن شَيئاً، ويُهلِكُها حَتّىٰ لا تَكونَ شَيئاً.

قُلتُ: فَأَخبِرني هَل تَرىٰ هٰذِهِ إهليلَجَةً؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: أفَتَرىٰ غَيبَ ما في جَوفِها؟

قالَ: لا. قُلتُ: أفتَشهَدُ أنَّها مُشتَمِلَةٌ علىٰ نَواةٍ ولا تَراها؟

قالَ: ما يُدريني لَعَلَّ لَيسَ فيها شَيءٌ!

قُلتُ: أفتَرىٰ أنَّ خَلفَ هٰذَا القِشرِ مِن هٰذِهِ الإهليلَجَةِ غائِبٌ لَم تَرَهُ مِن لَحمٍ أو ذي لَونٍ؟

قالَ: ما أدري، لَعَلَّ ما ثَمَّ غَيرُ ذي لَونٍ ولا لَحمٍ؟....

قُلتُ: أفتَقِرُّ أنَّ الإهليلَجَةَ في أرضٍ تَنبُتُ؟

قالَ: تِلكَ الأَرضُ وهٰذِهِ واحِدَةٌ وقَد رَأَيتُها.

قُلتُ: أفَما تَشهَدُ بِحُضورِ هٰذِهِ الإهليلَجَةِ علىٰ وُجودِ ما غابَ مِن أشباهِها؟

قالَ: ما أدري، لَعَلَّهُ لَيسَ فِي الدُّنيا إهليلَجَةٌ غَيرُها.

فَلَمّا اعتَصَمَ بِالجَهالَةِ قُلتُ: أخبِرني عَن هٰذِهِ الإهليلَجَةِ أتُقِرُّ أنَّها خَرَجَت مِن شَجَرَةٍ؟ أو تَقولُ: إنَّها هٰكَذا وُجِدَت؟ قالَ: لا بَل مِن شَجَرَةٍ خَرَجَت. قُلتُ: فَهَل أدرَكَت حَواسُّكَ الخَمسُ ما غابَ عَنكَ مِن تِلكَ الشَّجَرَةِ؟ قالَ: لا. قُلتُ: فَما أراكَ إلّا قَد أقرَرتَ بِوُجودِ شَجَرَةٍ لَم تُدرِكها حَواسُّكَ؟ قالَ: أجَل ولٰكِنّي أقولُ: إنَّ الإهليلَجَةَ وَالأَشياءَ المُختَلِفَةَ شَيءٌ لَم تَزَل تُدرِكُ، فَهَل عِندَكَ في هٰذا شَيءٌ تَرُدُّ بِهِ قَولي؟ قُلتُ: نَعَم.

أخبِرني عَن هٰذِهِ الإهليلَجَةِ هَل كُنتَ عايَنتَ شَجَرَتَها وعَرَفتَها قَبلَ

أن تكونَ هٰذِهِ الإهليلَجَةُ فيها؟ قالَ: نَعَم. قُلتُ: فَهَل كُنتُ تُعاينُ هٰذِهِ الإِهليلَجَةَ؟ قالَ: لا. قُلتُ: أفَما تَعلَمُ أنَّك كُنتَ عايَنتَ الشَّجَرَةَ ولَيسَ فيهَا الإِهليلَجَةُ ثُمَّ عُدتَ إلَيها فوَجَدتَ فيهَا الإِهليلَجَةَ، أفَما تَعلَمُ أنَّهُ قَد حَدَثَ فيها ما لَم تَكُن؟ قالَ: ما أستَطيعُ أن أُنكِرَ ذٰلِكَ ولٰكِنّي أقولُ: إنَّها كانَت فيها مُتَفَرِّقَةً.

قُلتُ: فَأَخبِرني هَل رَأَيتَ تِلكَ الإِهليلَجَةَ الَّتي تَنبُتُ مِنها شَجَرَةُ هٰذِهِ الإِهليلَجَةِ قَبلَ أن تُغرَسَ؟ قالَ: نَعَم. قُلتُ: فَهَل يَحتَمِلُ عَقلُكَ أنَّ الشَّجَرَةَ الَّتي تَبلُغُ أصلُها وعُروقُها وفُروعُها ولِحاؤُها وكُلُّ ثَمَرَةٍ جُنِيَت، ووَرَقَةٍ سَقَطَت ألفَ ألفِ رَطلٍ كانَت كامِنَةً في هٰذِهِ الإِهليلَجَةِ؟ قالَ: ما يَحتَمِلُ هٰذَا العَقلُ ولا يَقبَلُهُ القَلبُ. قُلتُ: أقرَرتَ أنَّها حَدَثَت فِي الشَّجَرَةِ؟ قالَ: نَعَم، ولٰكِنّي لا أعرِفُ أنَّها مَصنوعَةٌ، فَهَل تَقدِرُ أن تُقَرِّرَني بِذٰلِكَ؟ قُلتُ: نَعَم. أرَأَيتَ أنّي إن أرَيتُكَ تَدبيراً أتُقِرُّ أنَّ لَهُ مُدَبِّراً، وتَصويراً أنَّ لَهُ مُصَوِّراً؟ قالَ: لابُدَّ مِن ذٰلِكَ.

قُلتُ: ألَستَ تَعلَمُ أنَّ هٰذِهِ الإِهليلَجَةَ لَحمٌ رُكِّبَ عَلىٰ عَظمٍ فوُضِعَ في جَوفٍ مُتَّصِلٍ بِغُصنٍ مُرَكَّبٍ عَلىٰ ساقٍ يَقومُ عَلىٰ أصلٍ فَيَقوىٰ بِعُروقٍ مِن تَحتِها عَلىٰ جِرمٍ مُتَّصِلٍ بَعضٍ بِبَعضٍ؟ قالَ: بَلىٰ. قُلتُ: ألَستَ تَعلَمُ أنَّ هٰذِهِ الإِهليلَجَةَ مُصَوَّرَةٌ بِتَقديرٍ وتَخطيطٍ، وتَأليفٍ وتَركيبٍ وتَفصيلٍ مُتَداخِلٍ بِتَأليفِ شَيءٍ في بَعضِ شَيءٍ، بِهِ طَبَقٌ بَعدَ طَبَقٍ وجِسمٌ عَلىٰ جِسمٍ ولَونٌ مَعَ لَونٍ، أبيَضُ في صُفرَةٍ، ولينٌ عَلىٰ

شَديدٍ، في طَبائِعَ مُتَفرِّقَةٍ، وطَرائِقَ مُختَلِفَةٍ، وأجزاءٍ مُؤتَلِفَةٍ مَعَ لِحاءٍ تَسقيها، وعُروقٍ يَجري فيهَا الماءُ، ووَرَقٍ يَستُرُها وتَقيها مِنَ الشَّمسِ أن تُحرِقَها، ومِنَ البَردِ أن يُهلِكَها، وَالرّيحِ أن تُذبِلَها؟

قالَ: أفلَيسَ لَو كانَ الوَرَقُ مُطبَقاً عَلَيها كانَ خيراً لَها؟

قُلتُ: اللهُ أحسَنُ تَقديراً لَو كانَ كَما تَقولُ لَم يَصِل إلَيها ريحٌ يُرَوِّحُها، ولا بَردٌ يُشَدِّدُها، ولَعَفِنَت عِندَ ذٰلِك، ولَو لَم يَصِل إلَيها حَرُّ الشَّمسِ لَما نَضَجَت، ولٰكِن شَمسٌ مَرَّةً وريحٌ مَرَّةً وبَردٌ مَرَّةً، قَدَّرَ اللهُ ذٰلِك بِقُوَّةٍ لَطيفَةٍ، ودَبَّرَهُ بِحِكمَةٍ بالِغَةٍ.

قالَ: حَسبي مِنَ التَّصويرِ! فَسِّر لِيَ التَّدبيرَ الَّذي زَعَمتَ أنَّكَ تَرَيَنَّهُ.

قُلتُ: أرَأَيتَ الإهليلَجَةَ قَبلَ أن تُعقَدَ إذ هِيَ في قَمعِها ماءٌ بِغَيرِ نَواةٍ ولا لَحمٍ ولا قِشرٍ ولا لَونٍ ولا طَعمٍ ولا شِدَّةٍ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: أرَأَيتَ لَو لَم يَرفَقِ الخالِقُ ذٰلِكَ الماءَ الضَّعيفَ الَّذي هُوَ مِثلُ الخَردَلَةِ فِي القِلَّةِ وَالذِّلَّةِ ولَم يُقَوِّهِ بِقُوَّتِهِ ويُصَوِّرهُ بِحِكمَتِهِ ويُقَدِّرهُ بِقُدرَتِهِ، هَل كانَ ذٰلِكَ الماءُ يَزيدُ عَلىٰ أن يَكونَ في قَمعِهِ غَيرَ مَجموعٍ بِجِسمٍ وقَمعٍ وتَفصيلٍ؟ فَإِن زادَ زادَ، ماءً مُتَراكِباً غَيرَ مُصَوَّرٍ، ولا مُخَطَّطٍ ولا مُدَبَّرٍ بِزِيادَةِ أجزاءٍ، ولا تَأليفِ أطباقٍ.

قالَ: قَد أرَيتَني مِن تَصويرِ شَجَرَتِها، وتَأليفِ خِلقَتِها، وحَملِ

ثَمَرَتِها، وزِيادَةِ أجزائِها، وتَفصيلِ تَركيبِها أوضَحَ الدَّلالاتِ، وأظهَرَ البَيِّنَةِ عَلىٰ مَعرِفَةِ الصّانِعِ، ولَقَد صَدَّقتُ بِأَنَّ الأَشياءَ مَصنوعَةٌ، ولٰكِنّي لا أدري لَعَلَّ الإِهليلَجَةَ وَالأَشياءَ صَنَعَت أنفُسَها؟

قُلتُ: أوَ لَستَ تَعلَمُ أنَّ خالِقَ الأَشياءِ وَالإِهليلَجَةِ حَكيمٌ عالِمٌ بِما عايَنتَ مِن قُوَّةِ تَدبيرِهِ؟

قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: فَهَل يَنبَغي لِلَّذي هُوَ كَذٰلِكَ أن يَكونَ حَدَثاً؟

قالَ: لا.

قُلتُ: أفَلَستَ قَد رَأَيتَ الإِهليلَجَةَ حينَ حَدَثَت وعايَنتَها بَعدَ أن لَم تَكُن شَيئاً، ثُمَّ هَلَكَت كَأَن لَم تَكُن شَيئاً؟

قالَ: بَلىٰ، وإِنَّما أعطَيتُكَ أنَّ الإِهليلَجَةَ حَدَثَت ولَم اُعطِكَ أنَّ الصّانِعَ لا يَكونُ حادِثاً لا يَخلُقُ نَفسَهُ.

قُلتُ: أَلَم تُعطِني أنَّ الحَكيمَ الخالِقَ لا يَكونُ حَدَثاً، وزَعَمتَ أنَّ الإِهليلَجَةَ حَدَثَت؟ فَقَد أعطَيتَني أنَّ الإِهليلَجَةَ مَصنوعَةٌ، فَهُوَ عَزَّوجَلَّ صانِعُ الإِهليلَجَةِ، وإِن رَجَعتَ إلىٰ أن تَقولَ: إنَّ الإِهليلَجَةَ صَنَعَت نَفسَها ودَبَّرَت خَلقَها فَما زِدتَ أن أقرَرتَ بِما أنكَرتَ، ووَصَفتَ صانِعاً مُدَبِّراً أصَبتَ صِفَتَهُ، ولٰكِنَّكَ لَم تَعرِفهُ فَسَمَّيتَهُ بِغَيرِ اسمِهِ.

قالَ: كَيفَ ذٰلِكَ؟

قُلتُ: لِأَنَّكَ أقرَرتَ بِوُجودِ حَكيمٍ لَطيفٍ مُدَبِّرٍ، فَلَمّا سَأَلتُكَ «مَن هُوَ؟» قُلتَ: «الإِهليلَجَةُ». قَد أقرَرتَ بِاللهِ سُبحانَهُ، ولٰكِنَّكَ سَمَّيتَهُ بِغَيرِ اسمِهِ، ولَو عَقَلتَ وفَكَّرتَ لَعَلِمتَ أنَّ الإِهليلَجَةَ أنقَصُ قُوَّةً مِن أن تَخلُقَ نَفسَها، وأضعَفُ حيلَةً مِن أن تُدَبِّرَ خَلقَها.

قالَ: هَل عِندَكَ غَيرُ هٰذا؟

قُلتُ: نَعَم. أخبِرني عَن هٰذِهِ الإِهليلَجَةِ الَّتي زَعَمتَ أنَّها صَنَعَت نَفسَها ودَبَّرَت أمرَها كَيفَ صَنَعَت نَفسَها صَغيرَةَ الخِلقَةِ، صَغيرَةَ القُدرَةِ، ناقِصَةَ القُوَّةِ، لا تَمتَنِعُ أن تُكسَرَ وتُعصَرَ وتُؤكَلَ؟ وكَيفَ صَنَعَت نَفسَها مَفضولَةً مَأكولَةً مُرَّةً قَبيحَةَ المَنظَرِ لا بَهاءَ لَها ولا ماءَ؟

قالَ: لِأَنَّها لَم تَقوَ إلّا عَلىٰ ما صَنَعَت نَفسَها أو لَم تَصنَع إلّا ما هَوِيَت.

قُلتُ: أما إذ أبَيتَ إلَّا التَّماديَ فِي الباطِلِ فَأَعلِمني مَتىٰ خَلَقَت نَفسَها ودَبَّرَت خَلقَها قَبلَ أن تَكونَ أو بَعدَ أن كانَت؟ فَإِن زَعَمتَ أنَّ الإِهليلَجَةَ خَلَقَت نَفسَها بَعدَ ما كانَت فَإِنَّ هٰذا لَمِن أبيَنِ المُحالَ! كَيفَ تَكونُ مَوجودَةً مَصنوعَةً، ثُمَّ تَصنَعُ نَفسَها مَرَّةً اُخرىٰ؟ فَيَصيرُ كَلامُكَ إلىٰ أنَّها مَصنوعَةٌ مَرَّتَينِ؟ ولَئِن قُلتَ «إنَّها خَلَقَت نَفسَها ودَبَّرَت خَلقَها قَبلَ أن تَكونَ»، إنَّ هٰذا مِن أوضَحِ الباطِلِ وأبيَنِ الكَذِبِ؛ لِأَنَّها قَبلَ أن تَكونَ لَيسَ بِشَيءٍ، فَكَيفَ يَخلُقُ لا شَيءٌ شَيئاً؟ وكَيفَ تَعيبُ قَولي: إنَّ شَيئاً يَصنَعُ لا شَيئاً ولا تَعيبُ قَولَكَ: إنَّ لا شَيءَ يَصنَعُ لا

شَيئاً؟ فَانظُر أيَّ القَولَينِ أولىٰ بِالحَقِّ؟

قالَ: قَولُكَ.

قُلتُ: فَما يَمنَعُكَ مِنهُ؟

قالَ: قَد قَبِلتُهُ وَاستَبانَ لي حَقُّهُ وصِدقُهُ بِأَنَّ الأَشياءَ المُختَلِفَةَ وَالإِهليلَجَةَ لَم يَصنَعنَ أنفُسَهُنَّ، ولَم يُدَبِّرنَ خَلقَهُنَّ.

ولٰكِنَّهُ تَعَرَّضَ لي أنَّ الشَّجَرَةَ هِيَ الَّتي صَنَعَتِ الإِهليلَجَةَ؛ لِأَنَّها خَرَجَت مِنها.

قُلتُ: فَمَن صَنَعَ الشَّجَرَةَ؟

قالَ: الإِهليلَجَةُ الأُخرىٰ.

قُلتُ: اِجعَل لِكَلامِكَ غايَةً أنتهي إلَيها. فَإِمّا أن تَقولَ: «هُوَ اللهُ سُبحانَهُ» فَيُقبَلُ مِنكَ، وإمّا أن تَقولَ: «الإِهليلَجَةُ» فَنسأَلَكَ.

قالَ: سَل.

قُلتُ: أخبِرني عَنِ الإِهليلَجَةِ، هَل تَنبُتُ مِنهَا الشَّجَرَةُ إلّا بَعدَما ماتَتَ وبَلِيَت وبادَت؟

قالَ: لا.

قُلتُ: إنَّ الشَّجَرَةَ بَقِيَت بَعدَ هَلاكِ الإِهليلَجَةِ مِائَةَ سَنَةٍ، فَمَن كانَ يَحميها ويَزيدُ فيها، ويُدَبِّرُ خَلقَها ويُرَبِّيها، ويُنبِتُ وَرَقَها؟ ما لَكَ بُدٌّ مِن أن تَقولَ: «هُوَ الَّذي خَلَقَها»، ولَئِن قُلتَ: «الإِهليلَجَةُ ـ وهِيَ حَيَّةٌ

قَبلَ أن تَهلِكَ وتَبلىٰ وتَصيرَ تُراباً، وقَد رَبَّتِ الشَّجَرَةَ وهِيَ ميتةٌ ـ»، إنَّ هٰذَا القَولَ مُختَلِفٌ.

قالَ: لا أقولُ ذٰلِكَ.

قُلتُ: أفتَقِرُّ بِأَنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلقَ أم قَد بَقِيَ في نَفسِكَ شَيءٌ مِن ذٰلِكَ؟

قالَ: إنّي مِن ذٰلِكَ علىٰ حَدٍّ وُقوفٍ، ما أتَخَلَّصُ إلىٰ أمرٍ يَنفُذُ لي فيهِ الأَمرُ.

قُلتُ: أمّا إذ أبيتَ إلّا الجَهالَةَ، وزَعَمتَ أنَّ الأَشياءَ لا يُدرَكُ إلّا بِالحَواسِّ، فَإِنّي أُخبِرُكَ أنَّهُ لَيسَ لِلحَواسِّ دَلالَةٌ عَلَى الأَشياءِ ولا فيها مَعرِفَةٌ إلّا بِالقَلبِ؛ فَإِنَّهُ دَليلُها ومُعَرِّفُهَا الأَشياءَ الَّتي تَدَّعي أنَّ القَلبَ لا يَعرِفُها إلّا بِها.

فَقالَ: أمّا إذ نَطَقتَ بِهٰذا فَما أقبَلُ مِنكَ إلّا بِالتَّخليصِ وَالتَّفَحُّصِ مِنهُ بِإِيضاحٍ وبَيانٍ وحُجَّةٍ وبُرهانٍ.

قُلتُ: فَأَوَّلُ ما أبدَأُ بِهِ أنَّكَ تَعلَمُ أنَّهُ رُبَّما ذَهَبَ الحَواسُّ أو بَعضُها، ودَبَّرَ القَلبُ الأَشياءَ الَّتي فيهَا المَضَرَّةُ وَالمَنفَعَةُ مِنَ الأُمورِ العَلانِيَةِ وَالخَفِيَّةِ فَأَمَرَ بِها ونَهىٰ، فَنَفَذَ فيها أمرُهُ وصَحَّ فيها قَضاؤُهُ.

قالَ: إنَّكَ تَقولُ في هٰذا قَولاً يُشبِهُ الحُجَّةَ، ولٰكِنّي أُحِبُّ أن توضِحَهُ لي غَيرَ هٰذَا الإِيضاحِ.

قُلتُ: أَلَستَ تَعلَمُ أنَّ القَلبَ يَبقىٰ بَعدَ ذَهابِ الحَواسِّ؟

قالَ: نَعَم، ولٰكِن يَبقىٰ بِغَيرِ دَليلٍ عَلَى الأَشياءِ الَّتي تَدُلُّ عَلَيهَا الحَواسُّ. قُلتُ: أفَلَستَ تَعلَمُ أنَّ الطِّفلَ تَضَعُهُ اُمُّهُ مُضغَةً لَيسَ تَدُلُّهُ الحَواسُّ عَلىٰ شَيءٍ يُسمَعُ ولا يُبصَرُ ولا يُذاقُ ولا يُلمَسُ ولا يُشَمُّ؟

قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: فَأَيَّةُ الحَواسِّ دَلَّتهُ عَلىٰ طَلَبِ اللَّبَنِ إذا جاعَ؟ وَالضِّحكِ بَعدَ البُكاءِ إذا رَوىٰ مِنَ اللَّبَنِ؟ وأيُّ حَواسِّ سِباعِ الطَّيرِ ولاقِطِ الحَبِّ مِنها دَلَّها عَلىٰ أن تُلقِيَ بَينَ أفراخِهَا اللَّحمَ وَالحَبَّ فَتَهوِيَ سِباعُها إلَى اللَّحمِ، وَالآخَرونَ إلَى الحَبِّ؟

وأخبِرني عَن فِراخِ طَيرِ الماءِ أَلَستَ تَعلَمُ أنَّ فِراخَ طَيرِ الماءِ إذا طُرِحَت فيهِ سَبِحَت، وإذا طُرِحَت فيهِ فِراخُ طَيرِ البَرِّ غَرِقَت وَالحَواسُّ واحِدَةٌ؟ فَكَيفَ انتَفَعَ بِالحَواسِّ طَيرُ الماءِ وأعانَتهُ عَلَى السِّباحَةِ ولَم تَنتَفِع طَيرُ البَرِّ فِي الماءِ بِحَواسِّها؟...

أم أخبِرني ما بالُ الذَّرَّةِ الَّتي لا تُعايِنُ الماءَ قَطُّ تُطرَحُ فِي الماءِ فَتَسبَحُ، وتُلقَى الإنسانُ ابنُ خَمسينَ سَنَةً مِن أقوَى الرِّجالِ وأعقَلِهِم لَم يَتَعَلَّمِ السِّباحَةَ فَيَغرَقُ؟ كَيفَ لَم يَدُلَّهُ عَقلُهُ ولُبُّهُ وتَجارِبُهُ وبَصَرُهُ بِالأَشياءِ مَعَ اجتِماعِ حَواسِّهِ، وصِحَّتِها أن يُدرِكَ ذٰلِكَ بِحَواسِّهِ كَما أدرَكَتهُ الذَّرَّةُ إن كانَ ذٰلِكَ إنَّما يُدرِكُ بِالحَواسِّ؟ أفَلَيسَ يَنبَغي لَكَ أن تَعلَمَ أنَّ القَلبَ الَّذي هُوَ مَعدِنُ العَقلِ فِي الصَّبِيِّ الَّذي وَصَفتُ وغَيرِهِ مِمّا سَمِعتَ مِنَ الحَيَوانِ هُوَ الَّذي يُهَيِّجُ الصَّبِيَّ إلىٰ طَلَبِ الرِّضاعِ،

وَالطَّيرَ اللّاقِطَ عَلىٰ لَقطِ الحَبِّ، وَالسِّباعَ عَلىٰ ابتِلاعِ اللَّحمِ؟

قالَ: لَستُ أجِدُ القَلبَ يَعلَمُ شَيئاً إلّا بِالحَواسِّ...

[قلت:] فَهَل رَأَيتَ فِي المَنامِ أنَّكَ تَأكُلُ وتَشرَبُ حَتّىٰ وَصَلَت لَذَّةُ ذٰلِكَ إلىٰ قَلبِكَ؟ قالَ: نَعَم.

قُلتُ: فَهَل رَأَيتَ أنَّكَ تَضحَكُ وتَبكي وتَجولُ فِي البُلدانِ الَّتي لَم تَرَها والَّتي قَد رَأَيتَها حَتّىٰ تَعلَمَ مَعالِمَ ما رَأَيتَ مِنها؟

قالَ: نعم، ما لا اُحصي. قُلتُ: هَل رَأَيتَ أحَداً مِن أقارِبِكَ مِن أخٍ أو أبٍ أو ذي رَحِمٍ قَد ماتَ قَبلَ ذٰلِكَ حَتّىٰ تَعلَمَهُ وتَعرِفَهُ كَمَعرِفَتِكَ إيّاهُ قَبلَ أن يَموتَ؟

قالَ: أكثَرَ مِنَ الكَثيرِ.

قُلتُ: فَأَخبِرني أيُّ حَواسِّكَ أدرَكَ هٰذِهِ الأَشياءَ في مَنامِكَ حَتّىٰ دَلَّت قَلبَكَ عَلىٰ مُعايَنَةِ المَوتىٰ وكَلامِهِم، وأكلِ طَعامِهِم، وَالجَوَلانِ فِي البُلدانِ، وَالضِّحكِ وَالبُكاءِ وغَيرِ ذٰلِكَ؟

قالَ: ما أقدِرُ أن أقولَ لَكَ أيُّ حَواسّي أدرَكَ ذٰلِكَ أو شَيئاً مِنهُ، وكَيفَ تُدرِكُ وهِيَ بِمَنزِلَةِ المَيِّتِ لا تَسمَعُ ولا تُبصِرُ؟

قُلتُ: فَأَخبِرني حَيثُ استَيقَظتَ ألَستَ قَد ذَكَرتَ الَّذي رَأَيتَ في مَنامِكَ تَحفِظُهُ وتَقُصُّهُ بَعدَ يَقظَتِكَ عَلىٰ إخوانِكَ لا تَنسىٰ مِنهُ حَرفاً؟

قالَ: إنَّهُ كَما تَقولُ ورُبَّما رَأَيتُ الشَّيءَ في مَنامي، ثُمَّ لا اُمسي

حَتّى أراهُ في يَقظَتي كَما رَأَيتُهُ في مَنامي.

قُلتُ: فَأَخبِرني أيُّ حَواسِّكَ قَرَّرَت عِلمَ ذٰلِكَ في قَلبِكَ، حَتّىٰ ذَكَّرتَهُ بَعدَ مَا استَيقَظتَ؟

قالَ: إنَّ هٰذَا الأَمرَ ما دَخَلَت فيهِ الحَواسُّ.

قُلتُ: أفَلَيسَ يَنبَغي لَكَ أن تَعلَمَ حَيثُ بَطَلَتِ الحَواسُّ في هٰذا أنَّ الَّذي عايَنَ تِلكَ الأَشياءَ وحَفِظَها في مَنامِكَ ـ قَلبُكَ الَّذي جَعَلَ اللهُ فيهِ العَقلَ الَّذي احتَجَّ بِهِ عَلَى العِبادِ؟

قالَ: إنَّ الَّذي رَأَيتُ في مَنامي لَيسَ بِشَيءٍ، إنَّما هُوَ بِمَنزِلَةِ السَّرابِ الَّذي يُعايِنُهُ صاحِبُهُ ويَنظُرُ إلَيهِ، لا يَشُكُّ فيهِ أنَّهُ ماءٌ؛ فَإِذَا انتَهىٰ إلىٰ مَكانِهِ لَم يَجِدهُ شَيئاً؛ فَما رَأَيتُ في مَنامي فَبِهٰذِهِ المَنزِلَةِ.

قُلتُ: كَيفَ شَبَّهتَ السَّرابَ بِما رَأَيتَ في مَنامِكَ مِن أكلِكَ الطَّعامَ الحُلوَ وَالحامِضَ، وما رَأَيتَ مِنَ الفَرَحِ وَالحُزنِ؟

قالَ: لِأَنَّ السَّرابَ حَيثُ انتَهَيتُ إلىٰ مَوضِعِهِ صارَ لا شَيءَ، وكَذٰلِكَ صارَ ما رَأَيتُ في مَنامي حينَ انتَبَهتُ.

قُلتُ: فَأَخبِرني إن أتَيتُكَ بِأَمرٍ وَجَدتَ لَذَّتَهُ في مَنامِكَ، وخَفَقَ لِذٰلِكَ قَلبُكَ ألَستَ تَعلَمُ أنَّ الأَمرَ عَلىٰ ما وَصَفتُ لَكَ؟ قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: فَأَخبِرني هَلِ احتَلَمتَ قَطُّ حَتّىٰ قَضَيتَ فِي امرَأَةٍ نَهمَتَكَ عَرَفتَها أم لَم تَعرِفها؟ قالَ: بَلىٰ مالا اُحصيهِ.

قُلتُ: ألَستَ وَجَدتَ لِذٰلِكَ لَذَّةً عَلىٰ قَدرِ لَذَّتِكَ في يَقظَتِكَ فَتَنتَبِهُ

وقَد أنزَلتَ الشَّهوَةَ حَتّىٰ تَخرُجَ مِنكَ بِقَدرِ ما تَخرُجُ مِنكَ فِي اليَقظَةِ، هٰذا كَسرٌ لِحُجَّتِكَ فِي السَّرابِ.

قالَ: ما يَرَى المُحتَلِمُ في مَنامِهِ شَيئاً إلّا ما كانَت حَواسُّهُ دَلَّت عَلَيهِ فِي اليَقظَةِ.

قُلتُ: ما زِدتَ عَلىٰ أن قَوَّيتَ مَقالَتي، وزَعَمتَ أنَّ القَلبَ يَعقِلُ الأَشياءَ ويَعرِفُها بَعدَ ذَهابِ الحَواسِّ ومَوتِها فَكَيفَ أنكَرتَ أنَّ القَلبَ يَعرِفُ الأَشياءَ وهُوَ يَقظانُ مُجتَمِعَةٌ لَهُ حَواسُّهُ...

قالَ: لَقَد كُنتُ أظُنُّكَ لا تَتَخَلَّصُ مِن هٰذِهِ المَسأَلَةِ وقَد جِئتَ بِشَيءٍ لا أقدِرُ عَلىٰ رَدِّهِ! قُلتُ: وأنا اُعطيكَ تَصاديقَ ما أنبَأتُكَ بِهِ وما رَأَيتَ في مَنامِكَ في مَجلِسِكَ السّاعَةَ.

قالَ: اِفعَل فَإِنّي قَد تَحَيَّرتُ في هٰذِهِ المَسأَلَةِ.

قُلتُ: أخبِرني هَل تُحَدِّثُ نَفسَكَ مِن تِجارَةٍ أو صَناعَةٍ أو بِناءٍ أو تَقديرِ شَيءٍ وتَأمُرُ بِهِ إذا أحكَمتَ تَقديرَهُ في ظَنِّكَ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: فَهَل أشرَكتَ قَلبَكَ في ذٰلِكَ الفِكرِ شَيئاً مِن حَواسِّكَ؟

قالَ: لا.

قُلتُ: أفَلا تَعلَمُ أنَّ الَّذي أخبَرَكَ بِهِ قَلبُكَ حَقٌّ؟ قالَ: اليَقينُ هُوَ[1].

---

(١) بحارالأنوار: ١٥٢/٣ نقلاً عن الإهليلجة في التوحيد للمفضّل بن عمر.

١٤٩ـ الاحتجاج: ومِن سُؤالِ الزِّنديقِ[1] الَّذي سَأَلَ أبا عَبدِاللهِ عليه السلام عَن مَسائِلَ كَثيرَةٍ أن قالَ: كَيفَ يَعبُدُ اللهَ الخَلقُ ولَم يَرَوهُ؟

قالَ: رَأَتهُ القُلوبُ بِنورِ الإيمانِ، وأثبَتَتهُ العُقولُ بِيَقظَتِها إثباتَ العَيانِ، وأبصَرَتهُ الأَبصارُ بِما رَأَتهُ مِن حُسنِ التَّركيبِ وإحكامِ التَّأليفِ، ثُمَّ الرُّسُلَ وآياتُها وَالكُتُبُ ومُحكَماتُها، وَاقتَصَرَتِ العُلَماءُ عَلىٰ ما رَأَت مِن عَظَمَتِهِ دونَ رُؤيَتِهِ.

قالَ: أَلَيسَ هُوَ قادِرٌ أن يَظهَرَ لَهُم حَتّىٰ يَرَوهُ فَيَعرِفوهُ، فَيُعبَدَ عَلىٰ يَقينٍ؟ قالَ: لَيسَ لِلمُحالِ جَوابٌ.

قالَ: فَمِن أينَ أثبَتَّ أنبياءَ ورُسُلاً؟

قالَ عليه السلام: إنّا لَمّا أثبَتنا أنَّ لَنا خالِقاً صانِعاً مُتَعالِياً عَنّا وعَن جَميعِ ما خَلَقَ، وكانَ ذٰلِكَ الصّانِعُ حَكيماً، لَم يَجُز أن يُشاهِدَهُ خَلقُهُ، و لا أن يُلامِسوهُ، ولا أن يُباشِرَهُم ويُباشِروهُ، ويُحاجَّهُم ويُحاجّوهُ، ثَبَتَ أنَّ لَهُ سُفَراءَ في خَلقِهِ وعِبادِهِ يَدُلّونَهُم عَلىٰ مَصالِحِهِم ومَنافِعِهِم، وما بِهِ بَقاؤُهُم، وفي تَركِهِ فَناؤُهُم، فَثَبَتَ الآمِرونُ وَالنّاهونَ عَنِ الحَكيمِ العَليمِ في خَلقِهِ، وثَبَتَ عِندَ ذٰلِكَ أنَّ لَهُ مُعَبِّرينَ وهُمُ الأَنبِياءُ وصَفوَتُهُ مِن خَلقِهِ، حُكَماءَ مُؤَدَّبينَ بِالحِكمَةِ، مَبعوثينَ عَنهُ، مُشارِكينَ لِلنّاسِ

---

(١) جاءت في معنى ومصداق كلمة الزِّنديق آراء متعدّدة؛ من جملتها الدهري، والثنوي، والمانوي. والوجه الجامع للمعاني المذكورة هو إنكار الدِين أو الإسلام. للاطّلاع علىٰ مزيدٍ من التفاصيل حول أصل هذه الكلمة ومعانيها، (تاج العروس: ١٣ / ٢٠١، لسان العرب: ١٠ / ١٤٧).

في أحوالِهِم عَلىٰ مُشارَكَتِهِم لَهُم فِي الخَلقِ وَالتَّركيبِ، مُؤَيَّدينَ مِن عِندِ الحَكيمِ العَليمِ، بِالحِكمَةِ وَالدَّلائِلِ وَالبَراهينِ وَالشَّواهِدِ: مِن إحياءِ المَوتىٰ، وإبراءِ الأَكمَهِ وَالأَبرَصِ، فَلا تَخلُو الأَرضُ مِن حُجَّةٍ يَكونُ مَعَهُ عِلمٌ يَدُلُّ عَلىٰ صِدقِ مَقالِ الرَّسولِ ووُجوبِ عَدالَتِهِ.

ثُمَّ قالَ عليه السلام بَعدَ ذٰلِكَ ـ: نَحنُ نَزعُمُ أنَّ الأَرضَ لا تَخلو مِن حُجَّةٍ، ولا تَكونُ الحُجَّةُ إلّا مِن عَقِبِ الأَنبياءِ، وما بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً قَطُّ مِن غَيرِ نَسلِ الأَنبياءِ، وذٰلِكَ أنَّ اللهَ شَرَعَ لِبَني آدَمَ طَريقاً مُنيراً، وأخرَجَ مِن آدَمَ نَسلاً طاهِراً طَيِّباً، أخرَجَ مِنهُ الأَنبياءَ وَالرُّسُلَ، هُم صَفوَةُ اللهِ، وخُلَّصُ الجَوهَرِ، طُهِّروا فِي الأَصلابِ، وحُفِظوا فِي الأَرحامِ، لَم يُصِبهُم سِفاحُ الجاهِلِيَّةِ، ولا شابَ أنسابَهُم؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ جَعَلَهُم في مَوضِعٍ لا يَكونُ أعلىٰ دَرَجَةً وشَرَفاً مِنهُ، فَمَن كانَ خازِنَ عِلمِ اللهِ، وأمينَ غَيبِهِ ومُستَودَعَ سِرِّهِ، وحُجَّتَهُ عَلىٰ خَلقِهِ، وتَرجُمانَهُ ولِسانَهُ، لا يَكونُ إلّا بِهٰذِهِ الصِّفَةِ، فَالحُجَّةُ لا تَكونُ إلّا مِن نَسلِهِم، يَقومُ مَقامَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي الخَلقِ بِالعِلمِ الَّذي عِندَهُ ووَرِثَهُ عَنِ الرَّسولِ، إن جَحَدَهُ النّاسُ سَكَتَ، وكانَ بَقاءُ ما عَلَيهِ النّاسُ قَليلاً مِمّا في أيديهِم مِن عِلمِ الرَّسولِ عَلَى اختِلافٍ مِنهُم فيهِ، قَد أقاموا بَينَهُمُ الرَّأيَ وَالقِياسَ، وإنَّهُم إن أقَرّوا بِهِ وأطاعوهُ وأخَذوا عَنهُ، ظَهَرَ العَدلُ وذَهَبَ الاختِلافُ وَالتَّشاجُرُ وَاستَوَى الأَمرُ وأبانَ الدّينُ، وغَلَبَ عَلَى الشَّكِّ اليَقينُ، ولا يَكادُ أن يُقِرَّ النّاسُ بِهِ، ولا يُطيعوا لَهُ أو يَحفَظوا لَهُ بَعدَ فَقدِ الرَّسولِ، وما مَضىٰ رَسولٌ ولا نَبِيٌّ قَطُّ إلّا وقَد تَختَلِفُ اُمَّتُهُ مِن

بَعدِهِ، وإنَّما كانَ عِلَّةُ اختِلافِهِم خِلافَهُم عَلَى الحُجَّةِ وتَركَهُم إيّاهُ.

قالَ: فَما يُصنَعُ بِالحُجَّةِ إذا كانَ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ؟

قالَ: قَد يُقتَدىٰ بِهِ ويَخرُجُ عَنهُ الشَّيءُ بَعدَ الشَّيءِ مَكانَهُ مَنفَعَةَ الخَلقِ وصَلاحَهُم، فَإِن أحدَثوا في دينِ اللهِ شَيئاً أعلَمَهُم وإن زادوا فيهِ أخبَرَهُم، وإن نَقَصوا مِنهُ شَيئاً أفادَهُم.

ثُمَّ قالَ الزِّنديقُ: مِن أيِّ شَيءٍ خَلَقَ اللهُ الأَشياءَ؟

قالَ عليه السلام: مِن لا شَيءٍ. فَقالَ: كَيفَ يَجيءُ مِن لا شَيءٍ شَيءٌ؟

قالَ عليه السلام: إنَّ الأَشياءَ لا تَخلو أن تَكونَ خُلِقَت مِن شَيءٍ أو مِن غَيرِ شَيءٍ، فَإِن كانَت خُلِقَت مِن شَيءٍ كانَ مَعَهُ، فَإِنَّ ذٰلِكَ الشَّيءَ قَديمٌ وَالقَديمُ لا يَكونُ حَديثاً ولا يَفنىٰ ولا يَتَغَيَّرُ، ولا يَخلو ذٰلِكَ الشَّيءُ مِن أن يَكونَ جَوهَراً واحِداً ولَوناً واحِداً، فَمِن أينَ جاءَت هٰذِهِ الأَلوانُ المُختَلِفَةُ، وَالجَواهِرُ الكَثيرَةُ المَوجودَةُ في هٰذَا العالَمِ مِن ضُروبٍ شَتّىٰ؟ ومِن أينَ جاءَ المَوتُ إن كانَ الشَّيءُ الَّذي اُنشِئَت مِنهُ الأَشياءُ حَيّاً؟ ومِن أينَ جاءَتِ الحَياةُ إن كانَ ذٰلِكَ الشَّيءُ مَيِّتاً؟ ولا يَجوزُ أن يَكونَ مِن حَيٍّ ومَيِّتٍ قَديمَينِ لَم يَزالا؛ لِأَنَّ الحَيَّ لا يَجيءُ مِنهُ مَيِّتٌ وهُوَ لَم يَزَل حَيّاً، ولا يَجوزُ أيضاً أن يَكونَ المَيِّتُ قَديماً لَم يَزَل بِما هُوَ بِهِ مِنَ المَوتِ، لِأَنَّ المَيِّتَ لا قُدرَةَ لَهُ ولا بَقاءَ...

قالَ: فَلَم يَزَل صانِعُ العالَمِ عالِماً بِالأَحداثِ الَّتي أحدَثَها قَبلَ أن يُحدِثَها؟

قالَ: فَلَم يَزَل يَعلَمُ فَخَلَقَ ما عَلِمَ.

قالَ: أمُختَلِفٌ هُوَ أم مُؤتَلِفٌ؟

قالَ: لا يَليقُ بِهِ الاختِلافُ ولَا الإيتِلافُ، إنَّما يَختَلِفُ المُتَجَزِّي، ويَأتَلِفُ المُتَبَعِّضُ، فَلا يُقالُ لَهُ: مُؤتَلِفٌ ولا مُختَلِفٌ.

قالَ: فَكَيفَ هُوَ اللهُ الواحِدُ؟

قالَ: واحِدٌ في ذاتِهِ، فَلا واحِدَ كَواحِدٍ؛ لِأَنَّ ما سِواهُ مِنَ الواحِدِ مُتَجَزٍّ وهُوَ تَبارَكَ وتَعالىٰ واحِدٌ لايَتَجَزّىٰ، ولا يَقَعُ عَلَيهِ العَدُّ.

قالَ: فَلِأَيِّ عِلَّةٍ خَلَقَ الخَلقَ وهُوَ غَيرُ مُحتاجٍ إلَيهِم، ولا مُضطَرٌّ إلىٰ خَلقِهِم، ولا يَليقُ بِهِ التَّعَبُّثُ بِنا؟

قالَ: خَلَقَهُم لِإِظهارِ حِكمَتِهِ وإنفاذِ عِلمِهِ وإمضاءِ تَدبيرِهِ.

قالَ: وكَيفَ لا يَقتَصِرُ عَلىٰ هٰذِهِ الدّارِ فَيَجعَلُها دارَ ثَوابِهِ ومُحتَبَسَ عِقابِهِ؟

قالَ: إنَّ هٰذِهِ الدّارَ دارُ ابتِلاءٍ، ومَتجَرُ الثَّوابِ، ومُكتَسَبُ الرَّحمَةِ، مُلِئَت آفاتٍ، وطُبِّقَت شَهواتٍ، لِيَختَبِرَ فيها عَبيدَهُ بِالطّاعَةِ، فَلا يَكونُ دارُ عَمَلٍ دارَ جَزاءٍ.

قالَ: أفَمِن حِكمَتِهِ أن جَعَلَ لِنَفسِهِ عَدُوّاً، وقَد كانَ ولا عَدُوَّ لَهُ، فَخَلَقَ كَما زَعَمتَ «إبليسَ» فَسَلَّطَهُ عَلىٰ عَبيدِهِ يَدعوهُم إلىٰ خِلافِ طاعَتِهِ، ويَأمُرُهُم بِمَعصِيَتِهِ، وجَعَلَ لَهُ مِنَ القُوَّةِ كَمازَعَمتَ، يَصِلُ

بِلُطفِ الحيلَةِ إلىٰ قُلوبِهِم، فَيُوَسوِسُ إلَيهِم فَيُشَكِّكُهُم في رَبِّهِم، ويُلَبِّسُ عَلَيهِم دينَهُم، فَيَزيلُهُم عَن مَعرِفَتِهِ، حَتّىٰ أنكَرَ قَومٌ لَمّا وَسوَسَ إلَيهِم رُبوبِيَّتَهُ، وعَبَدوا سِواهُ، فَلِمَ سَلَّطَ عَدُوَّهُ عَلىٰ عَبيدِهِ، وجَعَلَ لَهُ السَّبيلَ إلىٰ إغوائِهِم؟

قالَ: إنَّ هٰذَا العَدُوَّ الَّذي ذَكَرتَ لا تَضُرُّهُ عَداوَتُهُ، ولا تَنفَعُهُ وِلايَتُهُ. وعَداوَتُهُ لا تَنقُصُ مِن مُلكِهِ شَيئاً، ووِلايَتُهُ لا تَزيدُ فيهِ شَيئاً، وإنَّما يُتَّقَى العَدُوُّ إذا كانَ في قُوَّةٍ يَضُرُّ ويَنفَعُ، إن هَمَّ بِمُلكٍ أخَذَهُ، أو بِسُلطانٍ قَهَرَهُ، فَأَمّا إبليسُ فَعَبدٌ، خَلَقَهُ لِيَعبُدَهُ ويُوَحِّدَهُ، وقَد عَلِمَ حينَ خَلَقَهُ ما هُوَ وإلىٰ ما يَصيرُ إلَيهِ، فَلَم يَزَل يَعبُدُهُ مَعَ مَلائِكَتِهِ حَتَّى امتَحَنَهُ بِسُجودِ آدَمَ، فَامتَنَعَ مِن ذٰلِكَ حَسَداً وشِقاوَةً غَلَبَت عَلَيهِ فَلَعَنَهُ عِندَ ذٰلِكَ، وأخرَجَهُ عَن صُفوفِ المَلائِكَةِ، وأنزَلَهُ إلَى الأَرضِ مَلعوناً مَدحوراً فَصارَ عَدُوَّ آدَمَ ووُلدِهِ بِذٰلِكَ السَّبَبِ، وما لَهُ مِنَ السَّلطَنَةِ عَلىٰ وُلدِهِ إلَّا الوَسوَسَةَ، وَالدُّعاءَ إلىٰ غَيرِ السَّبيلِ، وقَد أقَرَّ مَعَ مَعصِيَتِهِ لِرَبِّهِ بِرُبوبِيَّتِهِ.

قالَ: أفَيَصلَحُ السُّجودُ لِغَيرِ اللهِ؟

قالَ: لا.

قالَ: فَكَيفَ أمَرَ اللهُ المَلائِكَةَ بِالسُّجودِ لِآدَمَ؟ فَقالَ: إنَّ مَن سَجَدَ بِأَمرِ اللهِ فَقَد سَجَدَ لِلّٰهِ، فَكانَ سُجودُهُ لِلّٰهِ إذا كانَ عَن أمرِ اللهِ تَعالىٰ...

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ السِّحرِ ما أصلُهُ؟ وكيف يَقدِرُ السّاحِرُ عَلىٰ ما

يوصَفُ من عَجائِبِهِ، وما يَفعَلُ؟

قالَ ﷺ: إنَّ السِّحرَ عَلىٰ وُجوهٍ شَتّىٰ: وَجهٌ مِنها: بِمَنزِلَةِ الطِّبِّ، كما أنَّ الأَطِبّاءَ وَضَعوا لِكُلِّ داءٍ دَواءً، فَكَذٰلِكَ عِلمُ السِّحرِ، اِحتالوا لِكُلِّ صِحَّةٍ آفَةً، ولِكُلِّ عافِيَةٍ عاهَةً، ولِكُلِّ مَعنىً حيلَةً.

ونَوعٌ مِنهُ آخَرُ: خَطفَةٌ وسُرعَةٌ ومَخاريقُ وخِفَّةٌ. ونَوعٌ مِنهُ: ما يَأخُذُ أولياءُ الشَّياطينِ عَنهُم.

قالَ: فَمِن أينَ عَلِمَ الشَّياطينُ السِّحرَ؟

قالَ: مِن حَيثُ عَرَفَ الأَطِبّاءُ الطِّبَّ، بَعضُهُ تَجرِبَةٌ وبَعضُهُ عِلاجٌ.

قالَ: فَما تَقولُ فِي المَلَكين: هاروتَ وماروتَ؟ وما يَقولُ النّاسُ بِأَنَّهُما يُعَلِّمانِ النّاسَ السِّحرَ؟

قالَ: إنَّهُما مَوضِعُ ابتِلاءٍ ومَوقِفُ فِتنَةٍ، تَسبيحُهُما: اليَومَ لَو فَعَلَ الإنسانُ كَذا وكَذا لَكانَ كَذا، ولَو يُعالِجُ بِكَذا وكَذا لَصارَ كَذا، أصنافُ السِّحرِ فَيَتَعَلَّمونَ مِنهُما ما يَخرُجُ عَنهُما، فَيَقولانِ لَهُم: إنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَأخُذوا عَنّا ما يَضُرُّكُم ولا يَنفَعُكُم.

قالَ: أفَيَقدِرُ السّاحِرُ أن يَجعَلَ الإنسانَ بِسِحرِهِ في صُورَةِ الكَلبِ أوِ الحِمارِ أو غَيرِ ذٰلِكَ؟

قالَ: هُوَ أعجَزُ مِن ذٰلِكَ، وأضعَفُ مِن أن يُغَيِّرَ خَلقَ اللهِ، إنَّ مَن أبطَلَ ما رَكَّبَهُ اللهُ وصَوَّرَهُ وغَيَّرَهُ فَهُوَ شَريكُ اللهِ في خَلقِهِ، تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبيراً. لَو قَدَرَ السّاحِرُ عَلىٰ ما وَصَفتَ لَدَفَعَ عَن نَفسِهِ

الهَرَمَ وَالآفَةَ وَالأَمراضَ، ولَنَفى البَياضَ عَن رَأسِهِ وَالفَقرَ عَن ساحَتِهِ، وإنَّ مِن أكبَرِ السِّحرِ النَّميمَةَ، يُفرَّقُ بِها بَينَ المُتَحابِّينِ، ويُجلَبُ العَداوَةُ عَلَى المُتصافِيَينِ، ويُسفَكُ بِهَا الدِّماءُ، ويُهدَمُ بِهَا الدّورُ ويُكشَفُ بِهَا السُّتورُ، والنَّمامُ أشَرُّ مَن وَطِئَ الأَرضَ بِقَدَمٍ، فَأَقرَبُ أقاويلِ السِّحرِ مِنَ الصَّوابِ أنَّهُ بِمَنزِلَةِ الطِّبِّ، إنَّ السّاحِرَ عالَجَ الرَّجُلَ فَامتَنَعَ مِن مُجامَعَةِ النِّساءِ فَجاءَ الطَّبيبُ فَعالَجَهُ بِغَيرِ ذٰلِكَ العِلاجِ، فَأُبرِئَ.

قالَ: فَما بالُ وُلدِ آدَمَ فيهِم شَريفٌ ووَضيعٌ؟

قالَ: الشَّريفُ المُطيعُ، وَالوَضيعُ العاصي.

قالَ: أَلَيسَ فيهِم فاضِلٌ ومَفضولٌ؟

قالَ: إنَّما يَتَفاضَلونَ بِالتَّقوىٰ.

قالَ: فَتَقولُ إنَّ وُلدَ آدَمَ كُلَّهم سِواءٌ فِي الأَصلِ لا يَتَفاضَلونَ إلّا بِالتَّقوىٰ؟

قالَ: نَعَم. إنّي وَجَدتُ أصلَ الخَلقِ التُّرابَ، وَالأَبُ آدَمُ وَالأُمُّ حَوّاءُ، خَلَقَهُم إلٰهٌ واحِدٌ وهُم عَبيدُهُ، إنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ اختارَ مِن وُلدِ آدَمَ أُناساً طَهَّرَ ميلادَهُم، وطَيَّبَ أبدانَهُم، وحَفِظَهُم في أصلابِ الرِّجالِ وأرحامِ النِّساءِ، أخرَجَ مِنهُمُ الأَنبِياءَ وَالرُّسُلَ، فَهُم أزكىٰ فُروعِ آدَمَ، ما فَعَلَ ذٰلِكَ لِأَمرٍ استَحَقّوهُ مِنَ اللهِ عَزَّوجَلَّ ولٰكِن عَلِمَ اللهُ مِنهُم ـ حينَ ذَرَأَهُم ـ أنَّهُم يُطيعونَهُ ويَعبُدونَهُ ولا يُشرِكونَ بِهِ شَيئاً فَهٰؤُلاءِ

بِالطّاعَةِ نالوا مِن اللهِ الكَرامَةَ وَالمَنزِلَةَ الرَّفيعَةَ عِندَهُ، وهٰؤُلاءِ الَّذينَ لَهُمُ الشَّرَفُ وَالفَضلُ والحَسَبُ، وسائِرُ النّاسِ سِواءٌ، ألا مَنِ اتَّقَى اللهَ أكرَمَهُ، ومَن أطاعَهُ أحَبَّهُ، ومَن أحَبَّهُ لَم يُعَذِّبهُ بِالنّارِ.

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ اللهِ عَزَّوجَلَّ كَيفَ لَم يَخلُقِ الخَلقَ كُلَّهم مُطيعينَ مُوَحِّدينَ وكانَ عَلىٰ ذٰلِكَ قادِراً؟

قالَ عليه السلام: لَو خَلَقَهُم مُطيعينَ لَم يَكُن لَهُم ثَوابٌ؛ لِأَنَّ الطّاعَةَ إذا ما كانتَ فِعلَهُم لَم تَكُن جَنَّةٌ ولا نارٌ، ولٰكِن خَلَقَ خَلقَهُ فَأَمَرَهُم بِطاعَتِهِ ونَهاهُم عَن مَعصِيَتِهِ وَاحتَجَّ عَلَيهِم بِرُسُلِهِ وقَطَعَ عُذرَهُم بِكُتُبِهِ، لِيَكونوا هُمُ الَّذينَ يُطيعونَ ويَعصونَ ويَستَوجِبونَ بِطاعَتِهِم لَهُ الثَّوابَ وبِمَعصِيَتِهِم إيّاهُ العِقابَ.

قالَ: فَالعَمَلُ الصّالِحُ مِنَ العَبدِ هُوَ فِعلُهُ، وَالعَمَلُ الشَرُّ مِنَ العَبدِ هُوَ فِعلُهُ.

قالَ: العَمَلُ الصّالِحُ مِنَ العَبدِ بِفِعلِهِ وَاللهُ بِهِ أمَرَهُ، والعَمَلُ الشَّرُّ مِنَ العَبدِ بِفِعلِهِ وَاللهُ عَنهُ نَهاهُ.

قالَ: ألَيسَ فَعَلَهُ بِالآلَةِ الَّتي رَكَّبَها فيهِ؟

قالَ: نَعَم، ولٰكِن بِالآلَةِ الَّتي عَمِلَ بِهَا الخَيرَ قَدَرَ عَلَى الشَّرِّ الَّذي نَهاهُ عَنهُ.

قالَ: فَإِلَى العَبدِ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ؟

قالَ: ما نَهاهُ اللهُ عَن شَيءٍ إلّا وقَد عَلِمَ أنَّهُ يُطيقُ تَركَهُ، ولا أمَرَهُ

بِشَيءٍ إلّا وقَد عَلِمَ أنَّهُ يَستَطيعُ فِعلَهُ، لِأَنَّهُ لَيسَ مِن صِفَتِهِ الجَورُ وَالعَبَثُ وَالظُّلمُ وتَكليفُ العِبادِ ما لا يُطيقونَ.

قالَ: فَمَن خَلَقَهُ اللهُ كافِراً أيَستَطيعُ الإيمانَ ولَهُ عَلَيهِ بِتَركِهِ الإيمانَ حُجَّةٌ؟

قالَ ﷺ: إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلقَهُ جَميعاً مُسلِمينَ، أمَرَهُم ونَهاهُم، وَالكُفرُ اسمٌ يَلحَقُ الفاعِلَ حينَ يَفعَلُهُ العَبدُ، ولَم يَخلُقِ اللهُ العَبدَ حينَ خَلَقَهُ كافِراً، إنَّهُ إنَّما كَفَرَ مِن بَعدِ أن بَلَغَ وَقتاً لَزِمَتهُ الحُجَّةُ مِنَ اللهِ، فَعَرَضَ عَلَيهِ الحَقَّ فَجَحَدَهُ، فَبِإنكارِهِ الحَقَّ صارَ كافِراً.

قالَ: أفَيَجوزُ أن يُقَدِّرَ عَلَى العَبدِ الشَّرَّ، ويَأمُرَهُ بِالخَيرِ وهُوَ لا يَستَطيعُ الخَيرَ أن يَعمَلَهُ، ويُعَذِّبَهُ عَلَيهِ؟

قالَ: إنَّهُ لا يَليقُ بِعَدلِ اللهِ ورَأفَتِهِ أن يُقَدِّرَ عَلَى العَبدِ الشَّرَّ ويُريدَهُ مِنهُ، ثُمَّ يَأمُرَهُ بِما يَعلَمُ أنَّهُ لايَستَطيعُ أخذَهُ، والإنزاعِ عَمّا لا يَقدِرُ عَلىٰ تَركِهِ، ثُمَّ يُعَذِّبَهُ عَلىٰ تَركِهِ أمرَهُ الَّذي عَلِمَ أنَّهُ لا يَستَطيعُ أخذَهُ.

قالَ: بِماذَا استَحَقَّ الَّذين أغناهُم وأوسَعَ عَلَيهِم مِن رِزقِهِ الغَناءَ وَالسَّعَةَ، وبِماذَا استَحَقَّ الفَقيرُ التَّقتيرَ وَالضّيقَ؟

قالَ: اِختَبَرَ الأَغنياءَ بِما أعطاهُم لِيَنظُرَ كَيفَ شُكرُهُم، وَالفُقَراءَ بِما مَنَعَهُم لِيَنظُرَ كَيفَ صَبرُهُم.

ووَجهٌ آخَرُ: إنَّهُ عَجَّلَ لِقَومٍ في حَياتِهِم، ولِقَومٍ آخَرَ لِيَومِ حاجَتِهِم إلَيهِ.

ووَجهٌ آخَرُ: فإِنَّهُ عَلِمَ احتِمالَ كُلِّ قَومٍ فأَعطاهُم علىٰ قَدرِ احتِمالِهِم، ولَو كانَ الخَلقُ كُلُّهُم أغنِياءَ لَخَرِبَتِ الدُّنيا وفَسَدَ التَّدبيرُ، وصارَ أهلُها إلَى الفَناءِ ولٰكِن جَعَلَ بَعضَهُم لِبَعضٍ عَوناً، وجَعَلَ أسبابَ أرزاقِهِم في ضُروبِ الأَعمالِ وأنواعِ الصّناعاتِ، وذٰلِكَ أدوَمُ فِي البَقاءِ وأَصَحُّ فِي التَّدبيرِ، ثُمَّ اختَبَرَ الأَغنِياءَ بِالاِستِعطافِ عَلَى الفُقَراءِ، كُلُّ ذٰلِكَ لُطفٌ ورَحمَةٌ مِنَ الحَكيمِ الَّذي لايُعابُ تَدبيرُهُ.

قالَ: فَبِمَا استَحَقَّ الطِّفلُ الصَّغيرُ ما يُصيبُهُ مِنَ الأَوجاعِ وَالأَمراضِ بِلا ذَنبٍ عَمِلَهُ، ولا جُرمٍ سَلَفَ مِنهُ؟

قالَ: إنَّ المَرَضَ علىٰ وُجوهٍ شَتّىٰ: مَرَضُ بَلوىً ومَرَضُ عُقوبَةٍ، مَرَضٌ جُعِلَ عِلَّةً لِلفَناءِ، وأنتَ تَزعُمُ أنَّ ذٰلِكَ مِن أغذِيَةٍ رَدِيَّةٍ، وأشرِبَةٍ وَبِيَّةٍ، أو عِلَّةٍ كانَت بِأُمِّهِ، وتَزعُمُ أنَّ مَن أحسَنَ السِّياسَةَ لِبَدَنِهِ، وأجمَلَ النَّظَرَ في أحوالِ نَفسِهِ، وعَرَفَ الضّارَّ مِمّا يَأكُلُ مِنَ النّافِعِ لَم يَمرَض، وتَميلُ في قَولِكَ إلىٰ مَن يَزعُمُ أنَّهُ لا يَكونُ المَرَضُ وَالمَوتُ إلّا مِنَ المَطعَمِ وَالمَشرَبِ.

قَد ماتَ أرِسطاطا ليسُ مُعَلِّمُ الأَطِبّاءِ، وأفلاطونُ رَئيسُ الحُكَماءِ، وجالينوسُ شاخَ ودَقَّ بَصَرُهُ وما دَفَعَ المَوتَ حينَ نَزَلَ بِساحَتِهِ، ولَم يَألوا حِفظَ أنفُسِهِم، وَالنَّظَرَ لِما يُوافِقُها.

كَم مِن مَريضٍ قَد زادَهُ المُعالِجُ سُقماً! وكَم مِن طَبيبٍ عالِمٍ، وبَصيرٍ بِالأَدواءِ والأَدوِيَةِ ماهِرٍ ماتَ! وعاشَ الجاهِلُ بِالطِّبِّ بَعدَهُ

زَماناً، فَلا ذاكَ نَفَعَهُ عِلمُهُ بِطِبِّهِ عِندَ انقِطاعِ مُدَّتِهِ وحُضورِ أجَلِهِ، ولا هٰذِهِ ضَرَّهُ الجَهلُ بِالطِّبِّ مَعَ بَقاءِ المُدَّةِ وتَأَخُّرِ الأَجَلِ...

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ اللهِ عَزَّوجَلَّ ألَهُ شَريكٌ في مُلكِهِ، أو مُضادٌّ لَهُ في تَدبيرِهِ؟

قالَ: لا.

قالَ: فَما هٰذَا الفَسادُ المَوجودُ في هٰذَا العالَمِ: مِن سِباعٍ ضارِيَةٍ، وهَوامٍّ مُخَوِّفَةٍ، وخَلقٍ كَثيرٍ مُشَوَّهَةٍ، ودودٍ وبَعوضٍ، وحَيّاتٍ وعَقارِبَ، وزَعَمتَ أنَّهُ لا يَخلُقُ شَيئاً إلّا لِعِلَّةٍ، لِأَنَّهُ لا يَعبَثُ؟!

قالَ: أَلَستَ تَزعُمُ أنَّ العَقارِبَ تَنفَعُ مِن وَجَعِ المَثانَةِ وَالحَصاةِ، ولِمَن يَبولُ فِي الفِراشِ، وأنَّ أفضَلَ التِّرياقِ ما عولِجَ مِن لُحومِ الأَفاعي، فَإِنَّ لُحومَها إذا أكَلَها المَجذومُ بِشَبٍّ[1] نَفَعَهُ، وتَزعُمُ أنَّ الدّودَ الأَحمَرَ الَّذي يُصابُ تَحتَ الأَرضِ نافِعٌ لِلآكِلَةِ؟

قالَ: نَعَم.

قالَ عليه السلام: فَأَمَّا البَعوضُ وَالبَقُّ فَبَعضُ سَبَبِهِ أنَّهُ جُعِلَ أرزاقَ بَعضِ الطَّيرِ، وأهانَ بِها جَبّاراً تَمَرَّدَ عَلَى اللهِ وتَجَبَّرَ، وأنكَرَ رُبوبِيَّتَهُ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيهِ أضعَفَ خَلقِهِ لِيُرِيَهُ قُدرَتَهُ وعَظَمَتَهُ، وهِيَ البَعوضَةُ فَدَخَلَت في مِنخَرِهِ حَتّىٰ وَصَلَت إلىٰ دِماغِهِ فَقَتَلَتهُ. وَاعلَم أنّا لَو وَقَفنا عَلىٰ كُلِّ

(١) الشَّبُّ: دواء معروف، وقيل: الشبُّ شيء يشبه الزاج (لسان العرب: ١ / ٤٨٣).

شَيءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعالىٰ لِمَ خَلَقَهُ؟ ولِأَيِّ شَيءٍ أنشَأَهُ؟ لٰكِنّا قَد ساوَيناهُ في عِلمِهِ، وعَلِمنا كُلَّما يَعلَمُ وَاستَغنَينا عَنهُ، وكُنّا وهُوَ فِي العِلمِ سَواءً.

قالَ: فَأَخبِرني هَل يُعابُ شَيءٌ مِن خَلقِ اللهِ وتَدبيرِهِ؟

قالَ: لا.

قالَ: فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلقَهُ غُرَلاً[1]، أذٰلِكَ مِنهُ حِكمَةٌ أم عَبَثٌ؟ قالَ: بَل حِكمَةٌ مِنهُ.

قالَ: غَيَّرتُم خَلقَ اللهِ، وجَعَلتُم فِعلَكُم في قَطعِ الغُلفَةِ أصوَب مِمّا خَلَقَ اللهُ لَها، وعِبتُم الأَغلَفَ واللهُ خَلَقَهُ، ومَدَحتُمُ الخِتانَ وهُوَ فِعلُكُم. أم تَقولونَ إنَّ ذٰلِكَ مِنَ اللهِ كانَ خَطَأً غَيرَ حِكمَةٍ؟!

قالَ ﷺ: ذٰلِكَ مِنَ اللهِ حِكمَةٌ وصَوابٌ، غَيرَ أنَّهُ سَنَّ ذٰلِكَ وأوجَبَهُ عَلىٰ خَلقِهِ، كَما أنَّ المَولودَ إذا خَرَجَ مِن بَطنِ اُمِّهِ وَجَدنا سُرَّتَهُ مُتَّصِلَةً بِسُرَّةِ اُمِّهِ، كَذٰلِكَ خَلَقَهَا الحَكيمُ فَأَمَرَ العِبادَ بِقَطعِها، وفي تَركِها فَسادٌ بَيِّنٌ لِلمَولودِ وَالاُمِّ. وكَذٰلِكَ أظفارُ الإِنسانِ أمَرَ إذا طالَت أن تُقَلَّمَ، وكانَ قادِراً يَومَ دَبَّرَ خَلقَ الإِنسانِ أن يَخلُقَها خِلقَةً لا تَطولُ، وكَذٰلِكَ الشَّعرُ مِنَ الشّارِبِ وَالرَّأسِ يَطولُ فَيُجَزُّ، وكَذٰلِكَ الثّيرانُ خَلَقَهَا اللهُ فُحولَةً وإخصاؤُها أوفَقُ، ولَيسَ في ذٰلِكَ عَيبٌ في تَقديرِ اللهِ عَزَّوجَلَّ.

---

(١) الغُرْلَةُ: مثلُ القُلفَةِ وزناً ومعنىً، وغَرِلَ غَرَلاً: إذا لم يختتن (المصباح المنير: ٤٤٦).

قالَ: أَلستَ تَقولُ: إنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[1] وقَد نَرَى المُضطَرَّ يَدعوهُ فَلا يُجابُ لَهُ، وَالمَظلومَ يَستَنصِرُهُ عَلىٰ عَدُوِّهِ فَلا يَنصُرُهُ؟

قالَ: وَيحَكَ! ما يَدعوهُ أحَدٌ إلّا استَجابَ لَهُ. أمَّا الظّالِمُ فَدُعاؤُهُ مَردودٌ إلىٰ أن يَتوبَ إلَى اللهِ، وأمَّا المُحِقُّ فَإِنَّهُ إذا دَعاهُ استَجابَ لَهُ، وصَرَفَ عَنهُ البَلاءَ مِن حَيثُ لا يَعلَمُهُ، أوِ ادَّخَرَ لَهُ ثَواباً جَزيلاً لِيَومِ حاجَتِهِ إلَيهِ، وإن لَم يَكُنِ الأَمرُ الَّذي سَأَلَ العَبدُ خَيراً لَهُ إن أعطاهُ أمسَكَ عَنهُ، وَالمُؤمِنُ العارِفُ بِاللهِ رُبَّما عَزَّ عَلَيهِ أن يَدعُوَهُ فيما لا يَدري أصَوابٌ ذٰلِكَ أم خَطَأٌ، وقَد يَسأَلُ العَبدُ رَبَّهُ إهلاكَ مَن لَم تَنقَطِع مُدَّتُهُ! ويَسأَلُ المَطَرَ وَقتاً ولَعَلَّهُ أوانٌ لا يَصلَحُ فيهِ المَطَرُ! لِأَنَّهُ أعرَفُ بِتَدبيرِ ما خَلَقَ مِن خَلقِهِ، وأشباهُ ذٰلِكَ كَثيرَةٌ فَافهَم هٰذا.

قالَ: فَأَخبِرني ـ أيُّهَا الحَكيمُ! ـ ما بالُ السَّماءِ لا يَنزِلُ مِنها إلَى الأَرضِ أحدٌ ولا يَصعَدُ مِنَ الأَرضِ إلَيها بَشَرٌ، ولا طَريقٌ إلَيها، ولا مَسلَكٌ، فَلَو نَظَرَ العِبادُ في كُلِّ دَهرٍ مَرَّةً مَن يَصعَدُ إلَيها ويَنزِلُ، لَكانَ ذٰلِكَ أثبَتُ فِي الرُّبوبِيَّةِ وأنفىٰ لِلشَّكِّ وأقوىٰ لِليَقينِ، وأجدَرُ أن يَعلَمَ العِبادُ أنَّ هُناكَ مُدَبِّراً إلَيهِ يَصعَدُ الصّاعِدُ ومِن عِندِهِ يَهبِطُ الهابِطُ؟!

قالَ عليه السلام: إنَّ كُلَّ ما تَرىٰ فِي الأَرضِ مِنَ التَّدبيرِ إنَّما هُوَ يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ، ومِنها يَظهَرُ. أما تَرَى الشَّمسَ مِنها تَطلُعُ وهِيَ نورُ النَّهارِ،

---

(١) غافر: ٦٠.

ومِنها قِوامُ الدُّنيا، ولَو حُبِسَت حارَ مَن عَلَيها وهَلَكَ، وَالقَمرَ مِنها يَطلُعُ وهُوَ نورُ اللَّيلِ، وبِهِ يُعلَمُ عَدَدُ السِّنينَ وَالحِسابُ، وَالشُّهورُ وَالأَيّامُ، ولَو حُبِسَ لَحارَ مَن عَلَيها وفَسَدَ التَّدبيرُ، وفِي السَّماءِ النُّجومُ الَّتي يُهتَدىٰ بِها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ، ومِنَ السَّماءِ يَنزِلُ الغَيثُ الَّذي فيهِ حَياةُ كُلِّ شَيءٍ: مِنَ الزَّرعِ وَالنَّباتِ وَالأَنعامِ وكُلِّ الخَلقِ، لَو حُبِسَ عَنهُم لَما عاشوا، وَالرِّيحُ لَو حُبِسَت أيّاماً لَفَسَدَتِ الأَشياءُ جَميعاً وتَغَيَّرَت، ثُمَّ الغَيمُ، وَالرَّعدُ وَالبَرقُ وَالصَّواعِقُ ؟! كُلُّ ذٰلِكَ إنَّما هُوَ دَليلٌ عَلىٰ أنَّ هُناكَ مُدَبِّراً يُدَبِّرُ كُلَّ شَيءٍ ومِن عِندِهِ يَنزِلُ، وقَد كَلَّمَ اللهُ موسىٰ وناجاهُ، ورَفَعَ اللهُ عيسَى بنَ مَريَمَ وَالمَلائِكَةُ تَنزِلُ مِن عِندِهِ، غَيرَ أنَّكَ لاتُؤمِنُ بِما لَم تَرَهُ بِعَينِكَ، وفيما تَراهُ بِعَينِكَ كِفايَةٌ إن تَفهَم وتَعقِل.

قالَ: فَلَو أنَّ اللهَ تَعالىٰ رَدَّ إلَينا مِنَ الأَمواتِ في كُلِّ مِائَةِ عامٍ واحِداً لِنَسأَلَهُ عَمَّن مَضىٰ مِنّا إلىٰ ما صاروا وكَيفَ حالُهُم، وماذا لَقوا بَعدَ المَوتِ، وأيُّ شَيءٍ صُنِعَ بِهِم، لَيَعمَلُ النّاسُ عَلَى اليَقينِ، وَاضمَحَلَ الشَّكُّ، وذَهَبَ الغِلُّ عَنِ القُلوبِ.

قالَ: إنَّ هٰذِهِ مَقالَةُ مَن أنكَرَ الرُّسُلَ وكَذَّبَهُم، ولَم يُصَدِّق بِما جاؤوا بِهِ مِن عِندِ اللهِ، إذ أخبَروا وقالوا: إنَّ اللهَ أخبَرَ في كِتابِهِ عَزَّوجَلَّ عَلىٰ لِسانِ أنبِيائِهِ، حالَ مَن ماتَ مِنّا، أفَيَكونُ أحَدٌ أصدَقَ مِنَ اللهِ قَولاً ومِن رُسُلِهِ.

وقَد رَجَعَ إِلَى الدُّنيا مِمَّن ماتَ خَلقٌ كَثيرٌ، مِنهُم «أصحابُ الكَهفِ» أماتَهُم اللهُ ثَلاثَمِائَةِ عامٍ وتِسعَةً، ثُمَّ بَعَثَهُم في زَمانِ قَومٍ أنكَرُوا البَعثَ، لِيَقطَعَ حُجَّتَهُ، ولِيُرِيَهُم قُدرَتَهُ ولِيَعلَموا أنَّ البَعثَ حَقٌّ.

وأماتَ اللهُ «إرمِياءَ» النَّبِيَّ عليه السلام الَّذي نَظَرَ إلىٰ خَرابِ بَيتِ المَقدِسِ وما حَولَهُ حينَ غَزاهُم بُختُ نَصَّرَ، وقالَ: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[1]، ثُمَّ أحياهُ ونَظَرَ إلىٰ أعضائِهِ كَيفَ تَلتَئِمُ، وكَيفَ تَلبَسُ اللَّحمَ، وإلىٰ مَفاصِلِهِ وعُروقِهِ كَيفَ توصَلُ؛ فَلَمَّا استَوىٰ قاعِداً قالَ: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وأحيَا اللهُ قَوماً خَرَجوا عَن أوطانِهِم هارِبين مِنَ الطّاعونِ لا يُحصىٰ عَدَدُهُم، فَأَماتَهُمُ اللهُ دَهراً طَويلاً حَتّىٰ بُلِيَت عِظامُهُم، وتَقَطَّعَت أوصالُهُم وصاروا تُراباً، فَبَعَثَ اللهُ في وَقتٍ أحَبَّ أن يُرِيَ خَلقَهُ قُدرَتَهُ نَبِيّاً يُقالُ لَهُ: «حِزقيل» فَدَعاهُم فَاجتَمَعَت أبدانُهُم، ورَجَعَت فيها أرواحُهُم، وقاموا كَهَيئَةِ يَومِ ماتوا، لا يَفقِدونَ مِن أعدادِهِم رَجُلاً، فَعاشوا بَعدَ ذٰلِكَ دَهراً طَويلاً[3].

وإنَّ اللهَ أماتَ قَوماً خَرَجوا مَعَ موسىٰ عليه السلام حينَ تَوَجَّهَ إلَى اللهِ

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) هذه القصّة مشهورة، انظر تفسير القمّي: ٨٠/١، وتفسير العيّاشي: ١ / ١٣٠ / ٤٣٣.

عَزَّوجَلَّ فَقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[١] فَأَماتَهُمُ اللهُ ثُمَّ أحياهُم.

قالَ: فَأَخبِرني عَمَّن قالَ بِتَناسُخِ الأَرواحِ، مِن أيِّ شَيءٍ قالوا ذٰلِكَ، وبِأَيِّ حُجَّةٍ قاموا علىٰ مَذاهِبِهِم؟

قالَ: إنَّ أصحابَ التَّناسُخِ قَد خَلَّفوا وَراءَهُم مِنهاجَ الدِّينِ، وزَيَّنوا لِأَنفُسِهِم الضَّلالات، وأمرَجوا[٢] أنفُسَهُم فِي الشَّهَواتِ، وزَعَموا أنَّ السَّماءَ خاوِيَةٌ ما فيها شيءٌ مِمّا يوصَفُ، وأنَّ مُدَبِّرَ هٰذَا العالَمِ في صورَةِ المَخلوقينَ، بِحُجَّةِ مَن رَوىٰ أنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ خَلَقَ آدَمَ علىٰ صورَتِهِ، وأنَّهُ لا جَنَّةَ ولا نارَ، ولا بَعثَ ولا نُشورَ، وَالقِيامَةُ عِندَهُم خُروجُ الرُّوحِ مِن قالَبِهِ ووُلوجُهُ في قالَبٍ آخَرَ، إن كانَ مُحسِناً فِي القالَبِ الأَوَّلِ أُعيدَ في قالَبٍ أفضَلَ مِنهُ حَسَناً في أعلىٰ دَرَجَةٍ مِنَ الدُّنيا، وإن كانَ مُسيئاً أو غَيرَ عارِفٍ صارَ في بَعضِ الدَّوابِّ المُتعَبَةِ فِي الدُّنيا، أو هَوامٍّ مُشَوَّهَةِ الخِلقَةِ، ولَيسَ عَلَيهِم صَومٌ ولا صَلاةٌ، ولا شَيءٌ مِنَ العِبادَةِ أكثَرِ مِن مَعرِفَةِ مَن تَجِبَ عَلَيهِم مَعرِفَتُهُ وكُلُّ شَيءٍ مِن شَهَواتِ الدُّنيا مُباحٌ لَهُم: مِن فُروجِ النِّساءِ وغَيرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَخَواتِ وَالبَناتِ وَالخالاتِ وذَواتِ البُعولَةِ.

وكَذٰلِكَ المَيتَةُ، وَالخَمرُ، وَالدَّمُ، فَاستَقبَحَ مَقالَتَهُم كُلُّ الفِرَقِ، ولَعَنَهُم كُلُّ الأُمَمِ، فَلَمّا سُئِلُوا الحُجَّةَ زاغوا وحادوا، فَكَذَّبَ مَقالَتَهُمُ

---

(١) النساء: ١٥٣.

(٢) المَرَجُ: الموضع تَرعىٰ فيه الدوابّ، وإرسالها للرعي، والخلط (القاموس المحيط: ١/٢٠٧).

التَّوراةُ، ولَعَنَهُمُ الفُرقانُ، وزَعَموا مَعَ ذٰلِكَ أنَّ إلٰهَهُم يَنتَقِلُ مِن قالَبٍ إلىٰ قالَبٍ، وأنَّ الأَرواحَ الأَزَلِيَّةَ هِيَ الَّتي كانَت في آدَمَ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرّاً تَجري إلىٰ يَومِنا هٰذا في واحِدٍ بَعدَ آخَرَ، فَإِذا كانَ الخالِقُ في صورَةِ المَخلوقِ فَبِما يُستَدَلُّ علىٰ أنَّ أحَدَهُما خالِقُ صاحِبِهِ؟!

وقالوا: إنَّ المَلائِكَةَ مِن وُلدِ آدَمَ كُلُّ مَن صارَ في أعلىٰ دَرَجَةٍ من دينِهِم خَرَجَ مِن مَنزِلَةِ الامتِحانِ وَالتَّصفِيَةِ فَهُوَ مَلَكٌ، فَطوراً تَخالُهُم نَصارىٰ في أشياءَ، وطَوراً دَهرِيَّةٌ يَقولونَ: إنَّ الأَشياءَ علىٰ غَيرِ الحَقيقَةِ، فَقَد كانَ يَجِبُ عَلَيهِم أن لايَأكُلوا شَيئاً مِنَ اللُّحمانِ؛ لِأَنَّ الدَّوابَّ كُلَّها عِندَهُم مِن وُلدَ آدَمَ حُوِّلوا مِن صُوَرِهِم، فَلا يَجوزُ أكلُ لُحومِ القُرُباتِ.

قالَ: ومَن زَعَمَ أنَّ اللهَ لَم يَزَل ومَعَهُ طينَةٌ مُؤذِيَةٌ، فَلَم يَستَطِعِ التَّفَصِّيَ مِنها إلّا بِامتِزاجِهِ بِها ودُخولِهِ فيها، فَمِن تِلكَ الطّينَةِ خَلَقَ الأَشياءَ.

قالَ: سُبحانَ اللهِ وتَعالىٰ!! ما أعجَزَ إلٰهاً يوصَفُ بِالقُدرَةِ، لايَستَطيعُ التَّفَصِّيَ مِنَ الطّينَةِ! إن كانَتِ الطّينَةُ حَيَّةً أزَلِيَّةً، فكانا إلٰهَينِ قَديمَينِ فَامتَزَجا ودَبَّرَا العالَمَ مِن أنفُسِهِما، فَإِن كانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَمِن أينَ جاءَ المَوتُ وَالفَناءُ؟ وإن كانَتِ الطّينَةُ ميتَةً فَلا بَقاءَ لِلمَيِّتِ مَعَ الأَزَلِيِّ القَديم، وَالمَيِّتُ لايَجيءُ مِنهُ حَيٌّ. وهٰذِهِ مَقالَةُ الدّيصانِيَّةِ: أشَدُّ الزَّنادِقَةِ قَولاً، وأمهَنِهِم مَثَلاً، نَظَروا في كُتُبٍ قَد صَنَّفَتها أوائِلُهُم،

وحَبَروها لَهُم بِأَلفاظٍ مُزَخرَفَةٍ مِن غَيرِ أصلٍ ثابِتٍ، ولا حُجَّةَ توجِبُ إثباتَ ما ادَّعَوا، كُلُّ ذٰلِكَ خِلافاً عَلَى اللهِ وعَلىٰ رُسُلِهِ، وتَكذيباً بِما جاؤوا بِهِ عَنِ اللهِ تَعالىٰ.

فَأَمّا مَن زَعَمَ أنَّ الأَبدانَ ظُلمَةٌ، والأَرواحَ نورٌ، وأنَّ النّورَ لا يَعمَلُ الشَّرَّ وَالظُّلمَةَ لا تَعمَلُ الخَيرَ، فَلا يَجِبُ عَلَيهِم أن يَلوموا أحَداً عَلىٰ مَعصِيَةٍ ولا رُكوبِ حُرمَةٍ ولا إتيانِ فاحِشَةٍ، وإنَّ ذٰلِكَ عَلَى الظُّلمَةِ غَيرُ مُستَنكَرٍ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ فِعلُها ولا لَهُ أن يَدعُوَ رَبّاً، ولا يَتَضَرَّعَ إلَيهِ؛ لِأَنَّ النّورَ رَبٌّ، وَالرَّبُّ لا يَتَضَرَّعُ إلىٰ نَفسِهِ ولا يَستَعيذُ بِغَيرِهِ، ولا لِأَحَدٍ مِن أهلِ هٰذِهِ المَقالَةِ أن يَقولَ: «أحسَنتَ يا مُحسِنُ» أو «أسَأتَ»؛ لِأَنَّ الإِساءَةَ مِن فِعلِ الظُّلمَةِ وذٰلِكَ فَعَلَها، وإلاحسانُ مِنَ النّورِ، ولا يَقولُ النّورُ لِنَفسِهِ أحسَنتَ يا مُحسِنُ، ولَيسَ هُناكَ ثالِثٌ، فَكانَتِ الظُّلمَةُ عَلىٰ قِياسِ قَولِهِم، أحكَمَ فِعلاً وأتقَنَ تَدبيراً وأعَزَّ أركاناً مِنَ النّورِ، لِأَنَّ الأَبدانَ مُحكَمَةٌ، فَمَن صَوَّر هٰذَا الخَلقَ صورَةً واحِدَةً عَلىٰ نُعوتٍ مُختَلِفَةٍ؟

وكُلُّ شَيءٍ يُرىٰ ظاهِراً مِنَ الزَّهرِ وَالأَشجارِ وَالثِّمارِ وَالطُّيورِ وَالدَّوابِّ يَجِبُ أن يَكونَ إلٰهاً، ثُمَّ حَبَسَتِ النّورَ في حَبسِها وَالدَّولَةُ لَها، وأمّا مَا ادَّعَوا بِأَنَّ العاقِبَةَ سَوفَ تَكونُ لِلنّورِ فَدعوًى، ويَنبَغي عَلىٰ قِياسِ قَولِهِم أن لا يَكونَ لِلنّورِ فِعلٌ لِأَنَّهُ أسيرٌ، ولَيسَ لَهُ سُلطانٌ، فَلا فِعلَ لَهُ ولا تَدبيرَ، وإن كانَ لَهُ مَعَ الظُّلمَةِ تَدبيرٌ، فَما هُوَ

بِأَسيرٍ بَل هُوَ مُطلَقٌ عَزيزٌ، فَإِن لَم يَكُن كَذٰلِكَ وكانَ أَسيرَ الظُّلمَةِ، فَإِنَّهُ يَظهَرُ في هٰذَا العالَمِ إحسانٌ وخَيرٌ مَعَ فَسادٍ وشَرٍّ، فَهٰذا يَدُلُّ عَلىٰ أنَّ الظُّلمَةَ تُحسِنُ الخَيرَ وتَفعَلُهُ، كَما تُحسِنُ الشَّرَّ وتَفعَلُهُ، فَإِن قالوا مُحالٌ ذٰلِكَ فَلا نُورَ يَثبُتُ ولا ظُلمَةَ، وبَطَلَت دَعواهُم، ورَجَعَ الأَمرُ إلىٰ أنَّ اللهَ واحِدٌ وما سِواهُ باطِلٌ، فَهٰذِهِ مَقالَةُ مانِي الزِّنديقِ وأصحابِهِ[1].

وأمّا مَن قالَ: النّورُ وَالظُّلمَةُ بَينَهما حَكَمٌ، فَلابُدَّ مِن أن يَكونَ أكبَرُ الثَّلاثَةِ الحَكَمَ، لِأَنَّهُ لايَحتاجُ إلَى الحاكِمِ إلّا مَغلوبٌ أو جاهِلٌ أو مَظلومٌ، وهٰذِهِ مَقالَةُ المانَوِيَّةِ وَالحِكايَةُ عَنهُم تَطولُ...

قالَ: فَلِمَ حَرَّمَ اللهُ الخَمرَ ولا لَذَّةَ أفضَلُ مِنها؟ قالَ: حَرَّمَها لِأَنَّها اُمُّ الخَبائِثِ، ورَأسُ كُلِّ شَرٍّ، يَأتي عَلىٰ شارِبِها ساعَةٌ يُسلَبُ لُبُّهُ، ولا يَعرِفُ رَبَّهُ، ولا يَترُكُ مَعصِيَةً إلّا رَكِبَها ولا حُرمَةً إلّا انتَهَكَها ولا رَحِماً ماسَّةً إلّا قَطَعَها، ولا فاحِشَةً إلّا أتاها، وَالسَّكرانُ زِمامُهُ بِيَدِ الشَّيطانِ، إن أمَرَهُ أن يَسجُدَ لِلأَوثانِ سَجَدَ، ويَنقادُ حَيثُ ما قادَهُ.

قالَ: فَلِمَ حَرَّمَ الدَّمَ المَسفوحَ؟

---

(١) أصحاب «ماني» يسمّون: المانويّة، وهم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريمﷺ، أحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة... وزعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين، أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنّهما أزليّان لم يزالا ولن يزالا... (انظر الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ٢٤٤).

قالَ: لِأَنَّهُ يورِثُ القَساوَةَ، ويَسلُبُ الفُؤادَ رَحمَتَهُ، ويُعَفِّنُ البَدَنَ ويُغَيِّرُ اللَّونَ، وأكثَرُ ما يُصيبُ الإنسانَ الجُذامُ يَكونُ مِن أكلِ الدَّمِ.

قالَ: فَأَكلُ الغُدَدِ؟ قالَ: يورِثُ الجُذامَ.

قالَ: فَالميتَةُ لِمَ حَرَّمَها؟

قالَ: فَرقاً بَينَها وبَينَ ما يُذَكّىٰ ويُذكَرُ عَلَيهِ اسمُ اللهِ، وَالميتَةُ قَد جَمَدَ فيهَا الدَّمُ وتَراجَعَ إلىٰ بَدَنِها، فَلَحمُها ثَقيلٌ غَيرُ مَريءٍ؛ لِأَنَّها يُؤكَلُ لَحمُها بِدَمِها.

قالَ: فَالسَّمَكُ ميتَةٌ؟

قالَ: إنَّ السَّمَكَ ذَكاتُهُ إخراجُهُ حَيّاً مِنَ الماءِ، ثُمَّ يُترَكُ حَتّىٰ يَموتَ مِن ذاتِ نَفسِهِ، وذٰلِكَ أنَّهُ لَيسَ لَهُ دمٌ، وكَذٰلِكَ الجَرادُ.

قالَ: فَلِمَ حَرَّمَ الزِّنا؟

قالَ: لِما فيهِ مِنَ الفَسادِ وذَهابِ المَواريثِ وانقِطاعِ الأَنسابِ، لا تَعلَمُ المَرأَةُ فِي الزِّنا مَن أحبَلَها، ولَا المَولودُ يَعلَمُ مَن أبوهُ، ولا أرحامٌ مَوصولَةٌ ولا قَرابَةٌ مَعروفَةٌ.

قالَ: فَلِمَ حَرَّمَ اللِّواطَ؟

قالَ: مِن أجلِ أنَّهُ لَو كانَ إتيانُ الغُلامِ حَلالاً لَاستَغنَى الرِّجالُ عَنِ النِّساءِ وكانَ فيهِ قَطعُ النَّسلِ، وتَعطيلُ الفُروجِ، وكانَ في إجازَةِ ذٰلِكَ فَسادٌ كَثيرٌ.

قالَ: فَلِمَ حَرَّمَ إتيانَ البَهيمَةِ؟

قالَ: كَرِهَ أن يُضَيِّعَ الرَّجُلُ ماءَهُ ويأتي غيرَ شَكلِهِ، ولَو أباحَ ذٰلِكَ لَرَبَطَ كُلُّ رَجُلٍ أتاناً يَركَبُ ظَهرَها ويَغشىٰ فَرجَها، فَيَكونُ في ذٰلِكَ فَسادٌ كَثيرٌ فَأَباحَ ظُهورَها، وحَرَّمَ عَلَيهِم فُروجَها، وخَلَقَ لِلرِّجالِ النِّساءَ لِيَأنَسوا بِهِنَّ ويَسكُنوا إلَيهِنَّ، ويَكُنَّ مَوضِعَ شَهَواتِهِم، وأُمَّهاتِ أولادِهِم.

قالَ: فَما عِلَّةُ الغُسلِ مِنَ الجَنابَةِ، وإنَّما أتىٰ حَلالاً ولَيسَ فِي الحَلالِ تَدنيسٌ؟

قالَ عليه السلام: إنَّ الجَنابَةَ بِمَنزِلَةِ الحَيضِ، وذٰلِكَ أنَّ النُّطفَةَ دَمٌ لَم يُستَحكَم ولا يَكونُ الجِماعُ إلّا بِحَرَكَةٍ شَديدَةٍ وشَهوَةٍ غالِبَةٍ، فَإِذا فَرَّغَ [الرَّجُلُ] تَنَفَّسَ البَدَنُ ووَجَدَ الرَّجُلُ مِن نَفسِهِ رائِحَةً كَريهَةً، فَوَجَبَ الغُسلُ لِذٰلِكَ، وغُسلُ الجَنابَةِ مَعَ ذٰلِكَ أمانَةٌ ائتَمَنَ اللهُ عَلَيها عَبيدَهُ لِيَختَبِرَهُم بِها[1]...

قالَ: فَمَن قالَ بِالطَّبائِعِ؟ قالَ: القَدَرِيَّةُ، فَذٰلِكَ قَولُ مَن لَم يَملِكِ البَقاءَ، ولا صَرفَ الحَوادِثِ؛ وغَيَّرَتهُ الأَيّامُ وَاللَّيالي، لا يَرُدُّ الهَرَمَ، ولا يَدفَعُ الأَجَلَ، ما يَدري ما يُصنَعُ بِهِ.

قالَ: فَأَخبِرني عَمَّن زَعَمَ أنَّ الخَلقَ لَم يَزَل يَتَناسَلونَ ويَتَوالَدونَ ويَذهَبُ قَرنٌ ويَجيءُ قَرنٌ، تُفنيهِمُ الأَمراضُ وَالأَعراضُ وصُنوفُ

(١) انظر المناقب لابن شهرآشوب: ٢٦٤/٤.

الآفاتِ، ويُخبِرُكَ الآخِرُ عَنِ الأوَّلِ، ويُنَبِّئُكَ الخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ، وَالقُرونُ عَنِ القُرونِ، أنَّهُم وَجَدُوا الخَلقَ عَلىٰ هٰذَا الوَصفِ بِمَنزِلَةِ الشَّجَرِ وَالنَّباتِ، في كُلِّ دَهرٍ يَخرُجُ مِنهُ حَكيمٌ عَليمٌ بِمَصلَحَةِ النّاسِ، بَصيرٌ بِتَأليفِ الكَلامِ، ويُصَنِّفُ كِتاباً قَد حَبَّرَهُ بِفِطنَتِهِ، وحَسَّنَهُ بِحِكمَتِهِ، قَد جَعَلَهُ حاجِزاً بَينَ النّاسِ، يَأمُرُهُم بِالخَيرِ ويَحُثُّهُم عَلَيهِ، ويَنهاهُم عَنِ السّوءِ وَالفَسادِ ويَزجُرُهُم عَنهُ، لِئَلّا يَتَهارَشوا[1]، ولا يَقتُلَ بَعضُهُم بَعضاً؟

قالَ عليه السلام: وَيحَكَ! إنَّ مَن خَرَجَ مِن بَطنِ اُمِّهِ أمسِ، ويَرحَلُ عَنِ الدُّنيا غَداً لا عِلمَ لَهُ بِما كانَ قَبلَهُ ولا ما يَكونُ بَعدَهُ، ثُمَّ إنَّهُ لا يَخلو الإِنسانُ مِن أن يَكونَ خَلَقَ نَفسَهُ أو خَلَقَهُ غَيرُهُ، أو لَم يَزَل مَوجوداً، فَما لَيسَ بِشَيءٍ لا يَقدِرُ أن يَخلُقَ شَيئاً وهُوَ لَيسَ بِشَيءٍ، وكَذٰلِكَ ما لَم يَكُن فَيَكونُ شَيئاً، يُسأَلُ فَلا يَعلَمُ كَيفَ كانَ ابتِداؤُهُ.

ولَو كانَ الإِنسانُ أزَلِيّاً لَم تَحدُث فيهِ الحَوادِثُ، لِأَنَّ الأَزَلِيَّ لا تُغَيِّرُهُ الأَيّامُ، ولا يَأتي عَلَيهِ الفَناءُ، مَعَ أنّا لَم نَجِد بِناءً مِن غَيرِ بانٍ، ولا أثَراً مِن غَيرِ مُؤَثِّرٍ، ولا تَأليفاً مِن غَيرِ مُؤَلِّفٍ، فَمَن زَعَمَ أنَّ أباهُ خَلَقَهُ، قيلَ: فَمَن خَلَقَ أباهُ؟ ولَو أنَّ الأَبَ هُوَ الَّذي خَلَقَ ابنَهُ لَخَلَقَهُ عَلىٰ شَهوَتِهِ، وصَوَّرَهُ عَلىٰ مَحَبَّتِهِ ولَمَلَكَ حَياتَهُ، ولَجازَ فيهِ حُكمُهُ،

---

(١) التهريش: التحريش بين الكلاب، والإفساد بين الناس، والمهارشة: تحريش بعضها على بعض (القاموس المحيط: ٢ / ٢٩٣).

ولٰكِنَّهُ إن مَرِضَ فَلَم يَنفَعهُ، وإن ماتَ فَعَجَزَ عَن رَدِّهِ، إنَّ مَنِ استَطاعَ أن يَخلُقَ خَلقاً ويَنفُخَ فيهِ روحاً حَتّىٰ يَمشِيَ عَلىٰ رِجلَيهِ سَوِيّاً يَقدِرُ أن يَدفَعَ عَنهُ الفَسادَ.

قالَ: فَما تَقولُ في عِلمِ النُّجومِ؟[1]

قالَ: هُوَ عِلمٌ قَلَّت مَنافِعُهُ، وكَثُرَت مَضَرّاتُهُ، لِأَنَّهُ لا يُدفَعُ بِهِ المَقدورُ ولا يُتَّقىٰ بِهِ المَحذورُ، إن أخبَرَ المُنَجِّمُ بِالبَلاءِ لَم يَنجِهُ التَّحَرُّزُ مِنَ القَضاءِ، وإن أخبَرَ هُوَ بِخَيرٍ لَم يَستَطِع تَعجيلَهُ، وإن حَدَثَ بِهِ سوءٌ لَم يُمكِنهُ صَرفُهُ، والمُنَجِّمُ يُضادُّ اللهَ في عِلمِهِ، بِزَعمِهِ أنَّهُ يَرُدُّ قَضاءَ اللهِ عَن خَلقِهِ.

قالَ: فَالرَّسولُ أفضَلُ أمِ المَلَكُ المُرسَلُ إلَيهِ؟

قالَ: بَلِ الرَّسولُ أفضَلُ.

قالَ: فَما عِلَّةُ المَلائِكَةِ المُوَكَّلينَ بِعِبادِهِ، يَكتُبونَ ما عَلَيهِم ولَهُم، واللهُ تَعالىٰ عالِمُ السِّرِّ وما هُوَ أخفىٰ؟

قالَ: اِستَعبَدَهُم بِذٰلِكَ وجَعَلَهُم شُهوداً عَلىٰ خَلقِهِ، لِيَكونَ العِبادُ لِمُلازَمَتِهِم إيّاهم أشَدَّ عَلىٰ طاعَةِ اللهِ مُواظَبَةً، وعَن مَعصِيَتِهِ أشَدَّ انقِباضاً، وكَم مِن عَبدٍ يَهِمُّ بِمَعصِيَةٍ فَذَكَرَ مَكانَهُما فَارعَوىٰ[2] وكَفَّ،

---

(١) يتبيّن من التأمّل في متن الحديث ونظائره أنّ المقصود من علم النجوم في هذه الأحاديث، ليس العلم بمفهومه المعاصر، بل المقصود هو التعرّف علىٰ تأثير النجوم في مصير الإنسان، والتنبّؤ بحوادث المستقبل عن طريق المطالعة في سير الكواكب مطلقاً، أو على أنّها مؤثّرات.

(٢) رعا يرعو: كفّ عن الأمر، وقد ارعَوىٰ عن القبيح: ارتدع (مجمع البحرين: ٢ / ٧١٢).

فَيَقولُ: رَبّي يَراني، وحَفَظَتي عَلَيَّ بِذٰلِكَ تَشهَدُ، وإنَّ اللهَ بِرَأفَتِهِ ولُطفِهِ أيضاً وَكَّلَهُم بِعِبادِهِ، يَذُبّونَ عَنهُم مَرَدَةَ الشَّيطانِ وهَوامَّ الأَرضِ، وآفاتٍ كَثيرَةً مِن حَيثُ لا يَرَونَ بِإِذنِ اللهِ إلىٰ أن يَجيءَ أمرُ اللهُ عَزَّوجَلَّ.

قالَ: فَخَلَقَ الخَلقَ لِلرَّحمَةِ أم لِلعَذابِ؟

قالَ: خَلَقَهُم لِلرَّحمَةِ، وكانَ في عِلمِهِ قَبلَ خَلقِهِ إيّاهُم، أنَّ قَوماً مِنهُم يَصيرونَ إلىٰ عَذابِهِ بِأَعمالِهِمُ الرَّديَّةِ وجَحدِهِم بِهِ.

قالَ: يُعَذِّبُ مَن أنكَرَ فَاستَوجَبَ عَذابَهُ بِإِنكارِهِ [مَن خَلَقَهُ] فَبِمَ يُعَذِّبُ مَن وَحَّدَهُ وعَرَفَهُ؟

قالَ: يُعَذِّبُ المُنكِرَ لِإِلٰهِيَّتِهِ عَذابَ الأَبَدِ، ويُعَذِّبُ المُقِرَّ بِهِ عَذابَ عُقوبَةٍ لِمَعصِيَتِهِ إيّاهُ فيما فَرَضَ عَلَيهِ، ثُمَّ يَخرُج، ولا يَظلِمُ رَبُّكَ أحَداً.

قالَ: فَبَينَ الكُفرِ والإِيمانِ مَنزِلَةٌ؟

قالَ عليه السلام: لا.

قالَ: فَمَا الإِيمانُ ومَا الكُفرُ؟

قالَ عليه السلام: الإِيمانُ: أن يُصَدِّقَ اللهَ فيما غابَ عَنهُ عَن عَظَمَةِ اللهِ، كَتَصديقِهِ بِما شاهَدَ مِن ذٰلِكَ وعايَنَ، وَالكُفرُ: الجُحودُ.

قالَ: فَمَا الشِّركُ ومَا الشَّكُّ؟

قالَ عليه السلام: الشِّركُ هُوَ أن يُضَمَّ إلَى الواحِدِ الَّذي لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ

آخَرُ، وَالشَّكُّ ما لَم يَعتَقِد قَلبُهُ شَيئاً.

قالَ: أفَيَكونُ العالِمُ جاهِلاً؟

قالَﷺ: عالِمٌ بِما يَعلَمُ، وجاهِلٌ بما يَجهَلُ.

قالَ: فَمَا السَّعادَةُ ومَا الشَّقاوَةُ؟

قالَ: السَّعادَةُ: سَبَبُ خَيرٍ، تَمَسَّكَ بِهِ السَّعيدُ فَيَجُرُّهُ إلَى النَّجاةِ، وَالشَّقاوَةُ: سَبَبُ خِذلانٍ، تَمَسَّكَ بِهِ الشَّقِيُّ فَيَجُرُّهُ إلَى الهَلَكَةِ، وكُلٌّ بِعِلمِ اللهِ.

قالَ: أخبِرني عَنِ السِّراجِ إذَا انطَفَىٰ أينَ يَذهَبُ نورُهُ؟

قالَﷺ: يَذهَبُ فَلا يَعودُ.

قالَ: فَما أنكَرتَ أن يَكونَ الإنسانُ مِثلَ ذٰلِكَ إذا ماتَ وفارَقَ الرّوحُ البَدَنَ لَم يَرجِع إلَيهِ أبَداً كَما لا يَرجِعُ ضَوءُ السِّراجِ إلَيهِ أبَداً إذَا انطَفَىٰ؟

قالَ: لَم تُصِبِ القِياسَ، إنَّ النّارَ فِي الأَجسامِ كامِنَةٌ، وَالأَجسامُ قائِمَةٌ بِأَعيانِها كَالحَجَرِ وَالحَديدِ، فَإِذا ضُرِبَ أحَدُهُما بالآخَرِ سَطَعَت مِن بَينِهِما نارٌ، يُقتَبَسُ مِنها سِراجٌ لَهُ ضَوءٌ، فَالنّارُ ثابِتَةٌ في أجسامِها وَالضَّوءُ ذاهِبٌ، وَالرّوحُ: جِسمٌ رَقيقٌ قَد اُلبِسَ قالَباً كَثيفاً، ولَيسَ بِمَنزِلَةِ السِّراجِ الَّذي ذَكَرتَ. إنَّ الَّذي خَلَقَ فِي الرَّحِمِ جَنيناً مِن ماءٍ صافٍ، ورَكَّبَ فيهِ ضُروباً مُختَلِفَةً مِن عُروقٍ وعَصَبٍ وأسنانٍ وشَعرٍ وعِظامٍ وغَيرِ ذٰلِكَ، وهُوَ يُحيِيهِ بَعدَ مَوتِهِ، ويُعيدُهُ بَعدَ فَنائِهِ.

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ الرّوحِ أغيرُ الدَّمِ؟

قالَ: نَعَم، الرّوحُ عَلىٰ ما وَصَفتُ لَكَ: مادَّتُها مِنَ الدَّمِ، ومِنَ الدَّمِ رُطوبَةُ الجِسمِ وصَفاءُ اللَّونِ وحُسنُ الصَّوتِ، وكَثرَةُ الضِّحكِ، فَإِذا جَمَدَ الدَّمُ فارَقَ الرّوحُ البَدَنَ...

قالَ: أفيَتَلاشَى الرّوحُ بَعدَ خُروجِهِ عَن قالَبِهِ أم هُوَ باقٍ؟ قالَ: بَل هُوَ باقٍ إلىٰ وَقتِ يُنفَخُ فِي الصّورِ، فَعِندَ ذٰلِكَ تَبطُلُ الأَشياءُ وتَفنىٰ، فَلا حِسَّ ولا مَحسوسَ، ثُمَّ اُعيدَتِ الأَشياءُ كَما بَدَأَها مُدَبِّرُها، وذٰلِكَ أربَعُمِائَةِ سَنَةٍ يُسْبَتُ[1] فيهَا الخَلقُ وذٰلِكَ بَينَ النَّفخَتَينِ.

قالَ: وأنّىٰ لَهُ بِالبَعثِ، وَالبَدَنُ قَد بَلِيَ، وَالأَعضاءُ قَد تَفَرَّقَت، فَعُضوٌ بِبَلدَةٍ يَأكُلُها سِباعُها، وعُضوٌ بِاُخرىٰ تُمَزِّقُهُ هَوامُّها، وعُضوٌ قَد صارَ تُراباً بُنِيَ بِهِ مَعَ الطّينِ حائِطٌ؟!

قالَ عليه السلام: إنَّ الَّذي أنشَأَهُ مِن غَيرِ شَيءٍ، وصَوَّرَهُ عَلىٰ غَيرِ مِثالٍ كانَ سَبَقَ إلَيهِ، قادِرٌ أن يُعيدَهُ كَما بَدَأَهُ.

قالَ: أوضِح لي ذٰلِكَ!

قالَ: إنَّ الرّوحَ مُقيمَةٌ في مَكانِها. روحُ المُحسِنِ في ضِياءٍ وفُسحَةٍ، وروحُ المُسيءِ في ضيقٍ وظُلمَةٍ، وَالبَدَنُ يَصيرُ تُراباً كَما مِنهُ خُلِقَ، وما تَقذِفُ بِهِ السِّباعُ وَالهَوامُّ مِن أجوافِها مِمّا أكَلَتهُ ومَزَّقَتهُ

(١) سُبِتَ بالبناء للمفعول: غُشي عليه، وأيضاً مات (المصباح المنير: ٢٦٢).

كُلُّ ذٰلِكَ فِي التُّرابِ مَحفوظٌ عِندَ مَن لا يَعزُبُ عَنهُ مِثقالُ ذَرَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرضِ، ويَعلَمُ عَدَدَ الأَشياءِ ووَزنَها؛ وإنَّ تُرابَ الرّوحانِيِّينَ بِمَنزِلَةِ الذَّهَبِ فِي التُّرابِ، فَإِذا كانَ حينَ البَعثِ مُطِرَتِ الأَرضُ مَطَرَ النُّشورِ، فَتَربُو الأَرضُ ثُمَّ تَمَخَّضوا مَخضَ[1] السِّقاءِ، فَيَصيرُ تُرابُ البَشَرِ كَمَصيرِ الذَّهَبِ مِنَ التُّرابِ إذا غُسِلَ بِالماءِ، وَالزَّبَدِ مِنَ اللَّبَنِ إذا مُخِضَ، فَيَجتَمِعُ تُرابُ كُلِّ قالَبٍ إلىٰ قالَبِهِ، فَيَنتَقِلُ بِإِذنِ اللهِ القادِرِ إلىٰ حَيثُ الرّوح، فَتَعودُ الصُّوَرُ بِإِذنِ المُصَوِّرِ كَهَيئَتِها، وتَلِجُ الرّوحُ فيها، فَإِذا قَدِ استَوىٰ لا يُنكِرُ مِن نَفسِهِ شَيئاً.

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ النّاسِ يُحشَرونَ يَومَ القِيامَةِ عُراةً؟

قالَ عليه السلام: بَل يُحشَرونَ في أكفانِهِم.

قالَ: أنّىٰ لَهُم بِالأَكفانِ وقَد بَلِيَت؟!

قالَ عليه السلام: إنَّ الَّذي أحيا أبدانَهُم جَدَّدَ أكفانَهُم.

قالَ: فَمَن ماتَ بِلا كَفَنٍ؟

قالَ عليه السلام: يَستُرُ اللهُ عَورَتَهُ بِما يَشاءُ مِن عِندِهِ.

قالَ: أفَيَعرِضونَ صُفوفاً؟

قالَ عليه السلام: نَعَم، هُم يَومَئِذٍ عِشرونَ ومِائَةُ ألفِ صَفٍّ في عَرضِ الأَرضِ.

قالَ: أوَ لَيسَ توزَنُ الأَعمالُ؟

---

(١) مَخَضَ اللبَنَ يَمخِضُهُ: أخذ زُبدَهُ (القاموس المحيط: ٢ / ٣٤٣).

قالَ ﷺ: لا. إنَّ الأَعمالَ لَيسَت بِأَجسامٍ، وإنَّما هِيَ صِفَةُ ما عَمِلوا، وإنّما يَحتاجُ إلى وَزنِ الشَّيءِ مَن جَهِلَ عَدَدَ الأَشياءِ، ولا يَعرِفُ ثِقلَها وخِفَّتَها، وإنَّ اللهَ لا يَخفىٰ عَلَيهِ شَيءٌ.

قالَ: فَما مَعنَى الميزانِ؟

قالَ ﷺ: العَدلُ.

قالَ: فَما مَعناهُ في كِتابِهِ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[1]؟

قالَ ﷺ: فَمَن رَجَحَ عَمَلُهُ.

قالَ: فَأَخبِرني أوَ لَيسَ فِي النّارِ مُقنِعٌ أن يُعَذِّبَ خَلقَهُ بِها دونَ الحَيّاتِ وَالعَقارِبِ؟

قالَ ﷺ: إنَّما يُعَذِّبُ بِها قَوماً زَعَموا أنَّها لَيسَت مِن خَلقِهِ. إنَّما شَريكُهُ الَّذي يَخلُقُهُ، فَيُسَلِّطُ اللهُ عَلَيهِمُ العَقارِبَ وَالحَيّاتِ فِي النّارِ، لِيُذيقَهُم بِها وبالَ ما كَذَبوا عَلَيهِ فَجَحَدوا أن يَكونَ صَنَعَهُ.

قالَ: فَمِن أينَ قالوا: إنَّ أهلَ الجَنَّةِ يَأتِي الرَّجُلُ مِنهُم إلىٰ ثَمَرَةٍ يَتَناوَلُها، فَإِذا أكَلَها عادَت كَهَيئَتِها؟

قالَ ﷺ: نَعَم، ذٰلِكَ عَلىٰ قِياسِ السِّراجِ، يَأتي القابِسُ فَيَقتَبِسُ مِنهُ، فَلا يَنقُصُ مِن ضَوئِهِ شَيءٌ، وقَدِ امتَلَتِ الدُّنيا مِنهُ سِراجاً.

قالَ: أَلَيسوا يَأكُلونَ ويَشرَبونَ، وتَزعُمُ أنَّهُ لا يَكونُ لَهُمُ الحاجَةُ؟

---

(١) المؤمنون: ١٠٢.

قالَ عليه السلام: بَلىٰ؛ لِأَنَّ غِذاءَهُم رَقيقٌ لا ثِقلَ لَهُ، بَل يَخرُجُ مِن أجسادِهِم بِالعَرَقِ(١).

١٥٠ـ **محمّد بن عبدالله الخراسانيّ، خادم الرضا عليه السلام:** دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنادِقَةِ عَلَى الرِّضا عليه السلام وعِندَهُ جَماعَةٌ. فَقالَ لَهُ أبُو الحَسَنِ عليه السلام: أيُّهَا الرَّجُلُ أرَأَيتَ إن كانَ القَولُ قَولَكُم ولَيسَ هُوَ كَما تَقولونَ ـ ألَسنا وإيّاكُم شَرعاً سِواءً، ولا يَضُرُّنا ما صَلَّينا وصُمنا وزَكَّينا وأقرَرنا؟ فَسَكَتَ.

فَقالَ أبُو الحَسَنِ عليه السلام: وإن يَكُنِ القَولُ قَولَنا وهُوَ كَما نَقولُ ـ ألَستُم قَد هَلَكتُم ونَجَونا؟

فَقالَ: رَحِمَكَ اللهُ فَأَوجِدني كَيفَ هُوَ، وأينَ هُوَ؟

فَقالَ: وَيلَكَ! إنَّ الَّذي ذَهَبتَ إلَيهِ غَلَطٌ، هُوَ أيَّنَ الأَينَ وكانَ ولا أينَ، وهُوَ كَيَّفَ الكَيفَ وكانَ ولا كَيفَ، ولا يُعرَفُ بِكَيفوفِيَّةٍ، ولا بِأَينونِيَّةٍ، ولا يُدرَكُ بِحاسَّةٍ، ولا يُقاسُ بِشَيءٍ.

قالَ الرَّجُلُ: فَإِذَن إنَّهُ لا شَيءَ إذ لَم يُدرَك بِحاسَّةٍ مِنَ الحَواسِّ.

فَقالَ أبُو الحَسَنِ عليه السلام: وَيلَكَ! لَمّا عَجَزَتْ حَواسُّك عَن إدراكِهِ أنكَرتَ رُبوبِيَّتَهُ ونَحنُ إذا عَجَزَت حَواسُّنا عَن إدراكِهِ أيقَنّا أنَّهُ رَبُّنا خِلافَ الأَشياءِ(٢).

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ٢١٢ـ ٢٤٨ / ٢٢٣، بحار الأنوار: ١٠ / ١٦٤ / ٢.

(٢) كذا في المصدر، وفي المصادر الأخرى: ... أنّه ربّنا وأنّه شيء بخلاف الأشياء.

قالَ الرَّجُلُ: فَأَخبِرني مَتىٰ كانَ؟

فَقالَ أبُوالحَسَنِ عليه السلام: أخبِرني مَتىٰ لَم يَكُن، فَأُخبِرُكَ مَتىٰ كانَ؟!

قالَ الرَّجُلُ: فَمَا الدَّليلُ عَلَيهِ؟

قالَ أبُوالحَسَنِ عليه السلام: إنّي لَمّا نَظَرتُ إلىٰ جَسَدي فَلَم يُمكِنّي فيه زِيادَةٌ ولا نُقصانٌ فِي العَرضِ وَالطّولِ، ودَفعُ المَكارِهِ عَنهُ، وجَرُّ المَنفَعَةِ إلَيهِ، عَلِمتُ أنَّ لِهٰذَا البُنيانِ بانِياً فَأَقرَرتُ بِهِ، مَعَ ما أرىٰ مِن دَوَرانِ الفَلَكِ بِقُدرَتِهِ، وإنشاءِ السَّحابِ، وتَصريفِ الرِّياحِ، ومَجرَى الشَّمسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجومِ، وغَيرِ ذٰلِكَ مِنَ الآياتِ العَجيباتِ المُتقَناتِ، عَلِمتُ أنَّ لِهٰذا مُقَدِّراً ومُنشِئاً.

قالَ الرَّجُلُ: فَلِمَ احتَجَبَ؟

فَقالَ أبوالحَسَنِ عليه السلام: إنَّ الاِحتِجابَ عَنِ الخَلقِ لِكَثرَةِ ذُنوبِهِم، فَأَمّا هُوَ فَلا يَخفىٰ عَلَيهِ خافِيَةٌ في آناءِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ.

قالَ الرَّجُلُ: فَلِمَ لا تُدرِكُهُ حاسَّةُ البَصَرِ؟

قالَ: لِلفَرقِ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ الَّذينَ تُدرِكُهُم حاسَّةُ الأَبصارِ مِنهُم ومِن غَيرِهِم، ثُمَّ هُوَ أجَلُّ مِن أن يُدرِكَهُ بَصَرٌ، أو يُحيطَ بِهِ وَهمٌ، أو يَضبِطَهُ عَقلٌ.

قال: فَحُدَّهُ لي.

قالَ: لا حَدَّ لَهُ.

قالَ: ولِمَ؟

قالَ: لِأَنَّ كُلَّ مَحدودٍ مُتَناهٍ إلىٰ حَدٍّ، وإذَا احتَمَلَ التَّحديدَ احتَمَلَ الزِّيادَةَ، وإذا احتَمَلَ الزِّيادَةَ احتَمَلَ النُّقصانَ، فَهُوَ غيرُ مَحدودٍ، ولا مُتزايِدٍ ولا مُتناقِصٍ، ولا مُتَجزٍّ، ولا مُتَوَهَّمٍ.

قالَ الرَّجُلُ: فَأَخبِرني عَن قَولِكُم: «إنَّهُ لَطيفٌ سَميعٌ بَصيرٌ عَليمٌ حَكيمٌ»، أيَكونُ السَّميعُ إلّا بِالأُذُنِ، وَالبَصيرُ إلّا بِالعَينِ، وَاللَّطيفُ إلّا بِعَمَلِ اليَدَينِ، وَالحَكيمُ إلّا بِالصَّنعَةِ؟

فَقالَ أبُوالحَسَنِ عليه السلام: إنَّ اللَّطيفَ مِنّا عَلىٰ حَدِّ اتِّخاذِ الصَّنعَةِ، أوَ ما رَأَيتَ الرَّجُلَ مِنّا يَتَّخِذُ شَيئاً يَلطُفُ فِي اتِّخاذِهِ؟ فَيُقالُ: «ما ألطَفَ فُلاناً!» فَكَيفَ لا يُقالُ لِلخالِقِ الجَليلِ: «لَطيفٌ»، إذ خَلَقَ خَلقاً لَطيفاً وجَليلاً، ورَكَّبَ فِي الحَيَوانِ أرواحاً، وخَلَقَ كُلَّ جِنسٍ مُتَبايِناً عَن جِنسِهِ فِي الصّورَةِ، لا يُشبِهُ بَعضُهُ بَعضاً، فَكُلٌّ لَهُ لُطفٌ مِنَ الخالِقِ اللَّطيفِ الخَبيرِ في تَركيبِ صورَتِهِ.

ثُمَّ نَظَرنا إلَى الأَشجارِ وحَملِها أطايِبَها، المَأكولَةَ مِنها وغَيرَ المَأكولَةِ، فَقُلنا عِندَ ذٰلِكَ إنَّ خالِقَنا لَطيفٌ، لا كَلُطفِ خَلقِهِ في صَنعَتِهِم، وقُلنا إنَّهُ سَميعٌ، لا يَخفىٰ عَلَيهِ أصواتُ خَلقِهِ، ما بَينَ العَرشِ إلَى الثَّرىٰ، مِنَ الذَّرَّةِ إلىٰ أكبَرَ مِنها في بَرِّها وبَحرِها، ولا تَشتَبِهُ عَلَيهِ لُغاتُها، فَقُلنا عِندَ ذٰلِكَ إنَّهُ سَميعٌ لا بِأُذُنٍ، وقُلنا إنَّهُ بَصيرٌ لا بِبَصَرٍ، لِأَنَّهُ يَرىٰ أثَرَ الذَّرَّةِ السَّحماءِ فِي اللَّيلَةِ الظَّلماءِ عَلَى الصَّخرَةِ السَّوداءِ، ويَرىٰ دَبيبَ النَّملِ فِي اللَّيلَةِ الدُّجيَةِ، ويَرىٰ مَضارَّها

ومَنافِعَها، وأَثَرَ سِفادِها، وفِراخَها ونَسلَها، فَقُلنا عِندَ ذٰلِكَ إنَّهُ بَصيرٌ، لا كَبَصَرِ خَلقِهِ.

[الراوي] قالَ: فَما بَرِحَ حَتّىٰ أسلَمَ(١).

١٥١ـ يونس بن يعقوب: كانَ عِندَ أبي عَبدِاللهِ عليه السلام جَماعَةٌ مِن أصحابِهِ مِنهُم حُمرانُ بنُ أعيَنَ، ومُحَمَّدُ بنُ النُّعمانِ، وهِشامُ بنُ سالِمٍ، والطَّيّارُ، وجَماعَةٌ فيهِم هِشامُ بنُ الحَكَمِ وهُوَ شابٌّ، فَقالَ أبوعَبدِاللهِ عليه السلام: يا هِشامُ! ألا تُخبِرُني كَيفَ صَنَعتَ بِعَمرِو بنِ عُبَيدٍ وكَيفَ سَألتَهُ؟

فَقالَ هِشامٌ: يَابنَ رَسولِ اللهِ! إنّي أُجِلُّكَ وأستَحييكَ ولا يَعمَلُ لِساني بَينَ يَدَيكَ.

فَقالَ أبو عَبدِاللهِ: إذا أمَرتُكُم بِشَيءٍ فَافعَلوا.

قالَ هِشامٌ: بَلَغَني ما كانَ فيهِ عَمرُو بنُ عُبَيدٍ وجُلوسُهُ في مَسجِدِ البَصرَةِ، فَعَظُمَ ذٰلِكَ عَلَيَّ، فَخَرَجتُ إلَيهِ ودَخَلتُ البَصرَةَ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأَتَيتُ مَسجِدَ البَصرَةِ فَإِذا أنَا بِحَلقَةٍ كَبيرَةٍ فيها عَمرُو بنُ عُبَيدٍ وعَلَيهِ شَملَةٌ سَوداءُ مُتَّزِرٌ بِها مِن صوفٍ، وشَملَةٌ مُرتَدٍ بِها والنّاسُ يَسأَلونَهُ، فَاستَفرَجتُ النّاسَ فَأَفرَجوا لي.

ثُمَّ قَعَدتُ في آخِرِ القَومِ عَلىٰ رُكبَتَيَّ ثُمَّ قُلتُ: أيُّهَا العالِمُ! إنّي

---

(١) التوحيد: ٢٥٠ / ٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ١٣١ / ٢٨، الاحتجاج: ٢ / ٣٥٤ / ٢٨١، بحارالأنوار: ٣ / ٣٦ / ١٢.

رَجُلٌ غريبٌ تَأذَنُ لي في مَسألَةٍ؟

فَقالَ لي: نَعَم.

فَقُلتُ لَهُ: أَلَكَ عَينٌ؟

فَقالَ: يا بُنَيَّ! أيُّ شَيءٍ هٰذا مِنَ السُّؤالِ؟ وشَيءٌ تَراهُ كَيفَ تَسأَلُ عَنهُ؟

فَقُلتُ: هٰكَذا مَسأَلَتي.

فَقالَ: يا بُنَيَّ! سَل وإن كانَت مَسأَلَتُكَ حَمقاءَ!

قُلتُ: أجِبني فيها.

قالَ لي: سَل.

قُلتُ: أَلَكَ عَينٌ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: فَما تَصنَعُ بِها؟

قالَ: أرىٰ بِهَا الألوانَ وَالأَشخاصَ.

قُلتُ: فَلَكَ أنفٌ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: فَما تَصنَعُ بِهِ؟

قالَ: أشُمُّ بِهِ الرّائِحَةَ.

قُلتُ: أَلَكَ فَمٌ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: فَما تَصنَعُ بِهِ؟

قالَ: أذوقُ بِهِ الطَّعمَ.

قُلتُ: فَلَكَ أُذُنٌ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: فَما تَصنَعُ بِها.

قالَ: أسمَعُ بِهَا الصَّوتَ.

قُلتُ: أَلَكَ قَلبٌ؟ قالَ: نَعَم، قُلتُ: فَما تَصنَعُ بِهِ؟

قالَ: أُمَيِّزُ بِهِ كُلَّما وَرَدَ عَلىٰ هٰذِهِ الجَوارِحِ وَالحَواسِّ.

قُلتُ: أوَ لَيسَ في هٰذِهِ الجَوارَحِ غِنىً عَنِ القَلبِ؟

فَقالَ: لا.

قُلتُ: وكَيفَ ذٰلِكَ وهِيَ صَحيحَةٌ سَليمَةٌ؟

قالَ: يابُنَيَّ إنَّ الجَوارِحَ إذا شَكَّت في شَيءٍ شَمَّتهُ أو رَأَتهُ أو ذاقَتهُ أو سَمِعَتهُ، رَدَّتهُ إلَى القَلبِ فَيَستَيقِنُ اليَقينَ ويُبطِلُ الشَّكَّ.

قالَ هِشامٌ: فَقُلتُ لَهُ: فَإنَّما أقامَ اللهُ القَلبَ لِشَكِّ الجَوارِحِ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: لابُدَّ مِنَ القَلبِ وإلّا لَم تَستَيقِنِ الجَوارِحُ؟

قالَ: نَعَم.

فَقُلتُ لَهُ: يا أبا مَروانَ، فَاللهُ تَبارَكَ وتَعالىٰ لَم يَترُكَ جَوارِحَكَ حَتّىٰ جَعَلَ لَها إماماً يُصَحِّحُ لَها الصَّحيحَ ويُتَيَقَّنُ بِهِ ما شُكَّ فيهِ،

ويَترُكُ هٰذَا الخَلقَ كُلَّهُم في حَيرَتِهِم وشَكِّهِم وَاختِلافِهِم، لا يُقيمُ لَهُم إماماً يَرُدُّونَ إلَيهِ شَكَّهُم وحَيرَتَهُم، ويُقيمُ لَكَ إماماً لِجَوارِحِكَ تَرُدُّ إلَيهِ حَيرَتَكَ وشَكَّكَ ؟! قالَ: فَسَكَتَ ولَم يَقُل لي شَيئاً.

ثُمَّ التَفَتَ إلَيَّ فَقالَ لي: أنتَ هِشامُ بنُ الحَكَمِ ؟ فَقُلتُ: لا، قالَ: أمِن جُلَسائِهِ ؟ قُلتُ: لا،قالَ: فَمِن أينَ أنتَ ؟

[قالَ:] قُلتُ: مِن أهلِ الكوفَةِ.

قالَ: فَأَنتَ إذاً هُوَ، ثُمَّ ضَمَّني إلَيهِ، وأقعَدَني في مَجلِسِهِ وزالَ عَن مَجلِسِهِ وما نَطَقَ حَتّىٰ قُمتُ.

قالَ: فَضَحِكَ أبو عَبدِاللهِ عليه السلام وقالَ: يا هِشامُ، مَن عَلَّمَكَ هٰذا ؟

قُلتُ: شَيءٌ أخَذتُهُ مِنكَ وأَلَّفتُهُ.

فَقالَ: هٰذا وَاللهِ مَكتوبٌ في صُحُفِ إبراهيمَ وموسىٰ[1].

اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وآله واجعل لنا يداً علىٰ من ظلمنا ولساناً علىٰ من خاصمنا، وظفراً بمن عاندنا، ونعوذ بك من دعاء محجوب، ورجاء مكذوب، وحياء مسلوب، واحتجاج مغلوب، ورأي غير مصيب.

وتقبل منّا بأحسن قبولك، يا مبدل السيئات بالحسنات ويا أرحم الرّاحمين.

٩ ربيع الأوّل ١٤٢١

٢٣ خرداد ١٣٧٩

12 / JUN / 2000

---

(١) الكافي: ١ / ١٦٩ / ٣، علل الشرايع: ١٩٣ / ٢، الأمالي للصدوق: ٦٨٦ / ٩٤٢، الاحتجاج: ٢ / ٢٨٣ / ٢٤٢، بحارالأنوار: ٢٣ / ٦ / ١١.

الفهارس

الآية	رقمها	الصفحة

فهرس الآيات

فهرس أسماء الأنبياء والملائكة عليهم السلام

فهرس أسماء الأئمّة عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس الفِرق والمذاهب والأديان

فهرس الجماعات والقبائل

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمنابع

١ ـ الاحتجاج على أهل اللجاج، لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (ت ٦٢٠ هـ.ق)، تحقيق: إبراهيم البهادريّ ومحمّد هادي به، دار الأُسوة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ.ق.

٢ ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي (ت ٥٠٥ هق)، دار الهادي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٢هـ.ق.

٣ ـ الاختصاص، المنسوب إلى أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ.ق.

٤ ـ اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ.ق)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائيّ، مؤسّسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٤هـ.ق.

٥ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، لأبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ.ق)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت ـ قم، الطبعة

الأُولى ١٤١٣ هـ.ق.

٦ـ الأُصول الستّة عشر، نخبة من الرواة، دارالشبستريّ ـ قم، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.ق.

٧ـ الاعتقادات وتصحيح الاعتقادات، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ.ق)، تحقيق: عاصم عبدالسيّد، المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٣ هـ.ق.

٨ـ أعلام الدين في صفات المؤمنين، لأبي محمّد الحسن بن أبي الحسن الديلميّ (ت ٧١١هـ.ق)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت ـ قم، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.ق.

٩ـ إقبال الأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، لأبي القاسم عليّ بن موسى الحلّيّ المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ.ق)، تحقيق: جواد القيّوميّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ.ق.

١٠ـ أمالي الصدوق، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ.ق)، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.ق.

١١ـ أمالي الطوسي، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ.ق)، تحقيق: مؤسّسة البعثة، دارالثقافة ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ.ق.

١٢ـ أمالي المفيد، لأبي عبدالله محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ.ق)، تحقيق: حسين أُستاد ولي وعلي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.ق.

١٣ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، للعلّامة محمّد باقر بن محمّد تقيّ المجلسيّ (ت ١١١٠ هـ.ق)، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٢ هـ.ق.

١٤ ـ البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ. ق)، تحقيق ونشر: مكتبة المعارف ـ بيروت.

١٥ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، لأبي جعفر محمّد بن محمّد بن عليّ الطبريّ (ت ٥٢٥هـ. ق) ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ. ق.

١٦ ـ البيان و التبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ. ق)، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ ق.

١٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ.ق)، تحقيق: علي شيريّ، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ. ق.

١٨ ـ تاريخ اليعقوبيّ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبيّ (ت ٢٨٤ هـ. ق)، دار صادر ـ بيروت.

١٩ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ. ق)، المكتبة السلفيّة ـ المدينة المنوّرة.

٢٠ ـ ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هق)، ترتيب: محمد حسن بكائي، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٤ ق.

٢١ ـ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، لأبي محمّد الحسن بن عليّ الحرّانيّ المعروف بابن شعبة (ت ٣٨١ هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.ق.

٢٢ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي (ت ٦٥٦ هـ ق)، تحقيق: مصطفى محمّد عمارة، دار إحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٢٨٨ هق.

٢٣ ـ تفسير الطبريّ (جامع البيان في تفسير القرآن)، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ.ق)، دار الفكر ـ بيروت، سنة ١٤٠٨هـ.ق.

٢٤ ـ تفسير العيّاشيّ، لأبي النضر محمّدبن مسعود السلميّ السمرقنديّ المعروف بالعيّاشيّ (ت ٣٢٠هـ.ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلّاتيّ، المكتبة العلميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٨٠هـ.ق.

٢٥ ـ تفسير القمّيّ، لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّيّ (ت ٣٠٧ هـ.ق)، إعداد: السيّد الطيّب الموسويّ الجزائريّ، مطبعة النجف الأشرف.

٢٦ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهدي(عج) ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٩هـ.ق.

٢٧ ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، لأبي الحسين ورّام بن أبي فراس (ت ٦٠٥هـ.ق)، دارالتعارف ودار صعب ـ بيروت.

٢٨ ـ التوحيد، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ.ق)، تحقيق: هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الأُولى ١٣٩٨هـ.ق.

٢٩ ـ التهذيب (تهذيب الأحكام في شرح المقنعة)، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ.ق)، دارالتعارف ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠١هـ.ق.

٣٠ ـ ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مكتبة الصدوق ـ طهران.

٣١ ـ جامع الأحاديث، لأبي محمّد جعفر بن أحمد بن عليّ القمّيّ المعروف بابن الرازيّ (القرن الرابع)، تحقيق: السيّد محمّد الحسينيّ النيسابوريّ، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للحضرة

الرضويّة المقدّسة ـ مشهد، الطبعة الأُولى ١٤١٣ هـ. ق.

٣٢ ـ جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبدالبّر النمري القرطبي (٤٦٣ هـ.ق)، دارالكتب العلميّة ـ بيروت.

٣٣ ـ الجعفريّات = الأشعثيّات، لأبي الحسن محمّدبن محمّد بن الأشعث الكوفيّ (القرن الرابع هـ. ق)، مكتبة نينوى ـ طهران، طُبع ضمن قرب الإسناد.

٣٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم أحمد بن عبدالله الإصبهانيّ (ت ٤٣٠ هـ. ق)، دارالكتاب العربيّ ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ. ق.

٣٥ ـ خصائص الأئمّة عليهم السلام (خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام)، لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى الموسويّ (ت ٤٠٦ هـ. ق)، تحقيق: محمّد هادي الأمينيّ، الحضرة الرضويّة المقدّسة مشهد، سنة ١٤٠٦ هـ. ق.

٣٦ ـ الخصال، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هـ.ق.

حرف الذال

٣٧ ـ الدُّرّ المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١ هـ.ق)، دارالفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ.ق.

٣٨ ـ دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، لأبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميميّ المغربيّ (ت ٣٦٣ هـ. ق)، تحقيق: آصف بن علي أصغر

فيضي، دارالمعارف ـ مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ.ق.

حرف الراء

٣٩ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، لأبي‌القاسم محمودبن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ.ق)، تحقيق: سليم النعيميّ، منشورات الرضيّ ـ قم، الطبعةالأُولى ١٤١٠هـ.ق.

حرف الزاء

٤٠ ـ **الزهد**، لأبي محمّد الحسين بن سعيد الكوفيّ الأهوازيّ (ت ٢٥٠ هـ.ق)، تحقيق: غلام رضا عرفانيان، حسينيان ـ قم، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.ق.

حرف السين

٤١ ـ **سنن ابن ماجة**، لأبي عبدالله محمّد بن يزيد بن ماجة القزوينيّ (ت ٢٧٥ هـ.ق)، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقيّ، دار إحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٥هـ.ق.

٤٢ ـ **سنن الترمذيّ**، لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (ت ٢٩٧ هـ.ق)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار إحياء التراث ـ بيروت.

٤٣ ـ **سنن الدارميّ**، لأبي محمّد عبدالله بن عبدالرحمن الدارميّ (ت ٢٥٥ هـ.ق)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأُولى ١٤١٢هـ.ق.

٤٤ ـ **السنن الكبرى**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ (ت ٤٥٨ هـ.ق)، تحقيق: محمّد عبدالقادر عطا، دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ.ق.

٤٥ ـ **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن أشعث‌السجستانيّ الأزديّ (ت ٢٧٥ هـ.ق)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.

٤٦ ـ **سيرة ابن هشام (السيرة النبويّة)**، لأبي محمّد عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميري (ت ٢١٨ هـ.ق)، تحقيق: مصطفى سقا وإبراهيم الأنباري وعبدالحفيظ شلبي، مكتبة

المصطفى ـ قم، الطبعة الأُولى ١٣٥٥ هـ. ق.

حرف الشين

٤٧ ـ شرح نهج البلاغة، لعزّ الدين عبدالحميد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزليّ المعروف بابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ. ق)، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، داراحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ. ق.

حرف الصاد

٤٨ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار، دارالعلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ م.

٤٩ ـ الصحيفة السجّاديّة، للإمام زين العابدين عليه السلام، تحقيق: علي أنصاريان، المستشاريّة الثقافيّة ـ دمشق.

٥٠ ـ الطبقات الكبرىٰ، لمحمّد بن سعد كاتب الواقديّ (ت ٢٣٠ هـ. ق)، دارصادر ـ بيروت.

٥١ ـ علل الشرايع، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، داراحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ هـ. ق.

٥٢ ـ عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة، لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم الأحسائيّ المعروف بابن أبي جمهور (ت ٩٤٠ هـ. ق)، تحقيق: مجتبى العراقيّ، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٣ هـ. ق.

٥٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ

الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق : السيّد مهديّ الحسينيّ اللاجورديّ، منشورات جهان ـ طهران.

٥٤ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، لعبدالواحد الآمديّ التميميّ (ت ٥٥٠ هـ. ق)، تحقيق : مير سيّد جلال الدين المحدّث الارمويّ، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ. ش.

٥٥ ـ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلميّ الهمدانيّ (ت ٥٠٩ هـ. ق)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ هـ. ق.

٥٦ ـ الفقيه (من لايحضره الفقيه)، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق : علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم.

٥٧ ـ القاموس المحيط، لمجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادى (القرن الثامن)، دارالفكر ـ بيروت.

٥٨ ـ قصص الأنبياء، لقطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي تحقيق : غلام رضا عرفانيان، نشر مجمع البعوث الإسلاميّة ـ مشهد، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ ق.

٥٩ ـ الكافي، لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازيّ (ت ٣٢٩ هـ. ق)، تحقيق : علي أكبر الغفّاريّ، دارالكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ. ق.

٦٠ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، لعليّ بن عيسى الإربليّ (ت ٦٨٧ هـ. ق)، تصحيح : السيّد هاشم

الرسوليّ المحلّاتيّ، دارالكتاب الإسلاميّ ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.ق.

٦١ ـ كشف المحجّة لثمرة المهجة، لأبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس (٦٦٤هـ.ق)، تحقيق: محمّدالحسّون، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٢ق.

٦٢ ـ كمال الدين و تمام النعمة، لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٥هـ.ق.

٦٣ ـ كنزالعمّال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين عليّ المتّقيّ بن حسام الدين الهنديّ (ت ٩٧٥ هـ.ق)، تصحيح: صفوة السقّا، مكتبةالتراث الإسلاميّ ـ بيروت، الطبعةالأُولى ١٣٩٧ هـ.ق.

٦٤ ـ كنز الفوائد، لأبي الفتح الشيخ محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ الطرابلسيّ (ت ٤٤٩ هـ.ق)، إعداد: عبدالله نعمة، دارالذخائر ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هـ.ق.

حرف اللام

٦٥ ـ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمّدبن مكرم بن منظور المصريّ (ت ٧١١ هـ.ق)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هـ.ق.

حرف الميم

٦٦ ـ مائة كلمة للإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من مختارات الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ.ق)، تحقيق: رياض مصطفى العبدالله، دارالحكمة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٦. ق.

٦٧ ـ مجمع البحرين، لفخر الدين الطريحيّ (ت ١٠٨٥ هـ.ق)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، مكتبة نشر الثقافة الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.ق.

٦٨ ـ المحاسن، لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ (ت ٢٨٠ هـ.ق)، تحقيق: السيّد مهديّ

الرجائيّ، المجمع العالميّ لأهل البيت ـ قم، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. ق.

٦٩ ـ **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥هـ. ق)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ. ق.

٧٠ ـ **مسند أبي داود الطيالسيّ**، لسليمان بن داود بن الجارود البصريّ المعروف بأبي داود الطيالسيّ (ت ٢٠٤ هـ. ق)، دار المعرفة ـ بيروت.

٧١ ـ **مسند أحمد**، لأحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ (ت ٢٤١ هـ. ق)، تحقيق: عبدالله محمّد الدرويش، دارالفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ. ق.

٧٢ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، لأبي الفضل عليّ الطبرسيّ (القرن السابع)، دارالكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٨٥ هـ. ق.

٧٣ ـ **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة**، المنسوب إلى الإمام الصادق ؑ، الشارح: حسن المصطفويّ، منشورات القلم ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٦٣ هـ. ش.

٧٤ ـ **مصباح المتهجّد**، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ.ق)، تحقيق: علي أصغر مرواريد، مؤسّسة فقه الشيعة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ.ق.

٧٥ ـ **المصباح المنير**، لأحمد بن محمّد بن علي المُقري الفيّومي (٧٧٠ هـ.ق)، نشر: مؤسّسة دارالهجرة ـ قم، الطبعة الثانية ١٤١٤ ق.

٧٦ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**، للعلّامة الراغب الأصفهاني (٤٢٥ هـ.ق)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأُولى ١٤١٢ ق.

٧٧ ـ **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول**، للعلاّمة محمّد باقر المجلسي (ت ١١١٠ هـ.ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي، دارالكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٧٠ ش.

٧٨ ـ **معاني الأخبار**، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الأُولى ١٣٦١ هـ. ش.

٧٩ ـ **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخميّ الطبرانيّ (ت ٣٦٠ هـ.ق)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبدالحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمين ـ القاهرة، سنة ١٤١٥هـ.ق.

٨٠ ـ **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخميّ الطبرانيّ (ت ٣٦٠ هـ.ق)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.ق.

٨١ ـ **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (٣٩٥هـ.ق)، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ـ مصر الطبعة الثانية ١٣٨٩ ق.

٨٢ ـ **مكارم الأخلاق**، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ. ق)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ.ق.

٨٣ ـ **ميزان الحكمة**، لمحمّد الري شهري (معاصر)، تحقيق ونشر: مؤسّسة دار الحديث ـ قم، الطبعة الثانية ١٤١٦ ق.

٨٤ ـ **منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**، لزين الدين بن عليّ العاملي المعروف بالشهيد الثاني (٩٦٥هـق)، تحقيق: رضا المختاري، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الثالثة ١٤١٥ق.

حرف النون

٨٥ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات مبارك بن مبارك الجزريّ المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ.ق)، تحقيق: ظاهر أحمد الزاويّ، مؤسّسة إسماعيليان ـ قم، الطبعة الرابعة ١٣٦٧هـ.ش.

٨٦ ـ **نهج البلاغة**، ما اختاره أبو الحسن الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى الموسويّ من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ت ٤٠٦ هـ.ق)، تحقيق: السيّد محمّد كاظم المحمّديّ ومحمّد الدشتي، منشورات الإمام عليّ عليه السلام ـ قم، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ. ش.

٨٧ ـ **النوادر** (مستطرفات السرائر)، لأبي عبدالله محمّد بن أحمد بن إدريس الحلّيّ (ت ٥٩٨هـ. ق)،

تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهديّ (عج) ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ هـ.ق.

حرف الواو

٨٨ ـ الوافي، لمحمّد محسن بن مرتضى الفيض الكاشانيّ (ت ١٠٩١ هـ.ق)، تحقيق: ضياء الدين الحسينيّ الأصفهانيّ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ أصفهان، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ هـ.ق.

حرف الياء

٨٩ ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، لسليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ.ق)، تحقيق: علي جمال أشرف الحسينيّ، دار الأُسوة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٤١٦ هـ.ق.